الوفا

بأحوال المصطفى ﷺ

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

٥١٠ - ٥٩٧ هـ

صححه ونسقه وعلق عليه

محمد زهري النجار

من علماء الأزهر الشريف

الجزء الثاني

يطلب من

المؤسسة السعيدية بالرياض

شارع الخزان ، بناية أحمد حمد القصيبي وإخوانه

هاتف ٢٥٥٦١

أبواب فضله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء
ومثل ما بعث به ومثل أمته
ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

فى ذكر فضله على الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام

اعلم أن الله تعالى أنشأ النفوس مختلفة .

فمنها الغاية فى جودة الجوهرية ، ومنها الكَدِر .

وفى كل رُتْبة درجات .

فالأنبياء هم الغاية ، خُلقت أبدانهم سليمةً من العيب ، فصَلحت(١) لحلول النفوس الكاملة ، ثم يتفاوتون .

فكان نبينا صلى الله عليه وسلم ، أصحَّ الأنبياء مزاجا ، وأكملَهم بدنا ، وأصفاهم روحا .

وبمعرفة ما نذكره من أخلاقه وصفاته يتبين ذلك :

ولذلك قدَّمه الله عز وجل على الكُلّ .

* * *

فمن ذلك ، خَلْقُ نفسه قبل خَلق نفوسهم .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(٢) قال فى المصباح : صلح الشيء صلوحاً من باب قعد (الباب الاول) وصلاحاً أيضاً . وصلح (بضم اللام) فى الماضى والمضارع لغة وهو خلاف (فسد) وصلح يصلح بفتحتين (بفتح اللام فى الماضى والمضارع) لغة ثالثة فهو صالح . اهـ

« كنت أولَ النبيين فى الخلق وآخرَهم فى البعث »(١) .

وقد ذكرنا كيف خُلقت طينته فى أول الكتاب .

ومن ذلك : أنه أخذ له الميثاق على الأنبياء .

فقال عز وجل : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ، لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ »(٢) .

فجعل الأنبياء كالأتباع له ، وألهمهم الانقيادَ ، فلو أدركوه وجب عليهم اتباعه .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعى » .

وقدّم ذكرَه على الأنبياء فقال عز وجل : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ »(٣) .

وخاطب كلَّ نبى باسمه فقال تعالى : « يَا آدَمُ اسْكُنْ »(٤) « يا نوح اهبط »(٥) « يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ »(٦) « يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ »(٧) « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ »(٨) « يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ »(٩)

---

(١) رواه الديلمى ، وأبو نعيم ، وابن أبى حاتم مرفوعا .
(٢) سورة آل عمران ٨١
(٣) سورة النساء ١٦٣
(٤) سورة البقرة ٣٥
(٥) سورة هود ٤٨
(٦) سورة هود ٧٦
(٧) سورة الأعراف ١٤٤
(٨) سورة ص ٢٦
(٩) سورة المائدة ١١٠

« يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ »(١) « يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ »(٢).

ولم يخاطب نبينا بالاسم تعظيما له ، بل قال : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ »(٣) « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ »(٤).

فلما ذكر اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة ، فقال تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ »(٥) « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ »(٦) « وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ »(٧).

ولمّا ذكره مع الخليل ذكر الخليل باسمه وذكره باللّقب ، فقال تعالى : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ »(٨).

وأخبر الله تعالى أنّ الأمم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم ، كقولهم : « يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ »(٩) « يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا »(١٠) « يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ »(١١) « يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ »(١٢).

ونهى أمته أن يخاطبوه باسمه ، فقال تعالى :

« لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً »(١٣).

---

(١) سورة مريم ٧
(٢) سورة مريم ١٢
(٣) سورة الأحزاب ١
(٤) سورة المائدة ٦٧
(٥) سورة آل عمران ١٤٤
(٦) سورة الفتح ٢٩
(٧) سورة محمد ٢
(٨) سورة آل عمران ٦٨
(٩) سورة هود ٥٣
(١٠) سورة هود ٦٢
(١١) سورة الأعراف ١٣٨
(١٢) سورة المائدة ١١٢
(١٣) سورة النور ٦٣

• عن ابن عباس فى قوله تعالى : « لَا تَجْعَلوا دعاءَ الرسول بَيْنَكُمْ كَدُعاء بَعْضِكُمْ بَعْضاً » .

وقد كان الأنبياء يجادلون أممهم عن أنفسهم .

يقول قوم نوح : « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »(١) ، فقال دافعا عن نفسه : « لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ » وقال قوم هود : « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ » [فقال : « لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ »](٢) وقال فرعون لموسى : « إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً »(٣) .

فقال موسى : « إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً »(٤) :

فتولىَّ الله عز وجل المجادلة عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

فلما قالوا : هو شاعر . قال الله تعالى : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ »(٥) .

وقالوا : « كاهن ، فقال الله تعالى : « وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ »(٦)

وقالوا : ضال . فقال الله تعالى : « مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ »(٧)

وقالوا : مجنون . فقال تعالى : « مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ »(٨) .

* * *

وأقسم الحق سبحانه وتعالى بحياته ، وإنما يقع القسم بالمعظَّم .

• عن ابن عباس قال : ما خلق الله تعالى ، وما ذرأ نفساً ، هى أكرم من محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الأعراف ٦٠ — (٢) سورة الأعراف ٦٧
(٣) « الإسراء ١٠١ — (٤) « الاسراء ١٥٢
(٥) « يس ٦٩ — (٦) « الحاقة ٤٢
(٧) « النجم ٢ — (٨) « القلم ٢

وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحد غيره ، فقال : « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ »(١) .

قال ابن عقيل :

وأعظمُ من قوله لموسى : « وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي »(٢) .

قوله : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ »(٣) .

وقوله : « لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ »(٤) .

المعنى : أقسم لا بالبلد ، فإن أقسمت بالبلد ، فَلِأَنَّكَ فيه .

يا موسى ، اخلع نعليك ، ولا تجيء إلا ماشيا .

يا محمد ، اركب البُراق ، ولا تجيء إلا راكبا !

وقد أشار الله تعالى إلى أحوال الأنبياء ثم ذكر التوبة عليهم .

فقال تعالى : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى »(٥) .

وقال فى حق موسى : « إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً »(٦) ثم قال : « رَبِّ اغْفِرْ لِي » فغفر له .

وقال فى حق داود : « لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ »(٧) .

ثم قال : « فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ » .

---

(١) سورة الحجر ٧٢ — (٢) سورة طه ٤١

(٣) « الفتح ١٠ — (٤) « البلد ١ ، ٢

(٥) « طه ١٢١ ، ١٢٢ — (٦) « القصص ٣٣

(٧) « ص ٢٤

وقال : « وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ »(١) ثم قال : « وَأَنَابَ » .

وأخبر تعالى بغفران ذنب نبينا ، من غير أن يذكر له ذنبا ، فقال : « لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ »(٢) .

* * *

ومن بيان فضله على الأنبياء : أن آدم سأل ربه ، بحرمة محمد ، أن يتوب عليه كما ذكرنا »(٣) .

وأن نوحًا دعا على قومه ، ونبيّنا قال : (اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون) :

ثم قد اتخذه خليلا كما اتّخذ إبراهيم ، فقال عليه الصلاة والسلام : (ولـكن صاحبكم خليلُ الله) .

• عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن صاحبكم خليل الله) يعنى نفسَه .

ثم جعله حبيبا ، وهذه ليست لغيره .

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ربه : قد اتخذتك خليلا ، وهو فى التوراة مكتوب : محمد حبيب الرحمن .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وموسى نجيًّا ، واتخذنى حبيبا) .

ثم قال : وعزتى لأوثرنَّ حبيبى على خليلى ونجيٍّ) .

---

(١) سورة ص ٤ (٢) سورة الفتح ٢

(٣) تقدم ذلك ص ٦٨

قال المصنف رحمه الله : فإن كان إبراهيم كَسر الأصنام ، فقد رَمى نبيُّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هُبَلَ من أعلى الكعبة ، ثم أشار يوم الفتح إلى ثلاثمائة وستين صنما ، فوقعت .

وإن كان هود ، نُصر على قومه بالدَّبور[١] ، فقد نُصر نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّبا[٢] .

فمزّقت أعداءه يوم الخندق .

وإن كان لصالح ناقة ، فقد سجدت الإبل لنبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن كان يوسف مليح الصورة ، فقد كان نبينا كالقمر ليلة البدر .

وإن كان الحجَر انفجر لموسى ، فقد نبع الماء من بين أصابع نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أَعْجَبُ ، لأن الماء ما يزال يخرج من الحجارة .

وخوار النخل وحنينه إلى نبينا ، أعجبُ من حالات عصا موسى .

وقد دعا نبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشجرةَ ، فشقّت الأرضَ وجاءت إليه .

---

(١) قال فى المصباح : الدبور . ريح تهب من جهة المغرب تقابل الصبا .

(٢) قال فى القاموس : الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا ، إلى بنات نعش .
وفى المصباح . الصبا وزان العصا : الريح تهب من مطلع الشمس .
وفى الصحاح . الصبا : ريح ، ومهبها المستوى أن تهب من موضع مطلع الشمس ، إذا استوى الليل والنهار . اهـ

فيكون المعنى نصرت بالريح الذى يهب من الشرق ونصر هود بالدبور وهو الريح الآتى من الغرب .

وإن كانت الجبال سبّحت مع داود ، فقد سبّح الحصا فى كفّ نبينا صلى الله عليه وسلم .

وإن كان الحديد لُيّن لداود ، فقد لان الصخر لنبينا صلى الله عليه وسلم .

• وقال أبو نُعيم الأصبهانى : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار ، مال برأسه إلى الجبل ، ليخفى شخصه عنهم ، فليّن الله الجبل حتى أدخل فيه رأسه ، واستروحَ إلى حجر من جبل أصمّ ، فلان له ، حتى أثّر فيه ذراعُه وساعدُه .

وذلك مشهور يقصده الحاج ويرونه .

وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين ، فربط به دابته ، والناس يلتمسون ذلك الموضع إلى اليوم .

قال المصنف رحمه الله : وإن كان سليمان أعطى ملكَ الدنيا ، فقد جيء لنبينا صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الأرض ، فأباها زُهْداً .

وإن كانت الريح سُخِّرت لسليمان ، غدوُّها شهر ورَواحُها شهر ، فنبينا صلى الله عليه وسلم ، سار إلى بيت المقدس مسيرة شهر فى بعض ليلة .

وسارَ الرُّعْبُ بين يديه ، مسيرة شهر .

وعُرِج به ، مسيرة خمسين ألف سنة ، إلى العرش .

وإن كان سليمان فهم كلامَ الطير ، فقد فهم نبينا صلى الله عليه وسلم ، كلامَ البعير ، والذئب ، والشجر ، والحجر .

وإن كانت الجن سُخِّرت لسليمان ، فقد جاءت إلى نبينا صلى الله عليه وسلم طائفة من الجن مؤمنة به .

وقد كان سليمان يصفّد مَن عصاه منهم ، فلما تفلّت عفريت على نبينا صلى الله عليه وسلم [تمكن منه] وأسَره .

وقد كانت الجن أعواناً لسليمان يخدمونه ، ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم أعوانُه الملائكة ، يقاتلون بين يديه ، ويدفعون أعداءه .

وقد ذكرنا فيما تقدم ، أن أبا جهل لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلّى لِيَطأ على عنقه ، نكص على عقبيه وقال : إن بينى وبينه لخندقاً من نار ، وهَوْلاً ، وأجنحة .

وإن كان عيسى يخبر بالغيوب ، فقد شاركه نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك .

* * *

وقد قرَن الله تعالى اسمَ نبينا صلى الله عليه وسلم باسمه عز وجل عند ذكر الطاعة والمعصية ، فقال تعالى : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ »(١) .

وقال : « وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »(٢) .

وقال : « فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ »(٣) .

وقال : « فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ »(٤) .

وقال : « وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ »(٥) .

وقال : « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »(٦) .

---

(١) سورة النساء ٥٩ — (٢) سورة التوبة ٧١
(٣) « النساء ٥٩ — (٤) « الأنفال ٤١
(٥) « التوبة ٧٤ — (٦) « الأحزاب ٥٧

وقال : « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ »(١) .

وقال : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ »(٢) .

وقد ذكرنا أن الله تعالى قال لنبينا صلى الله عليه وسلم : « لا أُذْكَرُ إلَّا ذُكِرْتَ معى » .

* * *

وأما الأحاديث المنقولة فى تفضيله على الأنبياء صلوات الله عليهم :

- عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهن أحدٌ من الأنبياء قبلى :

نصرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهر .

وجُعلت لى الأرضُ مسجداً وطَهوراً ، فأيُّما رجل من أمتى أدركته الصلاة فَلْيُصَلِّ .

وأحلت لى الغنائم ، ولم تحلّ لأحد قبلى ، وأُعطيتُ الشفاعة .

وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثت إلى الناس عامة) .

- عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

بعثت بجوامع الكَلِم ، ونُصرت بالرُّعب ، وبَيْنا أنا نائم ، رأيتنى أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعتْ فى يدى .

الحديثان فى الصحيحين .

وجوامع الكلم : أن يَجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة .

---

(١) سورة التوبة ٦٣ (٢) سورة التوبة ٢٩

● عن أبى ذَرٍّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُعطيتُ خمساً لم يعطهنَّ أحدٌ قبلى : بُعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لى الأرض طَهوراً ومسجداً ، وأُحلَّت لى الغنائم ، ولم تحلَّ لمن كان قبلى ، ونصرتُ بالرُّعب شهراً ، وأعطيت الشفاعة ، وما من نبى إلا وقد سأل شفاعة ، وإنى اختبأتُ شفاعتى ، ثم جعلتها لمن كان من أمتى ، لا يشرك بالله شيئاً .

● عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(فضِّلت بأربع : جُعلت الأرض لأمتى مسجداً وطهوراً ، وأحلت لى الغنائم . .)(١) .

● عن ابن الحنفية أنه سمع علىَّ بن أبى طالب يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أُعطيتُ ما لم يعطَ أحد من الأنبياء » .

فقلنا : يا رسول الله : ماهو ؟

قال نُصرت بالرُّعب ، وأُعطيت مفاتيح الأرض ، وسُمِّيت أحمد ، وجعل التراب لى طهوراً ، وجُعِلت أمتى خير الأمم .

● عن عمرو بن شُعَيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزاة تبوك ، قام من الليل يصلى ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلى ، وانصرف إليهم قال لهم :

لقد أُعطيت الليلة خمساً ، ما أعطيهن أحد قَبْلى .

---

(١) كذا ولم يذكر الاثنتين الباقيتين .

أمّا أنا ، فأُرسِلتُ إلى الناس كلهم عامة ، وكان مَن قبلى ، إنما أُرسِلَ إلى قومه .

ونُصرت على العدو بالرعب ، ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر ، لَمُلِئ منى رعباً .

وأُحلَّت لى الغنائم كلها ، وكان من قبلى ، يعظِّمون أكْلَها ، كانوا يحرقونها .

وجعلت لى الأرض مساجد وطهوراً ، أينما أدركَتْنى الصلاة ، تمسَّحتُ وصلَّيت .

وكان من قبلى يعظمون ذلك ، إنما كانوا يصلون فى كنائسهم وَبِيَعِهِمْ .

والخامسة : هى ما هى ! قيل لى : سَلْ ، فإنَّ كلَّ نبى قد سأل . فأخرتُ مسألتى يومَ القيامة ، فهى لكم ، ولمن شهد أن لا إله إلا الله .

● عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكِتاب أصابه مِنْ بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم فغضب وقال :

أمهوَّلون فيها يا ابن الخطاب ! والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة ، لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبوه ، أو بباطل فتصدقوه ، والذى نفسى بيده ، لو كان موسى عليه السلام حيًا ، ما وسعه إلا أن يتبعنى .

● عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لو بدَا لكم موسى فاتبعتموه ، ثم تركتمونى ، لضلَلْتم عن سواء السبيل .

ولو كان موسى حيًا ، ثم أدرك نبوتى ، لاتبعَنى .

● عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(فُضِّلنا على الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجُعِلَتْ لنا الأرض كلها مسجداً ، وجُعلت تربتها لنا طهوراً ، إذا لم نجد الماء) .

● عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فُضِّلت على الأنبياء بست : أُعطيتُ جوامعَ الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأُحلَّت لنا الغنائم ، وجُعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافةً ، وخُتم بى النبيون) .

● عن أُبيٍّ بن كعب قال : كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى ، فقرأ قراءةً أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر ، فقرأ قراءةً سِوَى قراءة صاحبه .

فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :

إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتُها عليه ، ودخل آخر ، فقرأ سوى قراءة صاحبه .

فأقرأهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقرآ ، فحسَّن النَّبى صلى الله عليه وسلم شأنهما .

فَسُقِطَ(١) فى نفسى من التكذيبَ ، ولا إذ كنت فى الجاهلية .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غَشِيَنى ، ضرب فى صدرى ، ففِضْتُ عرَقاً ، وكأنى أنظر إلى الله فَرَقاً(١) ، فقال :

(١) سقط . أى : ندم قال فى القاموس : سقط فى يده وأسقط مضمومتين (أى الحرف الأول فيهما) زل ، وأخطأ ، وندم ، وتحير . اهـ وفى الصحاح مثله . غير أنه لم يرتض (أسقط) قائلا : وقال أبو عمرو : لا يقال أسقط بالألف على ما لم يسم فاعله اهـ وهو من الأفعال الملازمة للبناء على المجهول إذا كان بمعنى (ندم) .

(٢) فرقا . بفتح الفاء والراء . أى : خوفاً .

(يا أبيّ ، أرسل إليّ : أن اقرأ القرآن على حرف . فرددت إليه : أن هوّن على أمتى) .

فردّ إليّ الثانية : أن اقرأه على حرف فرددت إليه : أن هوّن على أمّتى .

فردّ إليّ الثالثة : أن اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل رَدَّة رددْتكها مسألة تَسألُنيها .

فقلت : (اللهم اغفر لأمتى ، اللهم اغفر لأمتى ، وأخرت الثالثة ليوم يَرْغبُ فيه إليّ الخلقُ كلهم ، حتى إبراهيم صلوات الله عليه) .

هذا الحديث ، وحديثان قبله ، من أفراد مسلم .

● عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله فضّلنى على الأنبياء ، وفضَّل أمتى على الأمم ، وأرسلنى إلى الناس كافة ، ونُصرت بالرعب يسير بين يديّ ، قذفه فى قلوب أعدائى ، وجعلت الأرض كلها لى مسجداً وطهوراً ، فأيُّما عبد أدركته الصلاة ، فعنده مسجده وطهوره ، وأحلت لى الغنائم) .

● عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعطيت خمساً لم تُعْطَ لأحد من الأنبياء قبلى : جُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، ولم يكن نبى من الأنبياء (يعنى : يصلى ، حتى يبلغ محرابه) ونُصرت بالرعب مسيرة شهر يكون بينى وبين المشركين مسيرة شهر ، فيقذف الله الرعب فى قلوبهم .

وكان النبىُّ يُبْعث إلى خاصة قومه ، وبُعثت إلى الجن والإنس .

وكانت الأنبياء يعْزلون الخُمسَ ، فتجىء النار فتأ كله ، وأُمرت أن أقسمه فى أمتي .

ولم يبق نبيٌّ إلا وقد أُعطى سُؤْله ، وأُخِّرتُ أنا ، الشفاعة لأمتى) .

فإن قال قائل : قد كان لسليمان سرارى ، ومعلوم أن العبيد والإماء ، أثرُ الغنيمة ، فما وجه قول الرسول : (أحلَّت لى الغنائم) .

فالجواب : أنه كان الأنبياء إذا جاهدوا وقدَّموا الغنيمة التى هى أمتعةٌ وأطعمة وأموال ، نزلت نار فأكلتها كلّها : خُمس ذلك النبى ، وسهام الأمَّة .

يدل عليه ما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (غزا نبيٌّ من الأنبياء ، فجمعوا ما غنموا ، فأقبلت النار لتأكله ، فأبتْ أن تطعمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فيكم غلولٌ .

فأخرَجوا مثلَ رأس بقرة ، فوضعوه فى المال ، فأقبلت النار فأكلته .

فلم تحلَّ الغنائم لأحد قبْلَنا ، ذلك بأن الله تعالى رأى ضَعْفَنا وعَجْزنا فطيَّبها لنا) .

وأما العبيد والإماء والحيوانات ، فإنها تكون مِلْكا للغانمين دون الأنبياء .

فلا يجوز للأنبياء أخذُ شىء من ذلك بسبب الغنيمة ، بل بالابتياع والهدية ونحو ذلك .

ومِنْ هذا تَسرِّى سليمان .

وكان يجوز ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم ، وكان يأخذ الْخُمسَ والفَىْءَ ويتصرَّف فيه ، وهما من خصائصه دون الأنبياء .

فإن قيل : فالعبيد والإماء غنيمة أيضاً ؟

قلنا : نعم ، ولكن ذلك حُرِّم على الأنبياء خاصة ، وأُحلَّ لنبينا صلى الله عليه وسلم ، فانفرد بذلك عن الأنبياء .

* * *

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا سيدُ الناس يوم القيامة ، وهل تَدْرون لم ذلك ؟

يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، وتَدْنو الشمس ، فيبلغ الناسُ من الغم والكرب مالا يطيقون ، فيقول بعضُ الناس لبعض :

ألا تَنْظُرون من يَشْفع لكم إلى ربكم عز وجل ؟ فيأتون آدم) .

وذكَر حديث الشفاعة ، وأنه هو الذى يشفع فى الخلق .

وسيأتى هذا الحديث فى باب الشفاعة ، إن شاء الله تعالى ، ويذكر فى الأحاديث هناك ، احتياجَ الخلق كلهم إليه ، وتقدُّمه عليهم .

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أولُ الناس خروجا إذا بُعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشِّرهم إذا أَيِسُوا ، وأنا أكرمُ ولد آدم على الله ولا فخرَ) .

وفى رواية عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(أنا أكرمُ الأولين والآخرين على الله ولا فخر) .

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أولهم خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا وَافدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شفيعهم إذا حُبسوا ، وأنا مبشِّرهم إذا أيسوا ، والمفاتيح يومئذ بيدى ، وأنا أكرمُ ولد آدم على ربِّى ، يطوف علىَّ ألفُ خادم كأنهم بَيْض مكنون ، أو لؤلؤ منثور) .

● عن ابن عباس قال : جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ، فخرج حتى دنا منهم ، فسمعهم يتذاكرون ، فإذا بعضهم يقول :

عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلا وإبراهيمُ خليله .

وقال آخر : ماذا بأعجب من أن يكلّمَ الله موسى تكليما .

وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه .

وقال آخر : آدم اصطفاه الله .

فخرج عليهم فسلّم ثم قال : (قد سمعتُ كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليلُ الله ، وهو كذلك ، وموسى نجيُّه ، وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته ، وهو كذلك ، ألا وأنا حبيبُ الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة ولا فخر ، فيفتح الله فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنينَ ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر) .

• عن ابن عباس قال : (ما خلق الله خَلْقاً ولا برأه ، أحب إليه من محمد صلى الله عليه وسلم) .

• عن حذيفة قال : قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إبراهيم خليل الله ، وموسى كلمه الله تكليما ، وعيسى كلمة الله ومن روحه ، فما أعطيتَ يا رسول الله ؟

قال : (ولدُ آدم كلهم تحت لوائى ، وأنا أول من يُفتح له باب الجنة) .

• عن أنس قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قلت : يا رب إنه لم يكن نبيٌّ إلا وقد أكرمتَه ، فجعلت إبراهيم خليلا ، وموسى كليماً ، وسخَّرت لداود الجبالَ ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلتَ لى ؟

قال : (أو ليس قد أعطيتك ما هو أفضل من ذلك كله ؟ : لا أُذْكَر

إلا ذُكِرتَ معى ، وجعلتُ صدورَ أمتك أناجيلَ يقرأون القرآن ظاهرًا ، ولم أُعْطها أمة) .

• عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لمّا أسرى بى إلى السماء قلت : يا رب اتخذتَ إبراهيمَ خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، ورفعتَ إدريسَ مكاناً عليًا ، وآتيت داود زبورا ، وأعطيت سليمان مُلكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فماذا لى يا رب) ؟

قال : (يا محمد ، اتخذتك خليلا كما اتخذتُ إبراهيم خليلا ، وكلمتك كما كلمتُ موسى تكليما ، وأعطيتك فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، ولم أعطها نبيا قبلك ، وأرسلتك إلى أسود أهل الأرض وأحمرهم ، وإنسهم وجنِّهم ، ولم أرسل إلى جماعهم قبلك ، وجعلت الأرض لك ولأمتك ، مسجداً وطهوراً ، وأطعمتُ أمّتك الفَيْء ، ولم أحلّه لأمّةٍ قبلَها ، ونصرتك بالرعب ، حتى إن عدوَّك ليُرْعب منك ، وأنزلت عليك سيدَ الكتب ، قال : قرآنا عربيا ، ورفعتُ لك ذِكرك حتى لا أُذْكر إلا ذُكرتَ معى » .

• عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله اختارنى على العالمين من النبيين والمرسلين) .

• عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله اختارنى على جميع العالمين من النبيين والمرسلين) .

• عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله أعطى موسى الكلامَ ، وأعطانى الرؤية ، وفضّلنى بالمقام المحمود والحوض المورود) .

• عنَ ابن عمر قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(فُضِّلت على آدم بخصلتين : كان شيطانى كافراً ، فأعاننى الله عليه فأسلَمَ ، وكُنَّ أزواجى عَوْناً لى .

وكان شيطان آدم كافراً ، وكانت زوجته عوناً على خطيئته) .

* * *

فصل

فإن قال قائل : كيف قال : (وبعثت إلى الخَلْق كافة) .

ومعلوم أن موسى لمَّا بُعث إلى بنى إسرائيل ، لو جاءه غيرهم من الأمم يسألونه تبليغَ ما جاء به عن الله ، لم يَجُزْ له كَتْمه ، بل يجب عليه إظهارُ ذلك لهم ؟

ثم قد أُهلِكَ الخَلْق فى زمن نوح ، وما كان ذلك إلا لعموم رسالته ؟

فقد أجاب عن هذا ابنُ عقيل فقال : (إن شريعة نبينا جاءت ناسخة لكل شريعة قَبْلها ، وقد كان يجتمع فى العصر الواحد نبيَّان وثلاثة ، يدعو كل واحد إلى شريعة تخصُّه ، ولا يدعو غيره من الأنبياء إليها ولا ينسخها .

بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإنه دعا الكلَّ ونسخ ، وقال :

(لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعى) .

وما كان يمكن عيسى أن يقول هذا فى حق موسى .

وأما نوح فإنه لم يكن فى زمنه نبيٌّ يدعو إلى ملته) .

* * *

البابُ الثانى

فى ذكر خصائصه

قد خُصَّ النبى صلى الله عليه وسلم بواجبات ومحظورات ومباحات وتكرُّمات .

• فالواجبات : السواك ، والوِتْر ، والأُضْحية ، وركعتا الفجر . وفى قيام الليل خلاف .

• والمحظورات : الرمزُ بالعين ، وأكل الصدقة المفروضة ، والتزوج بالإماء ، وخَلْع لَأْمَة الحرب حتى يَلْقى العدوَّ .

وأما قول الشعر والكهانة ، فقد ذكرت فى المحظورات ، وإنما مُنِع من ذلك ، لا أنه حُرِّم عليه .

• وأما المباحات :

فمنها الوصال فى الصوم ، وقد مُنِع منه غيره ، وأَخْذُ الماء من العطشان ، وخُمْس الخُمْس ، والصَّفِىُّ من المَغْنَم ، والتزوج بأى عدد شاء ، والنكاح بغير مَهْر ولا ولىٍّ وبلفظ الهِبَة .

• وأما التكرُّمات : فتحريم أزواجه على غيره فى الدنيا ، وجَعْلُ أزواجه فى الجنة .

وبُعث إلى الخَلْق كافة ، ولا نبىَّ بعْدَه .

وخُلِّدتْ شريعته فلم تُنْسخ ، وجُعل مُعْجِزُه باقياً ، يُتصفَّح إلى يوم القيامة ويُتحدَّى به .

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فُضِّلتُ على الناس بأربع : بالسخاء ، والشجاعة ، وكثرة الجماع . وشدة البطش)[١] .

الباب الثالث

فى إنفاذ قطف له من الجنة

● عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

(إن الله يقرئك السلام ، وأرسلنى إليك بهذا القطف[٢]) .

فأخذه صلى الله عليه وسلم .[٣]

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط . وقد ضعفه الذهبى والحافظ وابن الجوزى ، لأن فيه سعيد بن بشير ، وهو ضعيف .

(٢) قال فى المختار من الصحاح : القطف ـ بكسر القاف ـ العنقود وبجمعه جاء فى القرآن فى قوله تعالى : « قطوفها دانية » .

(٣) هذا الحديث باطل ، ذكره السيوطى فى اللآلىء المصنوعة ٢٧٦/١ ، قال فى الميزان : هذا خبر منكر . وقال البخارى : لا يتابع حفص بن عمر الدمشقى على هذا الحديث . وقال ابن يونس : كان يعرف بحفص صاحب القطف ! !

والعجب من أن ابن الجوزى ، رحمه الله ، يورد فى كتابه هذا الأحاديث الموضوعة التى يذكرها هو نفسه فى الموضوعات .

الباب الرابع

فى إنفاذ مقاليد الدنيا إليه

عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(أُتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبْلَق عليه قطيفةٌ من سندس)(١) .

الباب الخامس

فى رفع ذكره

● عن أبى سعيد الخُدْرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أتانى جبريل فقال : إن الله عز وجل يقول لك : تدرى كيف رفعتُ لك ذِكْرَكَ ؟ إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معى)(٢) .

---

(١) قوله (أبلق الخ) قال فى المختار من الصحاح : البلق : سواد وبياض . القطيفة : دثار (كساء) مخمل (السندس) الرقيق من الحرير اهـ صحاح .
وفى المصباح المخمل كساء له خمل وهو كالهدب (شعر جفن العين) فى وجهه .

(٢) رواه أحمد وابن حبان . وهذا ، كما قال الزمخشرى من باب التمثيل ، يشير إلى أن دينه يسود فى الأرض وينتشر .

الباب السادس

فى ذكر مثله ومثل الأنبياء

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثَلى ومَثَل الأنبياء من قَبْلى كمثل رجل ابْتَنَى بيوتاً فأحْسَنَهَا وأكْمَلها وأَجْملها ، إلا موضعَ لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ويَعْجبون من البنيان ، فيقولون :

ألاَ وَضَعْتَ هاهنا لبنة فيتمَّ بنيانك ؟ !

قال النبى صلى الله عليه وسلم : (فكنت أنا اللَّبِنَةَ) .

● عن الطُّفَيْل بن أُبَىّ بن كعب ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثَلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنَها وأَجْملها وترك فيها موضعَ لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون : لِمَ لَمْ[(١)] توضع هذه اللبنة ؟ فأنا فى النبيين موضع تلك اللَّبنة) .

---

(١) الأصل : (لو لم) وهو تحريف .

الباب السابع

فى ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به

● عن بُرَيْد بن أبى موسى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ مَثَلِي ومَثَلَ ما بعثنى الله به ، كمثل رجل أتى قومَه فقال : يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى ، وأنا النذير العُرْيان[١] فالنَّجَاءَ) .

فأطاعته طائفة من قومه فأدْلجوا[٢] وانطلقوا على مهل ، فنَجوْا ، وكذبَته طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم[٣] ، فذلك مثلُ مَن أطاعنى واتبع ما جئت به ، ومثلُ من عصانى وكذَّب ما جئت به من الحق) .

أخرجاه .

---

(١) قوله :« أنا النذير العريان » أى : أتيتكم بأمر مخيف جداً ، لتأخذوا حذركم فلا يصيبكم ما تكرهون قال : فى القاموس : والنذير العريان : رجل من خثعم حمل عليه يوم ذى الخلصة عوف بن عامر فقطع يده ويد امرأته ، أو كل منذر بحق لأن الرجل إذا أراد إنذار قومه تجرد من ثيابه وأشار بها اهـ .

(٢) أدلجوا : أى : ساروا الليل كله اهـ مصباح . وفى القاموس والصحاح : الدلج بفتح الدال والجيم . والدلجة بضم الدال وفتحها مع سكون اللام فيهما السير من أول الليل وقد أدلجوا . فإن ساروا من آخره (فادلجوا) بتشديد الدال .

(٣) اجتاحهم . أى : أهلكهم بالجائحة وهى الشدة التى تجتاح المال من سنة (جدب) أو فتنة اهـ من الصحاح بتصرف . والمراد : تحيط بهم أنواع المصائب المهلكة فلا تبقى منهم ولا تذر .

الباب الثامن

فى فضل أمته على الأمم

● عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأُوتيناه من بَعْدهم ، فهذا يومهم(١) الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له ، الناس لنا فيه تبع ، لليهود غَد وللنصارى بعد غد) .

● عن أبى سعيد قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(والله إنى لأرجو أن تكونوا ربعَ أهل الجنة ، والله إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، والله إنى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة) .

الحديثان فى الصحيحين .

● عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَثَلُكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال :

من يعملُ لى من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط ؟ ألا فعملت اليهود .

ثم قال : من يعملُ لى من نصف النهار إلى صلاة العصر ؟ ألا فعملت النصارى .

ثم قال : من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين .

---

(١) أى يوم الجمعة .

ألا فأنتم الذين عملتم .

فغضب اليهود والنصارى فقالوا : نحن أكثر عملا وأقلُّ عطاء(١) .

قال : فهل ظلَمْتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا .

قال : فإنما هو فضلى أوتيه من أشاء) .

انفرد بإخراجه البخارى(٢) .

• عن بَهْز بن حكيم بن معونة ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(ألا إنكم تُوفون سبعين أمَّةً ، أنتم خيرها وأكرمُها على الله عز وجل) .

• عن أنس قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(لمَّا أُسْرِى بى إلى السماء قرَّبنى ربى تعالى ، حتى إذا كان بينى وبينه كقاب قوسَيْن أو أدْنَى قال : يا حبيبى يا محمد . قلت : لبيك يا رب .

قال : هل غَمَّك أنْ جعلتُك آخر النبيين ؟ قلت : لا يا رب .

قال : أَبْلغ أمتك عنى السلام ، وأخبرهم أنى جعلتها آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم ولا أفضحَهم عند الأمم) .

---

(١) الأصل : « نحن أقل عملا وأكثر عطاء » وهو تحريف ورواية البخارى : مالنا أكثر عملا وأقل عطاء ؟

(٢) رواية البخارى مخالفة لما هنا . صحيح البخارى « كتاب الإجارة » .

الباب التاسع

في ذكر مثله ومثل أمته

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثلى كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ، جعل الفراشُ وهذه الدواب التى يقَعْن فى النار ، يقَعْن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلِبْنه فيتقحّمْنَ(١) فيها) .

أخرجاه .

● عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملَكان ، فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه ، فقال الذى عند رجليه : اضربْ مَثَلَ هذا ومثل أمته .

قال : إنَّ مثله ومثل أمته كمثل قوم سَفْرٍ(٢) انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به .

فبينما هم كذلك ، أتاهم رجل مُرَحّل فى حُلّة ، فقال :

---

(١) يتقحمن . أى يرمين بأنفسهن من غير روية .

(٢) سَفْرٌ : أى مسافرون . وأصل . سفر جمع « سافر » وفعله « سفر » من باب « جلس » فهو سافر وقوم سفر كصاحب وصحب وسفار كراكب وركاب .

هذا ملخص ما يستفاد من المعاجم .

أرأيتم إن وردتُ به رياضاً مُعْشِبةً[1] وحياضا رِواءً[2] أتتبعونى ؟ قالوا : بلى .

قال : فإنَّ بَيْن أيديكم رياضاً أعْشَبَ من هذه ، وحياضا أَرْوَى من هذه ، فاتبعونى . فقالت طائفة : صدق والله ، لنَتبعنَّه .

وقالت طائفة : لقد رضينا بهذا نقيم عليه) .

---

(١) معشبة . أى : كثيرة العشب وهو الكلأ الرطبَ فى أول الربيع . قال فى الصحاح : والفعل للماضى من (معشبة) أعشب لا غير . وفى المصباح (عشب) الموضع يعشب من باب تعب : نبت عشبه وأعشب بالألف كذلك فهو عاشب على تداخل اللغتين وعشبت الأرض وأعشبت فهى عشبية ومعشبة .

(٢) رواء : على وزن « كتاب » جمع للمذكر مفرده « ريا » و « ريان » والمعنى : حياضاً مروية تذهب العطش .

الباب العاشر

فى ذكر مثل من قبل ما جاء به ومن لم يَقْبَل

• عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثلُ ما بعثَنى الله به من الهُدَى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفةٌ نقيَّة قَبلت الماء وأنبتت الكلأ والعُشب الكثير ، وكان منها أجادِبُ(١) أمسكت الماء نفع(٢) الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان(٣) لا تمسك ماء ولا تُنْبت كلأً .

فذلك مثل من فَقُه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أُرسلت به)

أخرجاه .

• عن أبى عثمان النهْدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى

(١) أجادب . والمعنى المراد : أنها لا تكاد تخصب . قال فى القاموس : أجادب : قيل : جمع أَجْدُب . جمع جَدْب اهـ .

(٢) البخارى : فنفع .

(٣) قال فى القاموس : القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام وجمعه « قيع » و « قيعة » و « قيعان » .

وفى المصباح القاع : المستوى من الأرض وزاد ابن فارس الذى لا ينبت وجمعه « أقواع » و « أقوع » وقيعان . وقاعة الدار ساحتها .

البطحاء(١) ومعه ابن مسعود ، فأقعده وخطَّ عليه خطًّا ، ثم قال : لا تبرحنَّ فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلّمهم فإنهم لن يكلموك .

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراد ، ثم جعلوا ينتهون إلى الخط فلا يجاوزونه يَصْدُرُونَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان من آخر الليل جاء فتوسَّد فخذى(٢) ، وكان إذا نام نفخ .

فَبَيْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوسدٌ فخذى ، راقد أتانى رجالٌ كأنهم الجِمَال عليهم ثيابٌ بيض الله أعلمُ ما بهم من الجَمَال ، حتى قعد طائفة عند رأسى وطائفة عند رجلى ، فقالوا بينهم :

ما رأينا عبداً أوتى مثلَ ما أوتىَ هذا النبى ، إن عينيه لتنامان وإنَّ قلبه ليَقْظان ، اضربوا له مثلاً : سيد بنَى قصراً(٣) ثم جعل مأدبة فدعا الناسَ إلى طعامه وشرابه .

ثم ارتفعوا ، واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك . فقال لى : أتدرى ما هؤلاء ؟ قلت : الله ورسوله أعلمُ . قال : هم الملائكة .

قال : وهل تدرى ما المثلُ الذى ضربوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : الرحمن ، بنَى الجنة فدعا إليها عبادَه فمن أجابه دخل جَنّته ، ومن لم يجبه عاقَبه أو عذَّبه .

---

(١) قال فى القاموس : والبطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى وقريش البطاح : الذين ينزلون بين أخشبي مكة (أى : والأخشبان جبلا مكة) والأخشب : الجبل الخشن العظيم .

(٢) توسد فخذى . أى : وضع رأسه على فخذى .

(٣) الأصل : قصى . وهو تحريف .

الباب الحادى عشر

فى وجوب طاعته

● قال الله تعالى : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ »(١) .

وقال : « مَنْ يُطِعِ الرسولَ فقد أطاعَ الله »(٢) .

● عن عروة بن الزبير قال : إن الزبير كان يحدِّث أنه خاصم رجلا من الأنصار ، وقد شهد بَدْراً ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى شِراج(٣) من الحَرّة كانا يسقيان به(٤) النخل .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اسْقِ ، ثم أرسلْ إلى جارك) .

فغضب الأنصارى وقال : يا رسول الله أنْ كان ابن عمتك !

فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير : (اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر)(٥) .

---

(١) سورة النساء ٥٩ (٢) سورة النساء ٨٠

(٣) الشراج : مسيل الماء من الحرة إلى السهل . (٤) البخارى بها .

(٥) المعنى المراد هنا : حتى ينحبس الماء عند السد ويجتمع فلا يتجاوزه وإليك نصوص المعاجم التى تشير إلى هذا المعنى :

قال فى المصباح : الجدار : الحائط والجمع جدر مثل كتاب وكتب ، والجدر لغة فى الجدار وجمعه جدران » وفى الحديث (اسق أرضك حتى يبلغ الماء الجدر) .

قال الأزهرى : المراد به ما رفع من أعضاد الأرض ليمسك الماء تشبيها بجدار الحائط . =

فاستوفَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم للزبير حقَّه فى صريح الحُكم ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار إلى الزبير برأيٍ فيه سَعة له وللأنصارى ، فلما أغضب الأنصاريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقَّه فى صريح الحكم .

قال عروة : قال الزبير : ما أحسب هذه الآية نزلت إلا فى ذلك : « فَلَا وَرَبِّكَ لا يُؤْمنون حتى يُحكِّمُوك فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »(١) .

أخرجاه .

= وقال السهيلى : «الجدر : الحاجز يحبس الماء وجمعه جدور مثل فلس وفلوس» .

وفى الصحاح : الجدر والجدار : الحائط وجمع الجدار جدر ، وجمع الجدر : الجدران مثل بطن وبطنان .

وفى أساس البلاغة : والجدر وهو أصل الجدار ، وسمى بذلك لأن جداره مستوطىء (أى : غير مرتفع) .

(١) سورة النساء ٦٥

الباب الثاني عشر

في وجوب تقديم محبته

على الوالد والولد والنفس

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين) .

● عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا والذى نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك) .

قال عمر : فأنت الآن — والله — أحبُّ إليَّ من نفسي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الآن يا عمر) .

انفرد بإخراج هذا الحديث البخارى ، واتفقا على الذى قبله .

الباب الثالث عشر

فى وجوب تقديمه فى الذكر

• عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تجعلونى كقدَح الراكب) .

قال : إن الرجل يرفع متاعه على راحلته ، فيبتغى فى قدَحه ماء فيعيده فى إداوته . قال : اجعلونى فى أول الحديث وفى وسطه وفى آخره .

قال المصنف : موسى بن عبيدة[١] ليس بشىء .

قال يحيى : وتفسير هذا الحديث قد ذُكر فيه .

وقد قيل : إن الراكب إذا فرغ من تعبئة متاعه أخّر القدَح .

والمعنى الآخر : لا تؤخرونى فى الذِّكر . وهو يرجع إلى المعنى الأول .

(١) أحد رواة الحديث .

أبوابُ صفاتِ جَسَدِه

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

في صفة رأسه

صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن بن علي ، عن خاله هِنْد بن أبي هالَة ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامَة » .

● عن نافع بن جُبير قال : وصَف لنا عليٌّ بن أبي طالب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (كان عظيمَ الهامَة) .

الباب الثاني

في صفة جبينه

صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن بن [علي ، عن] خاله هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسعَ الجبين .

البابُ الثالث

فى صفة حاجبيه صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن بن على بن أبى طالب ، عن خاله هند بن أبى هالَة ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزَجَّ الحواجب ، سَوَابغَ فى غير قَرَن(١) ، بينهما عِرْق يُدِرُّه(٢) الغضب) .

● قال المصنف : قوله (أزجَّ الحواجب) أى طويل امتدادها .

(١) السوابغ : جمع سابغة ، أى كاملات ، والقرن الاجتماع ، أى أن طرفى حاجبيه قد طالا حتى كادا يلتقيان ، ولم يلتقيا وقوله : سوابغ . . حال من الحواجب .

(٢) يدره : يظهره ، إذا امتلأ دما .

البابُ الرابع

في صفة عينيه وأهدابه

• عن الحسن بن علي ، عن خاله هند بن أبي هالَة ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدْعجَ العينين أزجَّ الحواجِب سوابغَ من غير قرَن ، أهدَبَ الأشفَار) .

الدَّعَجُ : سواد العينين . والأهدب : الطويل الأشفار ، وهو الشعر المتعلق بالأجفان .

• عن جابر بن سَمُرة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكلَ العينين) .

ورواه أبو داود عن شُعبة فقال : (أشْهَلَ العينين) .

• عن جابر بن سمرة قال : (كنت إذا نظرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلتُ أكْحلَ ، وليس بأكحل) .

قال المصنف : أمّا قوله : (أشكل العينين) :

قال أبو عبيدة : (الشُّكلة : حُمْرة في بياض العين ، والشُّهْلة : حمرة في سوادها . والكَحَل : سواد هدب العين خِلْقةً) .

قال الزَّجّاج : (الكَحَل : أن يسوَدَّ مواضع الكحل) .

الباب الخامس

فى صفة خديه

• عن الحسن بن على ، عن خاله هند بن أبى هالة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلَ الخدّين) .

الباب السادس

فى صفة أنفه

• عن هند بن أبى هالة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقنَى العِرْنِين ، له نور يَعْلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشمّ) .

العِرْنين : الأنف(١) . والقَنَى : أن يكون فى عَظْم الأنف احديداب فى وسطه . والأشَمّ : الذى عَظْمُ أنفِه طويلٌ إلى طرف الأنف .

(١) العرنين : أعلى الأنف ، أى أوله حيث يكون فيه الشمم ، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين أو ما صلب من عظم الأنف ، أو كله ، وهو ما أراده المصنف ويجمع على عرانين .

الباب السابع

في صفة فمه وأسنانه صلى الله عليه وسلم

● عن جابر بن سَمُرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضَلِيع الفم .

● عن جُحيع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليعَ الفم مُفَلّج الأسنان .

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ .

● عن هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَفْتَرُّ عن مِثْل حبِّ الغَمام(١) .

قوله : « ضليع الفم » أى كبير ، والفَلج : تباعُد ما بين الثنايا والرُّباعيات .

● عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن الثّغْر .

---

(١) حب الغمام : البرد ، الجامد المعروف ، شبه به أسنانه فى صفائه وبياضه ولمعانه ورطوبته .

الباب الثامن

فى صفة نكهته

صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك قال : صحبت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وشَمَمْتُ العطرَ كله فلم أشمّ نـكْهَةً أطيبَ من نـكْهته .

الباب التاسع

فى صفة وجهه

صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن ، عن خاله هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخَّما ، يتلألأ[١] وجهه كتلألُؤ القمر ليلة البدر .

● عن على قال : كان فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَدْوير .

● عن جابر بن سمرة قال: كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مستديراً .

● عن أم مَعْبَد أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : رأيت رجلا ظاهرَ الوَضَاءة متبلجَ الوجه .

قال المصنف : « متبلِّج الوجه » : يعنى مُشْرِق الوجه مضيئه ، ومنه : تبلَّج الصُّبح ، إذا أسْفَر .

(١) يتلألأ : يلمع .

الباب العاشر

فى ذكر اللحية الكريمة

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كَثَّ اللحية .

● عن على بن أبى طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيمَ اللحية .

عن أم مَعْبَد قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيف اللحية .

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من لحيته ، من طولها وعَرْضها بالسَّوِيَّة .

الباب الحادي عشر

في صفة شعره

• عن البَراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الجُمَّة(١) ، جُمَّته إلى شَحْمة أذنية(٢) .

• عن البراء قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعر يَضْرب مِنكبيه .

• عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجْل الشَّعر ، ليس بالسَّبط ولا الجَعْد القَطط .

• عن الحسن ، عن خاله هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجل الشعر إذا تفرقت عَقِيقَته فُرق ، وإلاّ فلا يجاوز شَعْرُه شحمةَ أذنيه إذا هو وَفَّره .

الرَّجْل : الشعر الذي [فيه] تكسيرٌ ، فإذا كان منبسطا قيل : شعر

---

(١) الجمة : شعر الرأس الكثيف .

(٢) اختلفت أقاويل الشراح في الوفرة والجمة واللمة .

قال الحافظ العراقي : ورد في شعره صلى الله عليه وسلم ثلاثة أوصاف : جمة ووفرة ولمة .

فالوفرة : ما بلغ شحمة الأذن . واللمة : ما نزل عن شحمة الأذن . والجمة : ما نزل عن ذلك إلى المنكبين .

هذا قول جمهور أهل اللغة .. واختلف فيه كلام الجوهري ..

انظر شرح المواهب ٤/٢٠٣/٢٠٥

سبط . والقطط : الشديد الجُعودة . والعَقِيقة : الشعر المجتمع فى الرأس .

• عن أنس قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نصف أذنيه .

• عن عائشة قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعرٌ فوقَ الجُمَّة ودُونَ الوَفْرة .

• عن أم هانئ قالت : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وله أربعُ غَدَائر . يعنى ذوائب .

• عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا مكةَ قَدْمةً(١) وله أربعُ غدائر .

وفى رواية : رأيته وإذا له ضفائر أربع .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امتشط بالمشط كأنه حَبُك الرمال .

• عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يَسْدِل ناصيته سَدْلَ أهل الكتاب ، ثم فرق بعد ذلك فَرْقَ العرب .

• عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم سدَل(٢) ناصيته ما شاء الله أن يَسْدِل ، ثم فَرَق بعدُ .

---

(١) بعض الروايات يدل على أن هذا المقدم يوم فتح مكة ، لأنه حينئذ اغتسل وصلى الضحى فى بيتها .

(٢) سدل : أرخى .

الباب الثانى عشر

فى ذكر صفة عنقه

صلى الله عليه وسلم

● عن أم مَعْبد أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : فى عنقه سَطَع .

قال المصنف : السَّطَع : الطول .

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأن عنقه جِيدُ دُمْية فى صفاء الفضة .

قال المصنف : الدُّمْية الصورة المصوَّرة .

● عن عثمان بن عبد الملك ، قال : حدثنى خالى ، وكان من أصحاب على يوم صِفِّين ، عن على ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن عنقه إبريقُ فضة .

الباب الثالث عشر

فى بعد ما بين منكبيه

صلى الله عليه وسلم

● عن البرَاء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين .

قال المصنف : المنكب : مجتمع رأس العَضُد فى الكتف .

الباب الرابع عشر

فى غلظ الكتد

● عن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جليلَ الكَتَد .

قال المصنف : الكتد : مجتمع الكتفين ، وهو الكاهل .

الباب الخامس عشر

فى صفة صدره
صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن ، عن خاله هند ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر ، سواءَ البطن والصدر .

الباب السادس عشر

فى صفة بطنه
صلى الله عليه وسلم

عن أم معبد أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لم تعبه ثُجْلة .

قال المصنف : الشُّجلة عظمُ البطن واسترخاء أسفله .

● عن أم هانئ . قالت : ما رأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذكرتُ القراطيس المثنيّ بعضُها على بعض .

● عن مُحَرِّش(١) الكعبي ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة ليلا فنظرتُ إلى ظهره كأنه سبيكة فضة .

البابُ السّابع عشر

فى صفة سرته
صلى الله عليه وسلم

● عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجردَ ذو مَسْرَبة .

● عن الحسن ، عن خاله هند ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْوَرَ المتجرِّد دقيق المَسْربة ، موصولَ ما بين اللبَّة والسُّرة بشَعر ، يجرى كالخيط ، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعرَ الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر .

---

(١) هو محرش بن سويد بن عبد الله بن مرة الخزاعى ومحرش : بالحاء والخاء قال الزمخشرى : الصواب بالخاء .

الباب الثامن عشر

فى ذكر أصابعه

صلى الله عليه وسلم

● عن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفَّين والقدمين سائل الأطراف .

قال المصنف : الشثن : الغليظ الأصابع من الكفَّين والقدمين . والسائل الأطراف : الممتد الأصابع .

ورواه بعضهم شائن بالألف والنون . والمعنى فيهما واحد .

الباب التاسع عشر

فى صفة كفيه

صلى الله عليه وسلم

● عن علي رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفين .

● عن الحسن ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَحْب الراحة .

● عن أنس قال : ما مسسْت قط خزًّا ولا حريراً ألينَ من كف رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

• عن مارية قالت : بايعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فما مسَسْت قط ألينَ من يده صلى الله عليه وسلم .

• عن عون بن أبي جحيفة ، عن أبيه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبطح فركز عنزة(١) فصلّى إليها ، وجعل أصحابه يأخذون يده فيُمِرُّونها على وجوههم ، فجئت وأخذت يده فأمررتها على وجهي ، فإذا هي أبردُ من الثلج وأطيب ريحاً من المسك .

البابُ العشرون

في صفة زنديه

صلى الله عليه وسلم

• عن هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلَ الزندين ضخمَ الكراديس .

• عن صالح مولى التَّوْأمة قال : كان أبو هريرة رضى الله عنه ينعت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : كان شبيح الذراعين . أي طويلهما .

(١) العنزة : واحد العنز ، وهو نبت أو شجر صغار .

الباب الحادي والعشرون

في ذكر ساقيه

صلى الله عليه وسلم

● عن جابر بن سَمُرة قال : كان في ساقَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم حُمُوشة .

قال المصنف : الحموشة : دقة الساقين .

● عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم أن أباه أخبره أن أخاه سراقة أخبره قال : دنوتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، فرأيت ساقيه في غَرْزها كأنهما جُمَّارة(١) .

قال بعض البلغاء :

يَا رَبِّ بِالْقَـــدَمِ الَّتِى أَوْطَأْتَهَا(٢)
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الْمَحَـــلَّ الْأَعْظَمَا

(١) الجمارة : قلب النخلة وشحمتها . شبه به ساقه في البياض .

(٢) قوله : (يا رب بالقدم الخ) كلام مناف لخالص التوحيد وللتوسل المشروع لأن التوسل المجمع على مشروعيته لا يعدو أنواعاً ثلاثة .

١ — التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعالى ، أو صفة من صفاته .

٢ — التوسل بعمل صالح قام به الداعي .

٣ — التوسل بدعاء رجل صالح .

هذه أنواع التوسل التي وقع الإجماع على مشروعيتها لدى أهل القرون الثلاثة =

. . . .

= المشهود لهم بالخيرية . وأما التوسل بالذوات لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة وأهل القرون الثلاثة . وأقل ما يقال فيه ويتساهل فى الحكم عليه أنه شرك أصغر وربما جر إلى الشرك الأكبر كما هو حاصل لدى عامة الناس فى هذا الزمان من الطواف فى الأضرحة والتمسح بالأعتاب . وإليك بعض الأمثلة لكل نوع من أنواع التوسل على الترتيب فنقول :

١ — قال النبي صلى الله عليه وسلم فى أحد أدعيته الثابتة عنه قبل السلام من صلاته : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحينى ما علمت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى » .

(رواه النسائى ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبى)

٢ — قال النبي صلى الله عليه وسلم : من كثر همه فليقل (اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب غمى) إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً .

(رواه أحمد واللفظ له ، والحاكم وإسناده صحيح)

٣ — وروى أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر قال : (يا حىّ يا قيوم برحمتك أستغيث) .

(رواه الترمذى ، والحاكم ، وهو حديث حسن)

١ — رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ .

٢ — روى بريدة بن الحصيب قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : « اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . =

. . . .

= فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « قد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » (رواه أحمد وأبو داود وغيرهما) وإسناده صحيح .

ومن التوسل بعمل صالح قام به الإنسان قصة أصحاب الغار . الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت الغار وكانوا ثلاثة . فتوسل كل واحد منهم بعمل صالح قدمه فانفرجت الصخرة عن باب الغار وخرجوا والحديث بطوله رواه الشيخان والنسائى وغيرهم .

ولولا خشية الإطالة وتشعب رواياته لذكرنا الحديث بطوله .

وأما التوسل بدعاء الرجل الصالح فيدل عليه حديث الاستسقاء ، وهو ما رواه أنس ابن مالك رضى الله عنه حيث قال : « أصاب الناس سنة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم . فبينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب قام أعرابى ورسول الله قائم فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ، فرفع يديه يدعو : اللهم أغثنا ثلاث مرات . وما نرى فى السماء قزعة (قطعة من السحاب الصغار المتفرق) فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس . فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذى يليه حتى الجمعة الأخرى ماتقلع (أى : ما تنقطع) وقام ذلك الأعرابى أو غيره فى الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع يده فقال : اللهم حوالينا ولا علينا . اللهم على رءوس الجبال والآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر . فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت مثل الجوبة (أى الحفرة المستديرة الواسعة) اهـ .

ومن ذلك أيضاً استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنهما المروى فى البخارى عن أنس ، واستسقاء معاوية ، والضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود الجرشى كما رواهما ابن عساكر فى تاريخه بسند صحيح . =

وَبِحُرْمَةِ الْقَدَمِ الَّتِي جُعِلَتْ بِهَا
كَتِفُ الْبَرِيَّةِ بِالرِّسَالَةِ سُلَّمَا
ثَبِّتْ عَلَى مَتْنِ الصِّرَاطِ تَكَرُّماً
قَدَمِي وَكُنْ لِي مُنْقِذاً وَمُسَلِّمَا
وَاجْعَلْهُمَا ذُخْرِي وَمَنْ كَانَا لَهُ
أَمِنَ الْعَذَابَ وَلَا يَخَافُ جَهَنَّمَا

= وليعلم القارئ أنى اختصرت ولم أذكر نص استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس ولا نص استسقاء معاوية والضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود الجرشى كما أنى اختصرت روايات حديث الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم خشية الإطالة . ومن رام المزيد وإرواء غلته فى هذا الموضوع فعليه أن يقرأ كتاب (قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة) وكتاب (التوسل ، أنواعه وأحكامه) لمحدث العصر محمد ناصر الدين الألبانى فقد عالج الموضوع حفظه الله وبارك فى عمره وحفظ عليه الصحة والعافية بما لا مزيد لمستزيد .

ونختم الكلام بلفت نظر القارئ إلى ما أثبته المؤلف من الأبيات التى جرى هذا التعليق عليها وما تضمنته من التوسل بالذوات وتلك مهزلة ما بعدها مهزلة لأن ذلك يؤدى إلى جواز أن يتوسل الإنسان بنعل رسول الله وبقية أعضاء جسمه صلى الله عليه وسلم ولا أظن أن عاقلا يقول بذلك ولا يرضى به .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر صفة عقبه

صلى الله عليه وسلم

● عن جابر بن سَمُرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْهوسَ العَقِب .

أى قليل لحم العقب .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثالث والعشرون

فى ذكر قدميه

صلى الله عليه وسلم

● عن الحسن ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلَّم خَمْصانَ الأخمصين ، مسيحَ القدمين ، يَنْبو عنهما الماء .

● عن عثمان بن عبد الملك قال : حدثنى خالى وكان من أصحاب على ، عن على قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكف والقدم .

الأخمص : ما ارتفع عن الأرض من باطن الرجل .

والمسيح القدم : الذى ليس بكثير اللحم فيهما . والشثن : الغليظ .

الباب الرابع والعشرون

في ضخامة كراديسه
صلى الله عليه وسلم

• عن عليّ قال : كان رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم ضخم الكراديس .

قال المصنف : الكراديس : رءوس العظام .

• عن إبراهيم بن محمد ، من ولد علي بن أبي طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جليلَ المُشَاش .

قال المصنف : المشاش : رءوس العظام ، مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر اعتدال خلقه
صلى الله عليه وسلم

• عن الحسن ، عن خاله هند قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدلَ الخلْقة بادن متماسك .

والمعنى : أنه كان تامّ خَلْق الأعضاء ، ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره .

الباب السادس والعشرون

فى ذكر طوله

● عن ربيعة أنه سمع أنس بن مالك ينعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : كان رَبْعَةً من القوم ، ليس بالطويل البائن ولا القصير .

● عن البَراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالقصير ولا بالطويل .

● عن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مربوعا .

الأحاديث الثلاثة فى الصحيحين .

● عن إبراهيم بن محمد [من] ولد على بن أبى طالب قال : كان علىّ عليه السلام إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكن بالطويل المُمَغَّط ولا بالقصير المتردد ، وكان ربعة من القوم .

قال الأصمعى : الممغّط : الذاهب طُولًا ، والمتردد : الداخل بعضه فى بعض قِصَراً .

● عن الحسن ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطولَ مِن المَرْبوع ، وأَقْصر من المشذّب .

المشذّب : الطويل الذى ليس بكثير اللحم .

● عن عائشة قالت : كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يماشيه أحدٌ يُنْسَب إلى الطول إلا طالَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وربما ماشَى الرجلين الطويلين فطَوَلهما(١) ، فإذا فارقاه نُسِبا إلى الطول ، ونُسِبَ هو إلى الرَّبْعة .

---

(١) كذا ، والقياس : طالهما .

الباب السابع والعشرون

فى رقة بشرته

صلى الله عليه وسلم

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألينَ الناس كفا ، ما مَسَسْتُ خَزَّةً ولا حريرةً ألينَ من كفه صلى الله عليه وسلم .

● عن عثمان بن عبد الملك قال : حدثنى خالى ، وكان من أصحاب على ابن أبى طالب يوم صِفِّين ، عنِ على عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة .

الباب الثامن والعشرون

فى صفة لونه

صلى الله عليه وسلم

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ، ليس بالأديم ولا بالأبيض الأَمْهَق.

قال المصنف : الأمهق الشديد البياض :

● عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيضَ كأنما صِيغ من فضة .

• عن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْرَباً .

وفي رواية : مُشْرَباً حُمْرَة .

قال المصنف : الْمُشْرَب : الذي فيه بياض حُمْرَة .

• عن أنس قال : كان لون رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْمَرَ .

قال المصنف : هذا الحديث لا يصح(١) ، وهو يخالف الأحاديث كلها .

• عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس لوناً .

الباب التاسع والعشرون

في ذكر حسنه

صلى الله عليه وسلم

• عن البراء قال : ما رأيت شيئاً قط أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرجاه .

• عن أبي إسحق قال : قيل للبراء : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟

---

(١) في شرح الشمائل ١/١٦ قال العراقي : هذه اللفظة انفرد بها حميد عن أنس ورواه غيره عنه « أزهر اللون » ثم نظرنا إلى من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير أنس فكلهم وصفوه بالبياض دون السمرة ، وهم خمسة عشر صحابيا ، وعلى ثبوت هذه الرواية فالمراد بالسمرة الحمرة .

قال : لا ، بل مثل القمر .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن أبى هريرة قال : ما رأيتُ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه .

● عن جابر بن سمرة قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى حُلَّة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلَهُو أحسنُ فى عينيَّ من القمر !

● عن البراء قال : ما رأيت أحداً فى حُلة حمراء مُرجّلا أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له شعر قريب من منكبيه .

أخرجاه .

● عن سعيد الجرَيرى قال : سمعت أبا الطفيل يقول : رأيت النبى ، وما بقى على وجه الأرض أحد رآه غيرى .

قلت : صفه لى : قال : كان أبيض مَليحاً مُقْصدا(١) .

● عن أم معبد أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان أحْلَى الناس وأجمله مِنْ بعيد ، وأجهرَ الناس وأحسنه مِنْ قريب .

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما صِيغ من فضة .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأنورَهم لونا .

---

(١) المقصد : الذى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم ، أى معتدل الخلق .

• عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر .

• عن محمد بن عمار قال : قلت للربيع بنت مُعوِّذ : صِفِى لى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : يابُنى لو رأيتَه رأيت الشمس طالعةً .

• عن ابن عباس قال : لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ، ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه ضوءَ الشمس ، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه على ضوءِ السِّراج .

الباب الثلاثون

فى ذكر عرقه

صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل بيتَ أم سليم فينام على فراشها وليست فيه .

فجاء ذات يوم فنام على فراشها ، فأُتيت فقيل لها : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائمٌ على فراشك ، فجاءت وقد عَرِق الفراش ، ففتحت عَيْبتها(١) فجعلت تنشف ذلك العرَق فتعصره فى قواريرها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماتصنعين ؟

قالت : نرجو بركته لصبياننا .

(١) العيبة : ما يجعل فيه الثياب .

قال : قد أصَبْتِ .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهرَ اللون ، كأنّ عَرَقَه اللؤلؤ .

• عن عائشة قالت : كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه مثل اللؤلؤ الرطب ، أطيبَ من المِسْك الأذْفَر(١) :

• عن علي قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم كأن عَرَقه اللؤلؤ ، وريح عرقه كالمسك .

• عن حبيب بن أبي حردة ، حدثني رجل من بني حريش قال : كنت مع أبي حين رَجَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماعزَ بن مالك ، فلما أخذتْه الحجارةُ أُرعبتُ ، فضمَّني إليه صلى الله عليه وسلم فسال من عرق إبطه مثلُ ريح المسك .

• عن أبي هريرة قال : قال رجل : يارسول الله ، إني زوَّجت ابنتي ، وإني أحب أن تعينني . قال : ماعندي شيء ، ولكن القَنِي غداً وجيء معك بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة قال : فجاء فجعل يسلت العرَق من ذراعيه حتى ملأ القارورة وقال : خذها وأخبر أهلك إذا أرادت أن تتطيب أن تغمس هذا العود في القارورة فتطيب به .

فكانت إذا تطيَّبت شمَّ أهل المدينة ريحاً طيبة فسمُّوا المطيّبين(٢) :

---

(١) الأذفر : الجيد الذكي .

(٢) الحديث باطل ، ذكره السيوطي في كتابه اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/٢٧٤ وقال : آفته جليس بن غالب الكاي . وقال في الميزان : هذا منكر جداً ، وجليس : قال ابن عدي : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : متروك .

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر خاتم النبوة

● عن [الجعد بن[1]] عبد الرحمن قال : سمعت السائب بن يزيد[2] يقول : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت: يارسول الله إن ابن أختي وَجِـع .

فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، وتوضأ فشربتُ من وضوئه وقمت خَلْف ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه ، فإذا هو مثل زرِّ الحَجَلَة .

ورواه البخاري في الصحيح ، عن محمد بن عبد الله ، عن حاتم ، كذا .

والحجلة : بيت كالقبة يستر بالثياب ويجعل له باب من جنسه ويُزَرّ .

ومنه قوله : أعِزُّوا النساء يلزَمْن الحجال .

وقد رواه إبراهيم عن حمزة ، عن حاتم قال : « رز الحجلة » الراء قبل الزاي . ذكره البيهقي .

وقال أبو سليمان ، يعني الخطَّابي ، عن بعضهم : إن زر الحجلة بيض الحجل والحجل على هذا أبيضُ القبج[3] .

---

(١) من شمائل الترمذي .

(٢) يكنى أبا يزيد الكندي ، ولد في السنة الثانية من الهجرة ، وحضر حجة الوداع مع أبيه ؛ ومات سنة ثمانين .

(٣) القبج : طائر .

• عن جابر بن سمرة قال : رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم غُدَّة حمراء مثل بيضة النمام .

• عن عمرو بن أخطب قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا زيد ادْنُ منّى فامسح ظهري(١) . فمسحت ظهره ، فوقعت أصابعى على الخاتم .

قلت : وما الخاتم ؟ قال : شعرات مجتمعات .

• عن أبى نَضْرة(٢) قال : سألت أبا سعيد الخدرى عن خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى خاتم النبوة فقال : كان فى ظهره بَضْعة(٣) ناشزة .

• عن عبد الله بن سَرْجس قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أناس من أصحابه ، فدُرْتُ من خلفه ، فعرف الذى أريده فألقى الرداء عن ظهره ، فرأيت موضعَ الخاتم على كتفه(٤) مثل الجُمْع(٥) حولها خِيلَان(٦) كأنه(٧) الثآليل(٨) .

---

(١) لعل الرسول رأى فى نفسه استشرافاً لمعاينة أمر خاتم النبوة فأحب أن يزيده يقينا . كما فى شرح الشمائل للترمذى .

(٢) اسمه المنذر بن مالك بن قطعة .

(٣) البضعة : قطعة من اللحم ، والناشزة : المرتفعة .

(٤) شمائل الترمذى : على كتفيه . أى قريباً من كتفه الأيسر .

(٥) الجمع : الأصابع أى ضمها إلى الكف ، والتشبيه فى الهيئة لا فى المقدار .

(٦) الخيلان : جمع خال ، وهو الشامة .

(٧) الترمذى : كأنها . (٨) الثآليل : الحبوب التى تظهر فى الجسد .

• عن عبد الله بن سَرْجِس قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزاً ولحماً ، أو قال : ثريداً . ثم دُرْتُ حتى صِرتُ خلفه حتى نظرتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه على نغض كتفه اليسرى جُمْعا عليه خِيلان .

• عن أبى معونة بن قُرَّة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنته أن أُدْخِل يدى فى جُرُبّانه وإنه ليدعو لى ، فما منعه أن دعا لى .

قال : فوجدتُ على نغض كتفه مثل السِّلْعَة(١) .

قال المصنف : الجُرُبّان : جيب القميص . ونغضُ الكتف : فَرْعه .

---

(١) السلعة . غدة تظهر بين الجلد واللحم .

أبوابُ صفاته المعنوية

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

فى حسن خلقه

• عن أنس قال : لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدى ، فانطلق بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن أنسا غلامٌ كَيِّس فليخدمك .

فخدمتهُ فى السفَرِ والحضَر ، والله ما قال لى لشىء صنعتُه : لم صنعته ؟ ولا لشىء لم أصْنعه : لم لا صنعتَ هذا(١) ؟

أخرجاه .

• عن أبى عبد الله الجَدَلى(٢) قال : قلت لعائشة : كيف كان خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهله ؟

قالت : كان أحسنَ الناس خُلقاً . لم يكن فاحشاً ولا متفحِّشاً ولا سخّابا(٣) فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلَها ، ولكن يعفو ويَصْفح .

• عن أنس بن مالك قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبَّابا ولا لَعَّانا ولا فَحَّاشا ، كان يقول لأحدِنا عندَ المَعتبة : تَرِبَ جبينُه .

• وعن عبد الله بن مسعود قال : بَيْنَا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من ثمانين رجلا من قريش ليس فيهم إلا قُرَشى ، لا والله

---

(١) فى مسلم : لم لم تصنع هذا هكذا .

(٢) نسبة لقبيلة جديلة .

(٣) رواية الترمذى : ولا صخابا .

ما رأيت صفحةً وجوهِ رجالٍ قط أحسنَ من وجوههم يومئذ، فذكروا النساء فتحدَّثوا فيهن ، فتحدث معهم حتى أحببتُ أن يسكت .

● عن سِمَاك قال : قلت لجابر بن سَمُرة : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : نعم ، كان طويلَ الصمت قليلَ الضحك ، وكان أصحابُه يذكرون عنده الشِّعر وأشياء من أمورهم ، فيضحكون ويتبسَّم .

● عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام مِنًى تغنيان وتضربان بالدف ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجًّى بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دَعْهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد(١) .

● قالت عائشة : ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد ، حتى أكون أنا أسأَم فأَقعد ، فاقدُروا قَدْرَ الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو .

أخرجاه(٢) .

● عن خارجة بن زيد بن ثابت قال : دخل نفرٌ على زيد بن ثابت فقالوا له : حدِّثنا أحاديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : كنا إذا ذكَرْنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا .

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس خُلقا .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) فى كتاب العيدين وهذا لفظ مسلم .

● عن عائشة قالت : ما كان أحدٌ أحسنَ خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال : لبّيك . فأنزل الله تعالى : « وإنك لعلَى خلقٍ عَظيم » .

● عن عائشة قالت : كنت ألعب بالبنات فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنّ لى صواحب يأتيننى فيلعبن معى ، فينقمعْن إذا رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُسَرِّبهن إلىّ فيلعبن معى .

● عن أنس بن مالك قال : كان إذا لقى رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم واحداً من أصحابه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى يَنْزع عنه .

● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم مَرَّ بصبيان فسلَّم عليهم .

● عن أنس بن مالك قال : مرّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن صِبْيان فقال : السلام عليكم يا صبيان .

الباب الثانى

فى ذكر حلمه وصفحه

صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : سأل أهلُ مكة النبى صلى الله عليه وسلم أن يَجْعل لهم الصَّفا ذهبا وأن ينحِّى عنهم الجبال فيَزْدرعون .

فقيل له : إن شئت أن تَستأنى بهم ، وإن شئت أن نُعْطيهم الذى سألوا ، فإن كفروا أهلكتهم كما أهلكت من قبلهم . قال : (لا بل أَسْتَأنى بهم) .

• عن أبى هريرة قال : جاء الطُّفيل بن عمرو الدَّوسى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنَّ دوساً قد عصَتْ وأبَتْ فادعُ الله عليهم .

فاستقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع يديه ، فقال الناس : هلكوا !

فقال : (اللهم اهدِ دَوْساً وائتِ بهم) .

• عن عروة أن أسامة أخبره أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عليه إكافٌ تحته قطيفة فَدكيَّة ، وأردف وراءه أسامة ، وهو يعود سعدَ ابن عُبادة قَبْل وقعة بدر . حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عَبَدة الأوثان واليهود ، وفيهم عبد الله بن أُبَىّ ، وفى المجلس عبدُ الله بن رَوَاحة .

فلما غشيت المجلسَ عَجَاجةُ الدابة خَمَّر عبد الله بن أُبَىّ أنفَه وتردَّى به ثم قال : لا تغبِّروا علينا .

فسلَّم ثم وقف ونزل ، فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن ، فقال له عبدُ الله بن أبى : لا أحسنَ من هذا إذا كان ما تقول حقًّا ، فلا تُؤذونا به فى مجالسنا [وارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منّا فاقْصُصْ عليه . فقال عبد الله ابن رواحة : اغشَنا فى مجالسنا][1] فإنا نحب ذلك .

فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا أن يتواثبوا[2] ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفِّضهم حتى سكتوا .

ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال : أَىْ سعد ، ألم تسمع ما قال أبو حباب ، يريد ابن أبىّ ، قال كذا وكذا .

قال : أعفُ عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذى أعطاك وإن أهل البُحَيرة قد اصطلحوا على أن يتوِّجوه ، ويعصبوه بالعصابة ، فلما ردَّ الله ذلك بالحق الذى أعطاكه شَرِق بذلك .

فعفا عنه النبى صلى الله عليه وسلم .

أخرجاه .

● عن عبد الله بن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول :

لما توفى عبد الله بن أُبىّ ، دُعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام عليه .

فلما وقف يريد الصلاة عليه ، تحولتُ حتى قمتُ فى صدره فقلت : يا رسول الله ، أعَلَى عدوِّ الله ابن أبىّ ، القائل يوم كذا وكذا كذا وكذا . أعدِّد عليه أيامه .

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من صحيح مسلم ١٨٣/٥

(٢) يتواثبوا : يعنى : يتقاتلوا .

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتبسَّم ، حتى أكثرتُ عليه ، قال :
أخِّر عنى يا عمر ، إنى خُيِّرت فاخترت ، قد قيل لى : استغفر لهم ، أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ، فلن يَغفر الله لهم .

لو أعلم أنى [إن] زدتُ على السبعين غُفر لهم لزدْتُ !

قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه إلى قبره حتى فرغ منه .

قال : فعجباً لى وجرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم .

قال : فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هذه الآية : « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ »(١) .

فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ، ولا قام على قبره حتى قبضه الله(٢) .

● عن أنس أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم متسلِّحين يريدون غِرَّةَ(٣) النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأخذهم سَلَماً واستحياهم . فأنزل الله تعالى : « وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ »(٤) .

● عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له قط ولا امرأةً قط ، ولا ضَرَب بيده إلا أن يجاهد فى سبيل الله .

---

(١) سورة التوبة ٤٨ (٢) أخرجه البخارى والإمام أحمد والترمذى .
(٣) غرة . أى : اغتيال النبى وقتله وأصحابه على غفلة منهم .
(٤) سورة الفتح ٢٤

وما نِيلَ منه شيء فانتقم من صاحبه ، إلا أن تُنْتَهَك محارمُ الله ، فينتقم لله عز وجل .

وما عُرض عليه أمران ، إلا اختار أيسرهما ، إلا أن يكون مَأْثماً ، فإن كان مَأْثماً ، كان أبعدَ الناس منه .

● عن الحسن بن علي ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُغْضبه الدنيا وما كان منها ، فإذا تُعدِّى الحقُّ ، لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها .

● عن عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحد ؟

فقال : لقد لقيتُ من قومك ، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضتُ نفسي على بني عبد كُلَال(١) فلم تُجبْني إلى ما أردت .

فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفقْ إلا وأنا بقَرْن الثعالب ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني ، فنظرتُ ، فإذا فيها جبريل ، فناداني : إن الله قد سمع قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

فناداني ملك الجبال ، فسلّم عليَّ ثم قال : [إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك](٢) يا محمد فما شئت ، إن شئت أطبقتُ عليهم الأخشبين .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يَعْبد الله وحده ولا يشرك به شيئا .

---

(١) صحيح مسلم : على ابن عبد ياليل بن عبد كلال .

(٢) من صحيح مسلم ١٨١/٥

• عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نَجْرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جَبْذةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أثَّرت بها حاشية البرد من شدة جبذته . ثم قال : يا محمد . مُرْ لى من مال الله الذى عندك .

فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ، ثم أمر له بعطاء(١).

• قال البخارى : فلما كان يوم حنين آثر النبى صلى الله عليه وسلم ناساً فى القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائةً من الأبل ، وأعطى عُيَيْنة مثل ذلك ، وأعطى أناسا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ فى القسمة .

فقال رجل : والله إن هذه القِسْمة ، ماعُدِلَ فيها ، وماأريد بها وجه الله.

فقلت : والله لأخبرنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم .

فأتيته فأخبرته فقال : مَنْ يَعْدِلُ إذا لم يَعْدل اللهُ ورسولُه ! رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبَر !

• عن أبى هريرة قال : قيل يا رسول الله ، ادعُ الله على المشركين .

قال : (إنى لم أُبْعَثْ لعَّانا ، وإنما بُعثْتُ رحمةً) .

• عن أبى هريرة قال : لمَّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة طاف بالبيت وصلى فيه ركعتين ، ثم أتى الكعبة وأخذ بعضادَتَىْ الباب ، فقال : (ما تقولون وما تظنون ؟) :

قالوا : نقول أخٌ وابنُ عمٍّ حليمٌ رحيمٌ . قالوا ذلك ثلاثا ،

---

(١) أخرجاه من حديث مالك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أقول كما قال يوسف : لا تَثْرِيبَ(١) عليكم اليومَ يغفرُ اللهُ لكم وهو أرحم الراحمين) .

فخرجوا كأنما نُشِروا من القبور ، فدخلوا فى الإسلام .

● عن عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم الفتح أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صَفْوان بن أبى أمية ، وأبى سفيان بن حرب ، والحارث بن هشام .

قال عمر : فقلت : قد أمكنَنى الله تعالى منهم :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَثَلى ومثلكم كما قال يوسف لإخوته : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) .

قال : فانفضحتُ حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل يعطى الناس يوم حنين من فضةٍ ، فى ثوب بلال .

فقال له رجل : يا نبى الله ، اعدِلْ .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ويحك ! فمن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبتُ إذاً وخسرت إذا كنت لا أعدل !) .

فقال عمر : ألا أضربُ عنقه فإنه منافق ؟

فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتلُ أصحابى !

● عن ابن عمر قال : أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل من

---

(١) قال فى القاموس : ثرب ، لامه وعيره بذنبه . وفى الصحاح « التثريب . كالتأنيب والتعيير فى اللوم) اهـ والمراد هنا : لا لوم ولا عتاب عليكم .

ذهب وفضة ، فجعل يقسمه بَيْن أصحابه ، فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد والله إن الله أمرك أنْ تعدل ، فما أراك تعدل .

قال : (ويحك ! من يَعْدلُ عليك بعدى !) .

فلما ولّى قال : ردُّوه علىّ رويداً .

● عن بَهْز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، أن أخاه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : جيرانى علىّ ما أخذوا .

فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن الناس يزعمون أنك نُهيت عن البغى ثم تستحلى به[1] .

فقال : إن كنتُ أفعل ذلك إنه لعَلَىّ ، وما هو عليكم ، خلُّوا له جيرانه .

● عن عائشة قالت : ابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم جَزُورا من أعرابى بوسقٍ من تمر الذخيرة ، فجاء به إلى منزله ، فالتمس التمرَ ، فلم يجده فى البيت .

قال : فخرج إلى الأعرابى . فقال : يا عبد الله ، إنا ابتعنا منك جزورك هذا بوسق من تمر الذخيرة ونحن نرى أنه عندنا .

فقال الأعرابى : واغدراه .

فوكزه الناس فقالوا : لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا ؟ !

فقال : دعوه .

● عن أبى هريرة أن أعرابيا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستعينه فى شىء ، فأعطاه شيئاً ، ثم قال : أحسنتُ إليك ؟ قال : لا ، ولا أَجْمَلت .

---

(١) كذا ، واستحلى الأمر : رضيه .

قال : فغضب المسلمون وقاموا إليه .

فأشار إليهم : أن كفُّوا . ثم قام فدخل منزله ثم أرسل إلى الأعرابى فدعاه إلى البيت ، [فزاده شيئاً[(١)]] فرضى . فقال : إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك وقلت ما قلت ، وفى أنفس المسلمين شىء من ذلك ، فإن أحببت فقُلْ بين أيديهم ما قلتَ بين يدىَّ ، حتى يذْهب من صدورهم ما فيها عليك .

قال : نعم .

فلما كان الغداة أو العشى جاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم هذا كان جائعا ، فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وإنا دعوناه إلى البيت فأعطيناه ، فزعم أنه قد رضى ، أكذاك ؟

قال الأعرابى : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ألا إن مثَلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة فشردَتْ عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً .

فناداهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى ، فأنا أرفَقُ بها .

فتوجَّه لها صاحبُ الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض ، فجاءت فاستناخت ، فَشَدَّ عليها رحلَها واستوى عليها .

وإنى لو تركتكم حين قال الرجل ما قال ، فقتلتموه دخل[(٢)] النار .

● عن زيد بن أرقم قال : سحَر النبىَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود ، فاشتكى ذلك أياماً ، فأتاه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحَرك فعقد لذلك عُقدا .

---

(١) من الشفا ٩٦

(٢) الأصل : دخلتم . وهو تحريف . وما أثبته من الشفا ٩٦

فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًا فاستخرجها فجاء بها .

فجعل كلمَّا حلَّ عقدةً وجد لذلك خِفَّةً .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عِقَال .

فما ذَكَر ذلك لليهودى و [لا] رآه فى وجهه قط .

● عن أنس قال : خدمتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين ، فما سبَّنى سبَّةً قط ، ولا ضربنى ضربةً ، ولا انتهرنى ، ولا عبَس فى وجهى ، ولا أمرنى بأمر ، فتوانيتُ فيه ، فعاتبنى عليه .

فإن عاتبنى أحدٌ من أهله قال : (دَعُوه ، فلو قُدِّر شىء كان) .

● عن عبد الله بن سَلاَم قال : إن الله عز وجل لمَّا أراد هُدَى زيد ابن سَعْيَة(١) قال زيد : ما من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفته فى وجهه ، سوى اثنتين لمَّا أَخْبُرهما منه : يسبقُ حلمُه جهلَ الجاهل ، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حِلْماً .

فكنت أنطلق إليه لأخالطه وأعرف حلمه ، فخرج يوماً ومعه على ابن أبى طالب ، فجاءه رجل كالبدوىّ ، فقال : يا رسول الله ، إن قرية بنى فلان أسلموا ، وحدَّثتهم أنهم [إن] أسلموا أتتهم أرزاقهم رغَدا .

وقد أصابتهم سنَةٌ وشِدَّة ، وإنى مُشْفق عليهم أن يخرجوا من الإسلام ، فإن رأيتَ أن ترسلَ لهم بشىء يعينهم .

قال زيد : فقلت : أنا أبتاع منكم بكذا وكذا وَسْقًا . فأعطيتُه ثمانين ديناراً ، فدفعها إلى الرجل وقال : اعجَلْ عليهم بها فأَغْنِهم .

فلما كان قبل المَحَلّ بيوم أو يومين أو ثلاثة ، خرج رسول الله صلى الله

---

(١) الأشهر : سعنة . بالنون .

عليه وسلم إلى جنازة فى نفر من أصحابه ، فجبذتُ رداءه جَبْذَةً شديدة ، حتى سقط من عاتقه ، ثم أقبلتُ بوجه جَهْم غليظ ، فقلت : ألا تقضينى يا محمد ، فوالله ما عَلِمْتكم بنى عبد المطلب لَمُطُل .

فارتعدت فرائصُ عمر بن الخطاب كالفُلك المستدير ، ثم رمى ببصره فقال :

أىْ عدوَّ الله ، أتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصنع به ما أرى وتقول ما أسمع ! فوالذى بعثه بالحق ، لولا ما أخاف فَوْتَه لسبقنى رأسُك .

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر فى تُؤَدة وسكون ، ثم تبسّم وقال : أنا [وهو](١) أحوجُ إلى غير هذا ، أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة ، اذهب يا عمر فاقضه حقَّه وزده عشرين صاعاً من تمر .

فقلت : ما هذا ؟

قال أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكانَ منازعتك .

فقلت : أتعرفنى يا عمر ؟

قال : لا ، فمن أنت ؟

قلت : أنا زيد بن سَعْيَة .

قال : الحَبْر ؟

قلت : الحَبْر .

قال : فما دعاك أن تفعل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلت ؟ وتقولَ له ما قلت ؟

(١) من الشفاء ٨٤ .

قلت : يا عمر ، إنه لم يَبْقَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته فى وجه رسول الله صلي الله عليه وسلم حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أَخْبَرْهما منه : يسبقُ حلمُه جهلَه ، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حِلْماً ، فقد اختبرتُه منه ، فأشهدك يا عمر ، أنى رضيتُ بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيًّا ، وأشهدك أنَّ شَطْر مالى لله ، فإنى أكثرُها مالًا ، صدقةً على أمة محمد صلي الله عليه وسلم .

فقال عمر : أو على بعضهم ، فإنك لاتَسَعهم كلهم . قلت : أو على بعضهم.

قال : فرجع عمر وزيد بن سَعْيَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

فآمن به وصدَّقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة .

• عن الزُّهرى قال : إن يهوديا قال : ما كان بقى شىء مِن نَعْت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة إلا رأيتُه إلا الحِلْم .

وإنى أَسْلَفْتُه ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم ، فتركته حتى بقى من الأجل يوم ، فأتيته فقلت : يا محمد : أَوْفِنِي حقى ، فإنكم معاشر بنى عبد المطلب مُطْل .

فقال عمر : يايهودى جُنِنتَ ؟ ! أما والله لولا مكانُه لضربتُ الذى فيه عيناك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غفر الله لك يا أبا حفص ، نحن كنا إلى غير هذا منك أحْوجَ ، إلى أن تكون أمرتنى بقضاء ما علىَّ ، وهو إلى أن تكون أَعَنْتَه فى قضاء حقه أحْوَجُ .

قال : فلم يزده جهلى عليه إلا حلماً ، قال : يهودىُّ[1] إنما يحلُّ حقُّك غداً .

ثم قال : يا أبا حفص ، اذهب إلى الحائط الذى كان سأل أول يوم .

فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعا ، وزده لِما قلتَ له كذا وكذاصاعا .

وإن لم يَرْضَه ، فأعطه ذلك من حائط كذا وكذا .

فأتى به الحائط فرضى ، فأعطاه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أمره من الزيادة .

فلما قبض اليهودى تمرَه قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله .

وإنه — والله — ما حملنى على ما رأيتنى صنعتُ يا عمر ، إلا أنى كنتُ رأيتُ صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة كلها إلا الحِلْم .

فاختبرتُ حلمه اليوم ، فوجدتُه على ما وُصِف فى التوراة .

وإنى أشهدك أن هذا التمرَ وشطرَ مالى فى فقراء المسلمين .

فقال عمر : أو على بعضهم . فقال : أو بعضهم .

وأسلم أهل بيت اليهودى كلهم إلا شيخاً كان له مائة سنة ، فبقى على الكفر .

---

(١) يهودىُّ . أى : يا يهودىُّ . حذف منه أداة الندا (يا) تخفيفاً .

البابُ الثالث

فى نهيه أن يبلغ ما لا يصلح

• عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يُبلِّغنى أحدٌ منكم عن أحد من أصحابى شيئاً ، فإنى أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصَّدْر .

قال : فأتاه مال فقسمه ، فانتهيت إلى رجلين يتحدثان ، وأحدهما يقول لصاحبه : والله ما أراد محمد بقسمته التى قَسَم وجه الله والدار الآخرة .

قال : فوثبت حين سمعتها ، ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرتُ له ذلك ، ثم قلتُ :

إنك قلت : لا يبلغنى أحدٌ عن أحد من أصحابى شيئاً ، وإنى سمعت فلاناً وفلاناً يقولان : كذا وكذا . فاحمرَّ وجهه وقال :

دعنا منك ، فقد أوذى موسى بأكثر من مثل هذا فصبر !

الباب الرابع

في ذكر شفقته ومداراته

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني لأدخل في الصلاة وأنا أريدُ أن أطيلها فأسمع بكاءَ الصبيّ فأتجوّز(١) في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْد أمه من بكائي » .

● عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إني لَأقوم في الصلاة فأُريد أن أطوّل فيها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشقّ على أمه » .

انفرد بإخراج هذا البخاري ، واتفقا على الذي قبله .

● عن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة في المسجد من حصير ، فصلّى فيها ليالي ، حتى اجتمع إليه ناس ، ثم فقد صوتُه ، فظنوا أنه قد نام ، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم ، فقال :

« ما زال بكم الذي رأيتُ من صنيعكم ، حتى خشيتُ أن يُكتب عليكم ، ولو كُتب عليكم ما قُمتم به ، فصلُّوا في بيوتكم ، فإن أفضلَ صلاةِ المرء في بيته إلا المكتوبة» .

---

(١) فأتجوز (أي لا أطيل الصلاة) .

● عن أنس قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أين أبى ؟

قال : فى النار .

فلما رأى ما فى وجهه قال : (إنّ أبى وأباك فى النار) .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، واتفقا على الذى قبله .

● عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصّفا ذهباً . ونؤمنُ بك .

قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم .

فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئتَ أصبح لهم الصّفا ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذّبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحتُ لهم باب التوبة والرحمة .

[قال : بل التوبةُ والرحمةُ](١) .

● عن أبى أمامة أن فتى شاباً أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ائذن لى فى الزنا .

فأقبل عليه القومُ فزجروه وقالوا : مه مه .

فقال : أُدْنُهُ .

فدنا منه قريباً ، فجلس . قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبّونه لأمهاتهم .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من تاريخ ابن كثير ، والحديث أخرجه أحمد .

أفتحبُّه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

أتحبُّه لأختك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم .

أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم .

أتحبه لخالتك ؟ قال لا : والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك .

قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم .

قال : فوضع يده عليه ثم قال : اللهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه وحصِّن فرجَه.

قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء .

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قولَ الله تعالى : « رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) » .

وقولَ عيسى : « إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) » .

فرفع يديه وقال : اللهم أُمَّتى أُمَّتى . وبكى . فقال الله عز وجل : ياجبريل ، اذهب إلى محمد ، وربُّكَ أعلم ، فَسَلْهُ ما يبكيه .

فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة إبراهيم ٣٦ (٢) سورة المائدة ١١٨ .

قال : فقال الله عز وجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل له : إنّا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك .

● عن أنس بن مالك قال : بَيْنا نحن جلوس فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد ، فقال أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه مه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُزْرِموه(١) ، دعوه . فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : (إن المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول والقذر ، إنما هى لذكر الله تعالى والصلاة ، وقراءة القرآن) .

وأمرَ رجلا فجاء بدلو من ماء فشَنَّه(٢) عليه .

● عن عائشة أن رجلا استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إيذنوا له فبئس أخو العشيرة . فلما دخل عليه ، ألانَ له القول .

فقالت عائشة : فقلت : يا رسول الله ، قلتَ له الذى قلت ، ثم ألنتَ له القول :

قال : يا عائشة ، إن شرَّ الناس منزلةً عند الله يوم القيامة ، مَنْ تركه الناسُ اتِّقاءَ فُحْشه .

● عن مسعود بن الحكم قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فعطس رجل من القوم فقلت : رحمك الله . فرمانى القوم بأَبصارهم وضربوا بأَيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتُهم يُصْمِتونني سكتُّ .

قال : فدعانى النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لا تزرموه : لا تقطعوا عليه بوله . (٢) شنه : صبه .

بأبى وأمى ، ما رأيتُ معلِّماً أحسنَ تعليما منه . ما ضربَنى ولا سبَّنى . ثم قال : « إنَّ هذه الصلاة لا يَصْلُح فيها شىء من كلام الآدميين ، إنما هو التسبيح والتحميد والتكبير » :

● عن مالك بن الُحوَيْرث قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رفيقاً ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا قد اشْتَقْنَا أهلَنا ، فسألَنا عمن تركنا من أهلنا ، فأخبرناه ، فقال : ارجعوا إلى أهاليكم فأقيموا فيهم » .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قعد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه ، فإن كان غائباً دعا له ، وإن كان شاهداً زاره ، وإن كان مريضاً عاده .

الباب الخامس

في ذكر حيائه

صلى الله عليه وسلم

• عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء فى خِدْرها(١) ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه .

• عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على رجل صُفْرَةً فكرهها وقال : [ألا] أمرتم هذا أن يغسل هذه الصُّفْرَة .

وكان لا يواجه أحداً فى وجهه بشىء يكره .

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شىء لم يقل له : قلتَ كذا وكذا .

• عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيِيًّا(٢) لا يُسْأل عن شىء إلا أعطَى .

---

(١) قال فى المختار من الصحاح : العذراء : البكر من النساء اهـ . و «الخدر» هو الستر ، والجمع خدور ويطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة وإلا فلا ، وأخدرت الجارية : لزمت الخدر اهـ من المصباح المنير .

(٢) حيبا : أى : كثير الحياء .

الباب السادس

فى ذكر تواضعه

صلى الله عليه وسلم

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : استبَّ مسلمٌ ويهودى .

فقال المسلم : والذى اصطفى محمداً على العالمين .

وقال اليهودى : والذى اصطفى موسى على العالمين .

فغضب المسلم على اليهودى فلطمه ، فأتى اليهودىُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فاعترف بذلك .

فقال عليه الصلاة والسلام : لا تخيِّرُونى على موسى ، فإن الناس يُصْعقون(١) يومَ القيامة ، فأكون أولَ من يُفيق ، فأجد موسى ممسكا بجانب العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صُعِق فأفاق قَبْلى ، أم كان ممن استثناه الله تعالى .

---

(١) المراد : يُغْشَى عليهم . قال فى أساس البلاغة : صعقتهم السماء وأصعقتهم : أصابتهم بصاعقة وهى نار لا تمر بشىء إلا أحرقته مع رعد شديد .

وفى المختار من الصحاح : « صعقتهم السماء » من باب (قطع) إذا ألقت عليهم الصاعقة . والصاعقة أيضاً : العذاب . وصعق الرجل بفتح الصاد وكسر العين ، صعقة : غشى عليه . وفى الأساس صُعِق وصَعِق إذا غشى عليه من هدة أو صوت شديد يسمعه . وصعق : مات . وقوله تعالى : (فصعق من فى السماوات والأرض) أى : مات .

• وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما ينبغى لعبد أن يقول : أنا خيرٌ من يونس بن متَّى .

• عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تُطْرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبدُ الله ورسوله) .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « فَاسْأَلْهُ مَابَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كنتُ أنا ، لأسرعتُ الإجابةَ ، وما ابتغيتُ العُذْرَ .

• وسئلت عائشة رضى الله عنها ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع إذا دخل بيته ؟

قالت : كان يكون فى مَهْنَةِ أهله(١) ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلّى .

• عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال : يا محمد ، يا سيدنا وابن سيدنا وخَيْرنا وابن خيرنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس : قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبدُ الله ورسولُه ، والله ما أحبُّ أن ترفعونى فوق منزلتى .

• وقيل لعائشة رضى الله عنها : ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ؟

---

(١) فى مهنة أهله ، أى: فى خدمتهم . «ومهنة» بفتح الميم لا غير كما فى المصباح .

قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَشَراً من البشر ، يُفلِّى ثوبه ، ويحلب شاته ويخدم نفسه .

● وفى رواية : يصنع فى بيته كما يصنع أحدكم فى بيته ، يَخْصف النعلَ ويرقع الثوبَ .

● عن البَرَاء رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل الترابَ ، وقد وارَى البياضُ بياضَ بطنه .

● عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُودُ المرضى ويشهد الجنائز ، ويأتى دعوةَ المملوك ، ويركب الحمار ، ولقد رأيته يوماً على حمار خطامه ليف .

● وعنه قال : كان غلام يهودى يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده النبى صلى الله عليه وسلم وقال : أتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟

فنظر الغلام إلى أبيه ، فقال أبوه : قل ما يأمرك به محمد . فقالها ، فمات .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صلوا على أخيكم وادفنوه .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لو دُعيتُ إلى كُرَاع(١) لأجبتُ ، ولو أهدى إلىَّ ذِراعٌ لقبلتُ) .

● عن أنس رضى الله عنه : ما كان شخص أحبَّ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لِمَا يعلمون من كراهيته لذلك .

---

(١) الكراع . بضم الكاف : مستدق الساق .

• عن الحسن رضى الله عنه أنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال : لا والله ما كان يُغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحُجّاب ، ولا يُغدَى عليه بالجفان ولا يُرَاح عليه بها .

ولكنه كان بارزاً ، من أراد أن يَلْقَى نبىَّ الله لقيه .

كان يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ويُرْدف بعده ، ويَلْعق والله يدَه ! صلى الله عليه وسلم .

• عن قيس بن أبى حازم أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما قام بين يديه استقبلته رِعْدة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (هَوِّن عليك ، فإنى لستُ مَلِكاً ، إنما أنا ابنُ امرأة من قريش كانت تأكل القديدَ)(١) .

• عن أنس رضى الله عنه ، أن امرأة كانت فى عقلها شىء ، فقالت : يا رسول الله إن لى إليك حاجة .

قال : يا أم فلان خذى فى أى طريق شئت قومى فيه حتى أقوم معك !

فخلا معها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يناجيها حتى قضت حاجتها .

• وعنه قال : إنْ كانت الوليدةُ من ولائد المدينة تجىء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يَنْزِع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت .

• عن ابن أبى أوْفَى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنفُ ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى له حاجته .

---

(١) القديد : اللحم المقدد . أى المجفف .

• عن قدامة بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجَمْرة على ناقة شهباء ، لا ضَرْبَ ولا طَرْدَ ، ولا إِلَيْكَ !

• عن نصر بن وهب الخُزاعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حماراً مَرْسوناً بغير سَرْج موكف عليه قطيفة جُورية(١) ، ثم دعا معاذا فأردفه .

• عن أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بنسوة فسلَّم عليهن .

وقد سبق أنه كان يسلّم على الصبيان .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى ذَرٍّ . قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بَيْنَ ظَهرانَىْ أصحابه . فيجيء الغريبُ فلا يَدْرى أيهم هو حتى يَسْأل .

فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكانا(٢) من طين ، فكان يجلس عليه ونجلس بجانبيه .

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله كُلْ ، جعلنى الله فداك ، متكِئاً فإنه أهْوَنُ عليك .

قال : لا ، بل آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

• وعنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءنى ملَك . فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : إن شئت نبيًا عَبْداً وإن شئت نبيًا مَلِكا .

---

(١) جورية : نسبة إلى جور مدينة بفارس .

(٢) دكانا . أى : مصطبة .

فنظرتُ إلى جبريل فأشار لى : أنْ ضَعْ نفسك .

فقلت : نبيًّا عَبْداً .

● عن عبد الله بن أبى أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْثِر الذِّكرَ ويُقِلُّ اللَّغو ، ويطيل الصلاةَ ويُقَصِّر الخطبة ، ولا يأنف ولا يستنكف أن يمشى مع الأرملة والمسكين يقضى لهما حاجتهما .

● عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كنت فى عصابة من المهاجرين جالساً ، وإنَّ بعضَهم يَسْتتر ببعض من العُرْى ، وقارىء لنا يقرأ علينا ، فكنا نستمع إلى كتاب الله .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرتُ أن أَصْبِرَ معهم نفسى .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليَعْدِلَ بيننا بنفسه . فقال : أبشروا معاشر صعاليك(١) المهاجرين بالنور التام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام .

---

(١) صعاليك . أى : فقراء .

الباب السابع

فى أنه بعث رحمة

صلى الله عليه وسلم

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ، ادعُ على المشركين .

قال : (إنى لم أُبْعَثْ لعّانا وإنما بُعِثتُ رحمة) .

● وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما أنا رحمةٌ مُهْداة) .

قلت : وهذا الحصر مؤيَّدٌ بقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)(١) .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧

الباب الثامن

في ذكر اشتراطه على ربه سبحانه

أن يجعل سبَّه لمن سَبَّ من المسلمين أجراً

● عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه ، إنما أنا بشر ، فأيُّ المؤمنين آذيته أو شتمته أو جَلَدْتُهُ فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة)(١) .

● عن أنس رضي الله عنه قال : كانت عند أم سليم يتيمة ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اليتيمة فقال : آنتِ ، هيه ، لقد كبرتِ لا كَبِر سنُّك !

فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي ، فقالت أم سُليم : يا بنيَّة مالك ؟

قالت : دعا عليَّ نبي الله أن لا يكبر سني ، فالآن لا يَكبَر سنِّي أبداً .

فخرجت أم سليم مستعجلة تَلُوثُ خمارها حتى لقيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : مالك يا أم سليم ؟

فقالت : أدعوتَ على يتيمتي ألا يَكْبَرَ سِنُّهَا ؟ !

فضحك ثم قال : يا أم سليم ، أما تعلمين أن شرطي على ربي أني

---

(١) أخرجه مسلم ٨/٢٥ . وروايته . آذيته شتمته لعنته جلدته .

اشترطت على ربى عز وجل ، فقلت : إنما أنا بَشَرٌ أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب الرجل(١) ، فأيما أحد دعوتُ عليه من أمتى ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً وزكاة وقُرْبَة تقربه إلىّ(٢) يوم القيامة .

قال ابن عقيل : أما لعنه فى الخمر فتشريع للزجر ، فلو كانت وضعت للزجر ثم أبان أنها رحمة ، خرجت عن موضعها ، فيصير ذلك ترغيباً فى المعصية .

وذلك غير جائز على الشارع .

اللهم إلا أن يكون أراد به من وجهٍ أنه رحمة فى [غايته] ذلك أن لَعْن الرسول لمن لعنه يكون عند من لعنه غاية فى المنع عن ارتكاب ما لعنه عليه وحاملا له على التوبة ، فيكون مُسَمَّياً للعنة رحمةً حيث أفضت إلى الرحمة ، تسمية للشىء باسم ما يؤول إليه .

---

(١) صحيح مسلم ٨/٢٨ ، كما يغضب البشر .

(٢) مسلم . تقربه بها منه .

الباب التاسع

فى ذكر جوده

صلى الله عليه وسلم

● عن جابر رضى الله عنه قال : ما سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا .

● عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس ، وكان أجودَ ما يكون فى رمضان ، حين يلقى جبريل عليه السلام ، وكان جبريل يلقاهُ فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . قال :

فلرَسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

● عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يُسْأَلُ شيئاً على الإسلام إلا أعطاه .

قال : فأتاه رجل فسأله ، فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة .

قال : فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة(١) !

● عن جُبَير بن مطعم رضى الله عنه قال :

---

(١) الفاقة : الفقر .

بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة[١] من حُنَين عَلِقَه الأعراب يسألونه ، حتى اضطروه إلى سَمُرَة فخطف رداءه .

فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : رُدُّوا عليَّ ردائى ، أتخشون عليَّ البخل ؟ ! فلو كان لى عدد هذه العضاه ذهباً لقسمته بينكم ، لا تجدونى بخيلا ولا كذاباً ولا جباناً .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صُبْرَةٌ من تمر ، فقال : ما هذا يا بلال ، فقال : أدّخِره يا رسول الله ! قال : أما تخشى أن يكون له سجار[٢] فى النار ؟ أنفق بلال ولا تخش إقلالا .

● عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئاً لغدٍ .

● عن هارون بن رئاب قال : قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبعون ألف درهم ، وهو أكثرُ مالٍ أُتى به قط ، فوضع على حصير ، ثم قام فقسمه ، فما ردَّ سائلا حتى فرغ منه .

---

(١) مقفلة : أى راجعة .

(٢) الأصل : بخانى . وما أثبته من حلية ١/١١٩ . وسجر التنور : أحماه .

الباب العاشر

فى ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم

● عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجودَ الناس ، كان فزَعٌ بالمدينة فخرج الناس قِبَل الصوت فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم فاستبرأ الفزعَ على فرس عُرْى لأبى طلحة ما عليه سرج ، فى عنقه السيف ، فقال : لم تراعوا .

وقال للفرس : وجدناه بحراً ، وإنه لبحر .

● عن البراء رضى الله عنه أنه سأله رجل من قيس فقال : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنَين ؟ فقال البراء : ولكنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ ، كان هوازن قوماً رُمَاة ، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا ، فأكْبَبْنا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها ، وهو يقول :

أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطلب

● عن على رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذُ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ .

● وعنه قال : كنا إذا احمرَّ البأس ولقى القومُ القومَ ، اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كان أحدٌ أقرب إلى العدو منه .

● عن البراء رضى الله عنه قال : كنا والله إذا احمرَّ البأس ، نتّقى به ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن الشجاع منا ، الذى يحاذِى به .

الباب الحادى عشر

فى ذكر مزاحه وملاعبته

وأنه لا ينطق إلا بالحق

● عن أنس رضى الله عنه أن رجلا من أهل البادية يقال له زاهر، وكان يهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن زاهراً بادينا ونحن حاضروه.

وكان رجلا دميما، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، والرجل لا يبصره، فقال: أرسلنى، من هذا؟!

فالتفت فعرف النبى صلى الله عليه وسلم، فجعل لا يألوا، ما ألصق ظهره بصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرفه.

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من يشترى العبد!

فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدنى كاسداً. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: لكن عند الله لست بكاسد. أو قال: لكن أنتَ عند اللهِ غالٍ.

● عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبْدُنْ(١).

فقال للناس: تقدموا، فتقدموا.

---

(١) لم أبدن. أى: لم يكثر لحمى ولم يثقل جسمى من السمن.

ثم قال : تعال حتى أسابقك ، فسابقته ، فسبقته . فسكت عنى .

حتى إذا حملتُ اللحمَ ، وبدنتُ ونسيت ، خرجت معه فى بعض أسفاره ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، فقال لى : تعال حتى أسابقك فسابقته فسبقنى .

فجعل يضحك ويقول : هذه بتلك .

عن أنس رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ياذا الأذنين ، قال أبو أسامة : يمازحه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدْلَعُ (١) لسانَه للحسن بن على رضى الله عنهما ، فيرى الصبىُّ حُمْرةَ لسانه فيهشُّ إليه .

• عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضى الله عنه قال : ما رأيتُ رجلا أكثر مزاحاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأمزحُ ولا أقولُ إلا حقا .

• عن أنس رضى الله عنه أن رجلا أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : احملنى . فقال : إنّا حاملوك على ولد الناقة .

قال : وما أصنع بولد الناقة ؟ فقال : وهل تلِد الإبلَ إلا النوقُ !

• وقال : لا يدخل الجنة عجوز .

قال : إن عجوزاً دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن شىء فقال لها ومازحها : إنه لا يدخل الجنة عجوز .

---

(١) يدلع : يخرج لسانه من فمه .

وحضرت الصلاة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فبكت بكاء شديداً ، حتى رجع النبى صلى الله عليه وسلم .

فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن هذه المرأة تبكى لما قلت لها : إنه لا يدخل الجنة عجوز !

فضحك وقال : لا يدخل الجنة عجوز ، ولكن قال الله تعالى :

« إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً .فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً أَتْرَاباً »(١) وهن العجائز الرمص .

وعنه أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أم سليم ، فرأى أبا عُمير حزيناً فقال : يا أم سليم ، ما بالُ أبى عمير حزيناً ؟

قالت : يا رسول الله ، مات نُغَيره(٢) .

فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ !

- عن ابن عباس قال : كانت فى النبى صلى الله عليه وسلم دعابة .
- عن أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس .
- عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مَزَّاحًا ، وكان يقول : إن الله لا يؤاخذ المَزَّاح الصادق فى مزاحه .
- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كنت أكتب كل شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه .

---

(١) سورة الواقعة . الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ . العروب من النساء : المتحببة إلى زوجها وجمعه : عرب ، بضم العين والراء .

(أترابا) أى : مستويات فى السن ومفرده (ترب) بكسر التاء .

(٢) النغير : نوع من الطير مثل العصفور .

فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله يتكلم فى الغضب .

فأمسكت عن الكتابة ، وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اكتب ، فوالذى نفسى بيده ما خرج منى إلا حق .

• عن خَوات بن جُبير قال : نزلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظهران ، فخرجت من خبائى(١) فإذا نسوة يتحدثن ، فأعجبننى .

فرجعت ، فأخرجت حلة لى من حبرة فلبستها ، ثم جلست إليهن .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبته ، فقال :

يا أبا عبد الله ، ما يجلسك إليهن ؟

فهِبْت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا رسول الله ، جملٌ لى شَرود ، أبتغى له قيداً .

قال : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعته ، فألقى رداءه ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ ، ثم جاء فقال : أبا عبد الله ، ما فعل شِرَادُ(٢) جملك ؟ !

ثم ارتحلنا ، فجعل لا يلحقنى فى منزل إلا قال لى : السلام عليك يا أبا عبد الله ، ما فعل شِرادُ جملك ؟ !

قال : فتعجلت إلى المدينة ، فاجتنبت المسجدَ ومجالسةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما طال ذلك ، تحيَّنْتُ ساعة خلوة المسجد فجعلت أصلى .

---

(١) خبائى . أى : خيمتى .
(٢) شرد الجمل شرادا : نفر .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حُجَره ، فجاء يصلى ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جاء فجلس ، وطوّلت رجاء أن يذهب ويدَعنى .

فقال : طوِّل ، يا أبا عبد الله ما شئتَ ، فلستُ بقائم ، حتى تنصرف !

فقلت : والله لأعتذرنَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبردنَّ صدره .

قال : فانصرفتُ ، فقال : السلام عليك يا أبا عبد الله ، ما فعل شِرادُ الجمل ؟ !

فقلت : والذى بعثك بالحق ما شردَ ذلك منذ أسلمتُ .

فقال : (رحمك الله) مرتين أو ثلاثا ، ثم أمسك عنِّى فلم يَعُدْ .

أبوابُ آدابه وسِمته

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

في جعله يده اليمنى للطهور
واليُسْرَى لدفع الأذى

• عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت يده اليمنى لطهوره وطعامه ، وكانت يده اليسرى لخلائه وما به من أذى .

الباب الثاني

في فعله عند عطسته

• عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس يَخْفِض صوته وتلقَّاها بثوبه وخَمَّر(١) وجهه .

• وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم [كان] إذا عطس خَمَّر وجهه وأخفَى عطسته .

* * *

(١) خمر : غطى .

الباب الثالث

فى محبته التيامن فى أعماله

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ شيئاً أخذه بيمينه ، وإذا أعطى أعطى بيمينه ، ويبدأ بميامنه فى كل شىء .

الباب الرابع

فى ذكر جلسته

عن قَيْلة بنت مَخْرمة أنها رأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهى قاعدة القرفصاء ، قالت : فلما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشعَ فى الجلسة أُرعدْتُ من الفرَق .

الباب الخامس

فى ذكر احتبائه

• عن أبى سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المجلس احتبى(١) بيديه .

(١) الاحتباء : أن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

البَابُ السَّادِسُ

فى ذكر اتكائه

• عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على وسادة على يساره(١) .

البابُ السابع

فى ذكر استلقائه

• عن عَبّاد بن تميم ، عن عمِّه(٢) ، أنه رأى النبىَّ صلى الله عليه وسلم مُستلقياً فى المسجد ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى .

---

(١) هذا لبيان الواقع ، لا للتقييد .

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عاصم ، روى صفة الوضوء وغيره ، ويقال : هو الذى قتل مسيلمة الكذاب ، روى عنه الستة .

الباب الثامن

فى صفة منطقه وألفاظه

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا .

● وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [كان] إذا تكلم بكلمة ردّها ثلاثا ، وإذا أتى قوماً فسلّم عليهم سلّم ثلاثا .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يَسْرد سَرْدَكم هذا ، كان يتكلم بكلام يُبِينُه ، فَصْلاً(١) يحفظه من يَسْمعه .

● وفى رواية عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدِّث حديثاً ، لو عَدّه العادُّ لأحصاه .

● عن الحسن بن على قال : سألت خالى هنداً فقلت :

صِفْ لى مَنْطقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال :

كان لا يتكلم فى غير حاجة ، طويل السَّكْت ، يفتتح الكلم(٢) ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم ، فَصْلاً لا فُضُول فيه ولا تقصير .

● عن أم مَعْبَد قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا صمت ، فعليه الوقار ، وكأنّ مَنْطقه خَرزات نظمٍ يتحدّرن ، حلو المنطق لا نَزْرٌ ولا هَذْر(٣) .

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا تكلم رُئِيَ كالنور من ثناياه .

---

(١) رواية الترمذى فى الشمائل : بكلام بين فصل .

(٢) شمائل الترمذى : الكلام .

(٣) النزر : القليل . والهذر : السقط فى الكلام .

الباب التاسع

فى ذكر تحريك يده حين يتكلم

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشار ، أشار بكفه كلها ، وإذا تعجّب ، قلّبها ، وإذا [تحدّث][١] اتّصل[٢] بها ، وضرب براحته اليمنى بطنَ إبهامه اليسرى ، وإذا غضب ، أعرض وأشاح .

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من شمائل الترمذى ٢/١٦

(٢) اتصل : أى حديثه للفهوم من تحدث .

الباب العاشر

في ذكر منبره

صلى الله عليه وسلم

● عن سهل بن سعد أنه سئل عن المنبر من أيّ عود هو ؟

قال : أمَا والله إنى لأعرف من أيّ عُود هو ، وأعرف من عَمله وأيّ يوم صُنع ، ورأيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم أيّ يوم جلَس عليه .

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى امرأة لها غلام نجار فقال لها : مُرِي غلامَكِ النجار أن يعمل لى أعواداً أجلس عليها إذا كلمتُ الناس .

فأمرَتْه فذهب إلى الغابة ، فقطع طَرْفاً ، فعمل المنبر ثلاث درجات .

فأرسلت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فوضعه فى موضعه الذى تَرون .

فجلس عليه أول يوم ، فكبَّر وهو عليه ، ثم ركع ، ثم نزل القهقرى فسجد ، وسجد الناس معه ، ثم عاد حتى فرغ .

فلما انصرف قال : يا أيها الناس ، إنما فعلت هذا ، لتأتموا بى وتعلموا صلاتى .

الباب الحادي عشر

في ذكر فصاحته
صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب ، وكان يقول :

إن الله أدَّبني ، فأحسن تأديبي ، ونشأتُ في بني سعد .

وقال : بُعِثْتُ بجوامع الكلم .

● عن عمر بن الخطاب أنه قال : يا رسول الله ، مالك أفْصَحنا ولم تخرج من بين أظْهُرِنا ؟

قال : (كانت لغة إسماعيل قد دَرَسَت ، فجاء بها جبريل فحفظتها)(١) .

● عن بريدة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ أفصح الناس ، كان يتكلم بالكلام ، لا يَدْرون ما هو ، حتى يخبرهم .

● عن علي قال : ما سمعت كلمة غريبة من العرب ، إلا وقد سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسمعته يقول : (مات حَتْفَ أنفه) ، وما سمعتها من عربي قبلَه .

قال المؤلف رحمه الله : كلُّ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حِكَمٌ وفصاحة .

---

(١) رواه أبو نعيم .

ومن طرائفها : (إياكم وخضراء الدِّمن)[١] .

(إن ممّا يُنبت الربيعُ ، لَمَا يقتل حَبطاً أو يُلِمّ[٢]) .

و (لا يُلدَغ المؤمن مِنْ جُحْر مرتين) .

و (الناس كأسنان المشْط) . و (المرء كثيرٌ بأخيه) .

وقوله للأنصار : (إنكم لَتَقِلُّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع) .

وقوله : (خير المال ، مُهْرَة مأثورة[٣] ، أو سكة مأبُورَة)[٤] .

وقوله : (خير المال ، عين ساهرةٌ ، لعين نائمة) .

و (من بَطَّأَ به عمله ، لم يُسْرِع به نسبه) .

وقوله : (حبُّك الشيء يُعمِى ويُصِمّ) .

و (كُلُّ الصيد ، فى جوف الفرا)[٥] . (القناعة مالٌ لا ينفد) .

ومثل هذا كثير .

---

(١) الدمن : العطن والبعر . والمراد : منبت السوء .

(٢) الحبط : وجع يبطن البعير ، من كلأ يكثر منه ، فلا يخرج منه شيء . ويلم : يكاد .

(٣) المهرة : الأنثى من ولد الفرس . والمأثورة . النفيسة .

(٤) السكة : السطر من النخل ، و « المأبورة » : الملقحة .

(٥) الفرأ ، كجبل ، حمار الوحش ، وقد ترك الهمز فى المثل لأنه موضوع على الوقف ، والمعنى : كل الصيد دونه .

الباب الثانى عشر

فى تكلمه بالفارسية

● عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : قوموا ، فقد صنع لكم جابر سُوراً .

قال أبو العباس ثَعلب : إنما يراد من هذا ، أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلَّمَ بالفارسية ، صنع سُوراً ، أى : طعاماً ، دعا إليه الناس .

● عن مجاهد ، عن أبى هريرة ، قال : مَرَّ بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أشتكى بطنى ، فقال : يا أبا هريرة : اشتكيت درد اشتكيت دَرْد ؟ عليك بالصلاة فإنها شفاء من كل سقم .

قال المؤلف : هذا الحديث لا يَثبت عند علماء النقل .

قالوا : أبو هريرة لم يكن فارسيا ، إنما مجاهد فارسى ، فالذى قال هذا ، أبو هريرة ، خاطب به مجاهداً .

ومن رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَهِم .

وقد روى هذا الحديث ، إبراهيم بن البراء ، من طريق أبى الدرداء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذلك ، وإبراهيم يحدِّث عن الثقات بالموضوعات .

الباب الثالث عشر

في ذكر ما تمثل به من الشعر

• قال البراء : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الأحزاب ، ينقل التراب وقد وارى الترابُ بياضَ إبطيه وهو يقول :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

• وعنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

• عن جندب بن سفيان البَجلى قال : أصاب حجرٌ إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَدَمِيَتْ فقال :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ

• وقد قيل لعائشة رضى الله عنها : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشىء من الشعر ؟ قالت : كان يَتمثل بشعر ابن رواحة ، ويتمثل بقوله :

* وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ *

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أَصْدَقَ كلمة قالها شاعر ، كلمةُ لَبيد :

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ *

وكاد شعر أمية بن أبى الصَّلْت [أن] يُسْلِم .

الباب الرابع عشر

فى ذكر ماسمع من الشعر

● عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أردفَنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء ؟

قلت : بلى يارسول الله . قال : هيه . حتى أنشدته مائة بيت .

● وعن نابغة قال : أنشدتُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم :

بَلَغْنَا السَّماءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرَا

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة قال : أجل ، إن شاء الله .

ثم قلت :

وَلَا خَيْرَ فِى حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِى جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
حَلِيمٌ إِذَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ .

● عن سعيد بن المسيب قال : قَدِمَ كعبُ بنُ زهير متنكِّراً ، حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعده .

فأتى أبا بكر ، فلما أن صلّى الصبحَ ، أتاه به وهو متلثم بعمامته .

فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : رجل يبايعك على الإسلام .

فبسط يده .

فحسر عن وجهه، فقالَ: بأبى أنت وأمى يارسول الله، هـذا مقام العائذ بك.

أنا كعب بن زهير.

فتجهمت الأنصار، وأغلظت له، لِمَا كان مِنْ ذِكْرِه للنبي صلى الله عليه وسلم، ولانَتْ له قريشٌ، وأحبُّوا إسلامَه.

فآمنَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فأنشَده مِدْحَته التى يقول فيها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ
مُتَيَّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُشْفَ مَكْبُولُ

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردةً اشتراها معاوية بن أبى سفيان من آل كعب بن زهير بعده، بمال كثير.

فهى البردة التى تلبسها الخلفاء فى العيدين. زعم ذلك أبان.

قال المصنف: وقد أنشده جماعة، منهم العباس، وعبد الله بن رواحة، وحسّان، وضِمار، وأسد بن زنيم، وعائشة، فى خَلْق كثير، قد ذكرتهم فى كتاب الأشعار.

* * *

الباب الخامس عشر

فى صفة مشيه
صلى الله عليه وسلم

● عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنه يتوكأ .

● عن لقيط بن صبرة عن أبيه ، أنه أتى عائشة هو وصاحب له يطلبان النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يجداه .

فلم يلبثا ، أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم مُتَقَلِّعاً يتكفأ .

● عن علي قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفُّؤاً كأنما يتقلع(١) من صَبَب(٢) ، لم أر قبله ولا بعده ، مثله صلى الله عليه وسلم .

● [عن الحسن] عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب ، وإذا التفت ، التفتَ جميعاً ، خافضَ الطرْف .

نظرُه إلى الأرض ، أطولُ من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره ، الملاحظةُ .

يسوق أصحابه ، ويبدأ مَنْ لقيه بالسلام .

---

(١) التقلع : رفع الرجل من الأرض بهمة وقوة ، لا مع اختيال وتقارب خطا .
والتكفؤ : الميل إلى سَنَن المشى أى : إلى قدام ، كالسفينة فى جريها .

(٢) الصبب : ما انحدر من الأرض . ومن بمعنى فى . أى : كأنما ينزل فى موضع منحدرا . والرواية : كأنما ينحط .

● عن أبي هريرة قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة ، فكنت إذا مشيت ، سبقنى ، وإذا هرولت سبقته ، فقلت : تُطْوَى له الأرضُ .

● عن أبى هريرة قال : ما رأيت أحداً أسرعَ فى مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما الأرضُ تُطْوَى له ، إنا لنُجْهِدُ أنفسنا ، وإنه غير مُكْترث .

● عن عمر بن الخطاب قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَطأ رجلاه .

● عن جابر قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَمْشون أمامَه إذا خرج ، ويدَعون ظهره للملائكة .

● عن ابن عباس قال : مشيت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم أختبره فأنظر : يكره أن أمشى وراءه ، أو يحب ذلك ؟ .

فالتمسَنى بيده ، فألحقَنى به ، فعرفت أنه يَكره ذلك .

الباب السادس عشر

فى ذكر ضحكه وتبسمه

صلى الله عليه وسلم

● عن عائشة أنها قالت : ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً قط ، حتى أرى لَهَوَاته ، إنما كان يتبسم .

أخرجاه .

● عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : ما رأيت أحداً كان أكثرَ تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن صُهيب قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدَتْ نواجذه .

● عن أبى هريرة قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدَتْ أنيابه .

● عن حُصَين بن زيد الكَلْبى قال :

ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ما كان إلاّ التَّبسُّم .

● عن الحسين بن على قال : سألت خالى هنداً عن صفة ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : جُلُّ ضحكه التبسم ، يَفْتَرُّ عن مِثْل حَبِّ الغمام .

● عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال :

أقبل أعرابىٌّ على ناقة له ، حتى أناخ بباب المسجد ، فدخل على نبى الله ، وحمزةُ بن عبد المطلب جالس فى نفر من المهاجرين والأنصار ، وفيهم النُّعَيْمَان ، فقال لِنُعَيمان :

ويحك إن ناقته سمينة ، فلو نحرتَها ، فإنا قد قَرِمْنا(١) إلى اللحم ، ولو فعلت غرَّمْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكلْنا لحماً .

فقال : إنى لو فعلت ذلك وأخبرتموه ، وجَد(٢) علىَّ . قالوا : لا نفعل .

فقام فضربها فى لَبتها ، ثم انطلق .

فمرَّ بالمقداد قد حفر حفرة ، قد استخرج منها طيناً ، فقال : يا مقداد غيِّبنى فى هذه الحفرة ، وأطْبق علىَّ شيئاً ، ولا تدلَّ علىّ أحداً ، فإنى قد أحدَثت حدَثاً . ففعل .

فلما رأى الأعرابى ناقته قد نُحرت صرخ .

فخرج نبى الله صلى الله عليه وسلم وقال : من فعل هذا ؟ قالوا : نعيمان .

قال : فأين توجَّه ؟ قالوا هاهنا .

فتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه حمزة وأصحابه ، حتى أتى على المقداد .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت نعيمان ؟ فصمت .

قال : لَتُخْبِرَنِّى أين هو ؟ فقال : مالى به علم . وأشار بيده إلى مكانه .

فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه .

وقال : أىْ غُدَر ، ما حملك على ما صنعت !

---

(١) قرمنا . أى : اشتدت شهوتنا إلى اللحم .

(٢) وجد على . أى غضب .

قال : والذى بعثك بالحق ، لأمرنى به حمزةُ وأصحابه .

فأرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعرابىَّ وقال:

شأنكم بها . فأكلوها .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذُكرَ صنيعه ، ضحك حتى تبدو نواجذُه .

• عن جرير بن عبد الله قال : ما حجبَنى رسولُ الله صلي الله عليه وسلم منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا ضَحِك .

• وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى عن رجل أُخْرِجَ من النار فقيل له : تمنَّ . فيتمنَّى فيقال : هو لك ما تمنيت ، وعشرة أضعاف الدنيا . فيقول : تَسْخَر بى وأنت الملِك !

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بَدَتْ نواجذه .

وفى هذا أحاديث كثيرة .

• وقد روى حديث يخالف هذه الأحاديث ، عن على بن أبى طالب ، قال :

لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، أتانى ثلاثة نفر يختصمون فى غلام من امرأة وقعوا عليها جميعاً فى طُهْرٍ واحد ، كلهم يدّعى أنه ابنه .

فأقْرَعْتُ بينهم ، فألحقتُه بالذى أصابته القرعة و [جعلت] لصاحبيه ثلثى الدية .

فلما قدمتُ على رسول الله صلى الله وسلم ، ذكرت له ذلك ، فضحك ، حتى ضرب برجله الأرضَ ثم قال :

(إذاً حكمتَ فيهم بحُكْمِ الله) . أو قال : لقد رضى الله حكمك فيهم .

وهذا الحديث لا يَثْبت ، فيه جماعة مُجرّحون ، ولا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يزيد على التبسم .

الباب السابع عشر

فى محبته الفأل والحسن من القول

● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا عَدْوى ولا طِيَرَةَ ويعجبنى الفأل) .

قالوا : يا نبى الله : وما الفَأْل ؟ قال : (الكلمةُ الحسَنة) .

أخرجاه .

● عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم غيَّر اسم عاصية فقال : أنت جميلة .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع : يا راشد ، يا نَجيح .

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطيَّر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الاسمَ الحسن .

● عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع كلمةً فأعجبته فقال : أَخَذْنا فَألَك مِنْ فيك .

الباب الثامن عشر

في تغييره الاسم القبيح

• عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغيّر الاسمَ القبيح إلى الاسم الحسَن .

• عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم غيَّر اسمَ عاصية فقال : أنت جميلة .

الباب التاسع عشر

في قبوله الهدية وإثابته عليها صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْبل الهدية ويُثيب عليها .

• عن عائشة قالت : والله لقد كان يأتي على آل محمد شهرٌ ما كانوا يختبزون فيه . فقلت : ياأمَّ المؤمنين ، ما كان يأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : كان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً ، وكان لهم شيء من لبن ، يُهْدون منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لو أُهْدِيَ إليَّ كُرَاع لقبِلْتُ ، ولو دُعيت إلى كُرَاع لأجبتُ) .

البابُ العشرون

فى كثرة مشاورته أصحابه

• عن عائشة قالت : ما رأيت رجلًا أكثر استشارةً للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

البابُ الحادى والعشرون

فى ذكر فعله فى أول مطر يقع

• عن أنس قال : مُطِرْنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحسر (١) عن رأسه حتى أصابه المطرُ ، فقلت له : لم صنعتَ هذا يارسول الله ؟ قال : (إنه حديثُ عهدٍ بربه عز وجل) .

• عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يكشفون رءوسهم فى أول مطرة تكون من السماء فى ذلك العام ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هو أحْدَثُ عهداً بربنا وأعظمه بركةً) .

(١) فحسر . أى : كشف .

الباب الثانى والعشرون

فى احتياطه فى نفى التهمة عنه

• عن صفية بنت حُيىّ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلا ، فحدّثته ، ثم قمت ، فانقلبت ، فقام معى يَقْلِبُنِي[(١)] وكان فى مسكنها فى دار أسامة بن زيد ، فمرّ رجلان من الأنصار .

فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسْرَعا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(على رِسْلِكما ، إنها صفية بنت حُيَىّ) .

فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال :

(إن الشيطان يجرى من ابن آدم ، وإنى خشيت أن يَقْذف فى قلوبكما شراً أو شيئاً) .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من نسائه .

فمرّ رجل فقال : يا فلان هذه امرأتى . فقال :

رسول الله : من كنت أظن به ، فإنى لم أكن أظن بك .

فقال : إن الشيطان يَجْرى من ابن آدم [مَجْرَى الدم][(٢)] .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، واتفقا على الذى قبله .

---

(١) يقلبنى : يرجعنى إلى بيتى .   (٢) من صحيح مسلم .

الباب الثالث والعشرون

فى علامة رضاه وسخطه

• عن كعب بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّه الأمرُ ، استنار وجهه ، كأنه دارَة القمر .

• عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ، احمرّ وجهه .

• عن عِمْرَان بن حُصَين قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كَرِه شيئاً عُرِف ذلك فى وجهه .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتدّ وَجْدُه ، أكْثَرَ من مَسِّ لحيته .

الباب الرابع والعشرون

فى مخالطته للناس

● عن الحسن بن على قال : سألت خالى هندَ بن أبى هالة ، عن مَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان يصنع فيه ؟

قال : كان يَخْزَن لسانَه إلا فيما يَعْنيه ، ويؤلِّفهم ولا يُنَفِّرهم ، ويُكْرِمُ كريمَ كلِّ قوم ويُوَلِّيه عليهم ، ويَحْذَرُ الناسَ ، ويحترز منهم ، من غير أن يَطْوى عن أحدٍ بِشْرَه ولا خُلقَه ، ويتفقدُ أصحابَه ، ويسأل الناسَ عما فى الناس ، ويحسِّن الحسَن ويقوّيه ، ويقبِّح القبيح ويُوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يَغْفَل مخافةَ أنْ يَغْفَلوا أو يميلوا ، لكل حالٍ عنده عتاد [لا يقصِّر عن الحق ولا يجُوزه](١) .

الذين يلونه من الناس خيارُهم ، أفضلُهم عنده أعمُّهم نصيحةً ، وأعظمهم عنده منزلةً ، أحسنُهم مُوَاساة ومُؤازرة .

وكان لا يقوم ولا يجلس ، إلا على ذِكْر .

وإذا انتهى إلى قومٍ ، جَلس حيث ينتهى به المجلسُ ، ويأمر بذلك .

يعطى كلَّ جلسائه نصيبَه .

لا يَحْسب جليسُه ، أنَّ أحداً أكرم عليه [منه](١) .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من شمائل الترمذى .

مَن جالسه [أو قاومه فى حاجةٍ صابَرَه حتى يكون هو المنصرف](١).
ومن سأله حاجةً لا يردُّه إلا بها أو بميسورٍ من القول.

قد وسع الناس بَسْطُه وخُلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا فى الحق عنده سواء.

مجلسُه ، مجلسُ حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا تُرْفَع فيه الأصوات ، ولا تؤبن(٢) فيه الُحرَم ، يتعاطفون فيه بالتقوى ، متواضعين.

يوقِّرون فيه الكبيرَ ، ويرحمون فيه الصغير ، ويُؤْثرون ذا الحاجة ، ويَحْفظون فيه الغريب.

قلت : فكيف كانت سيرته فى جلسائه ؟

فقال : كان دائم البِشْر ، سهل الُخلق ، ليِّن الجانب ، ليس بعَيَّاب ولا مَدَّاح ، يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يوئس منه ، ولا يخَيِّب مُؤمِّله(٣).

قد ترك نفسه من ثلاث : المِرَاء والإكثار(٤) وما لا يَعْنِيه.

[وتَرَكَ الناسَ من ثلاث ، كان لا يذم أحداً ولا يعيبه](*) ولا يطلب عورةَ أحد ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابَه ، وإذا تكلم ، أطرق جلساؤه كأنما

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من شمائل الترمذى ١٤٥/٢.

(٢) لا تؤبن : لا تنتهك ، ولا تعاب.

(٣) الرواية فى شمائل الترمذى : ولا يجيبه وأشار شارحها إلى رواية أخرى « ولا يخيب منه » وقال : والظاهر أنه سهو لأن الخيبة مصدر اللازم ولا يظهر معناه فى هذا المقام.

(٤) الإكثار : من الكلام ، أو من الدنيا زيادة على ما يحتاجه ، وتروى : الإكبار بالباء ، أى استعظام نفسه . ومنه قوله تعالى : « فلما رأينه أكبرنه »(*).

على رءوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديثَ ، من تكلم عنده ، أنصتوا له حتى يَفْرغ .

[حديثُهم عنده ، حديثُ أولهم](١) .

يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجَّب مما يتعجبون به .

قد صبرَ للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، حتى إنْ كان أصحابه يَسْتجلبونهم(٢) ، ويقول : إذا رأيتم طالبَ حاجة ، فارفدوه(٣) . ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز [فيقطعه](٤) بنَهْى أو قيام .

قال الحسن : فكتمتُها الحسينَ زماناً ، ثم حدَّثته بها ، فوجدته قد سبقنى إليه ، فسأله عما سألته عنه ، ووجدتُه سأل أباه عن مَدْخله ومَخْرجه .

قال الحسين : سألت أبى عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان إذا أوى إلى منزله ، جزَّأ دخوله ثلاثةَ أجزاء :

جزءاً لله ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه .

ثم جزَّأ جُزْأه بينه وبين الناس ، فردَّ ذلك بالخاصة على العامة ، ولا يدَّخر عنهم منه شيئاً .

وكان مِنْ سيرته فى جزء الأمة : إيثارُ أهل الفضل على قدر فضلهم .

فمنهم ذو الحاجة والحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج .

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من شمائل الترمذى ١٤٥/٢ .

(٢) يستجلبونهم : يجيئون بهم إلى مجلسه ، ليستفيدوا من أسئلتهم .

(٣) فارفدوه . أى . اقضوا حاجته .

(٤) من شمائل للترمذى ١٤٧/٢ .

فيتشاغل بهم ، ويشغلهم فيما يصلحهم مِنْ مَسْألته عنهم ، وإخبارهم بالذى ينبغى لهم .

ويقول : « لِيُبَلِّغ الشاهدُ الغائبَ ، وأبْلغونى حاجةَ من لا يستطيع إبلاغها ، فإنه مَنْ أبْلغ سلطاناً حاجةَ من لا يستطيع إبلاغَها ، ثَبَّتَ الله قدميه يوم القيامة » .

يدخلون روّادًا ولا يفترقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلةً على الخير .

قال المصنف : قوله : « فردّ بالخاصة » أى يعتمد على أن الخاصة ترفع إلى العامة علومَه . والذواق : العلم(١) .

• عن على قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس صدراً ، وأصدقهم حُجَّة ، وألْيَنَهم عريكةً ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهةً هابَه ، ومَنْ خالَطه معرفةً أحبَّه .

يقول ناعتُه : لم أرَ قبْلَه ولا بعده مثلَه . صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الذواق : فى الأصل الطعام ، وأريد به هنا العلم ، فإنه للأرواح ، بمنزلة الطعام للأجساد .

الباب الخامس والعشرون

فى يمينه إذا حلف

● عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، ومقلِّب القلوب » .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن أبى ذرّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(والذى نفسى بيده ، لآنيةُ الحوض ، أكثرُ من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المُصْحية) .

● عن أبى هريرة قال : كان يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ، وأستغفر الله) .

الباب السادس والعشرون

فيما كان يقوله إذا قام من مجلسه

● عن رافع بن خَدِيج قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال : (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك) .

● عن أبى بَرْزة قال : لما كان بأخرةٍ ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المجلس فأراد أن يقوم قال :

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك) :

قالوا : يا رسول الله ، إنك تقول الآن كلاماً ، ما كنتَ تقوله فيما خَلَا .

قال : (هذا كفارةُ ما يكون فى المجلس) .

أبوابُ زهدِ رسولِ اللهِ

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في إعراضه عن الدنيا

• عن عبد الله قال : نام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَصير ، فأثّر في جنبه ، فقلت : يا رسول الله ، ألا آذنْتَنا(١) فنبسط تحتك ألْيَن منه ؟ فقال : (مالي ولِلدُّنيا ، إنما مثَلي ومثل الدنيا مثل راكب سار في يوم صائف فقال(٢) تحت شجرةٍ ثم راح وتركها) .

• عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عَرض ربِّي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أجُوع يوماً وأشبع يوماً . فإذا شبعتُ حمدتك وشكرتك ، وإذا جُعْتُ تضرَّعت إليك ودعوتك) .

• عن عائشة قالت : اتخذتُ فراشين ، حَشْوهما ليف وإذخَر ، فقال : (يا عائشة ، مالي وللدنيا ، إنما أنا والدنيا ، بمنزلة رجل نزل تحت شجرة فقال في أصلها(٣) ، حتى إذا فاء الفَيْء(٤) ارتحل فلم يرجع إليها أبداً) .

---

(١) آذنتنا . أي : أعلمتنا .
(٢) قال . أي : نام وقت القيلولة ، وهو قبيل الظهر ، ومضارعه (يقيل) .
(٣) فقال في أصلها . أي : نام قريباً من ساقها .
(٤) فاء الفيء . أي : ذهب الظل .

الباب الثانى

فى اقتناعه باليسير من الدنيا

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) .

أخرجاه .

• عن عائشة قالت : ما رفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قط عشاءً لغداء ، ولا غداء لعشاء ، ولا اتخذ من شيء زوجين ، لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين ولا من النعال ، ولا رُئِى قط فارغاً فى بيته ، إما يخصف نعلًا لرجل مسكين أو يخيط ثوباً لأرملة .

الباب الثالث

فى أنه كان لا يدخر شيئاً

• عن أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يَدّخر شيئاً .

الباب الرابع

فيما روى أنه كان يدخر

• عن عمر قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله ، مما لم يوجِف المسلمون عليه بخيل ولا رِكاب .

وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً .

وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ، وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عُدَّةً فى سبيل الله .

• عن ابن عُيينة قال : قال لى مَعْمر : قال لى الثورىّ : هل سمعتَ فى الرجل يجمع لأهله قوت سنة أو بعض سنة ؟

قال معمر : فلم يَحْضرنى ، ثم ذكرت حديثاً حدَّثَناه الزهرى عن مالك ابن أوس ، عن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخلَ بنى النضير ، ويحبس لأهله قوتَ سنتهم .

هذا ، والأول حديث واحد ، وهو متفق عليه .

فإن قال قائل : كيف الجمع بينه وبين مارويتم أنه كان لا يدخر شيئاً لغد ؟

فالجواب : أنه كان يدَّخر ليعطى أهله نفقاتهم ، ولا يدخر لنفسه .

الباب الخامس

فى ذكر نفقته

● عن زيد بن سلام قال : حدثنى عبد الله الهوازنى ، يعنى أبا عامر ، قال : لقيت بلالا مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :

يا بلال ، حَدِّثنى كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : ما كان لى شىء ، إلا أنا الذى كنت ألِى ذلك منه منذ بعثه الله عز وجل إلى يوم هذا(١) .

فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فرآه عارياً(٢) يأمرنى ، فأستقرض الشىء وأشترى البُرْدة فأكسوه وأطعمه .

حتى اعترضنى رجل من المشركين فقال : يا بلال إن عندى سعة ، فلا تستقرض من أحد إلا منّى ففعلتُ .

فلما كان ذات يوم ، توضأت ثم قمت أؤذن ، فإذا المشرك فى عصابة من التجار .

فلما رآنى قال : يا حبشى . قلت : لبيك .

فتجهّمنى وقال قولًا غليظاً ، وقال : أتدرى كم بينك وبين الشهر ؟ فقلت : قريب .

---

(١) ابن كثير : إلى أن توفى .

(٢) ابن كثير عن البيهقى : عائلا .

فقال : إنما بينك وبينه أربع ليال ، وآخذك بالذى لى عليك ، فإنى لم أعطك الذى أعطيتك مِنْ كرامتك ولا من كرامة صاحبك ، ولكن أعطيتك ، لتكون لى عبداً ، فأردَّك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك .

فأخذ فى نفسى ما يأخذ فى أنفُس الناس ، فأذّنت للصلاة .

حتى إذا صليت العتَمة ، رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهله .

فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فقلت :

يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ! إن المشرك الذى ذكرتُ لك أنى كنت أتدَيَّن منه ، قد قال كذا وكذا ، وليس عندك ما يَقْضى عنى ولا عندى ، فهو فاضحى .

فَأْذن لى أن آتى بعض الأحياء الذين أسلموا ، حتى يرزق الله رسولَه ما يقضى عنى .

فخرجت حتى أتيت منزلى ، فحملت سيفى ورمحى ونعلى عند رأسى ، واستقبلت بوجهى الأفقَ ، فكلما نمت انتبهت [فإذا رأيتُ علىَّ ليلًا نِمْتُ][١] حتى انشقَّ عمودُ الصبح الأول ، فأردت أن أنطلق .

فإذا إنسان يسعى يدعو : يا بلال أجِبْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فانطلقت حتى أتيته ، فإذا أربع ركائب ، عليهن أحمالهن فقال لى :

أبشر فقد جاءك الله بقضائك[٢] . فحمدت الله تعالى .

فقال : ألم تمرَّ على الركائب المناخات الأربع ؟ فقلت : بلى .

قال : فإن لك رقابهن وما عليهن . فإذا عليهن كسوة وطعام ، أهداهن عظيمُ فدَك ، فانهض فاقض دينك[٣] .

(١) من ابن كثير : البداية والنهاية ٦/٥٥

(٢) ابن كثير عن البيهقى . بقضاء دينك .

(٣) ابن كثير : فاقبضهن إليك ثم اقض دينك .

قال : ففعلت ، فحططت بعضَ أحمالهن ثم عقلتهن ، ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح ، حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت إلى البقيع ، فجعلت إصبعى فى أذنى فناديت :

مَنْ يَطْلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بدين فَلْيَحْضُرْ .

فما زلت أبيع وأقضى ، حتى لم يَبْقَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم دَيْن فى الأرض ، حتى فضل عندى أوقيتان أو أوقية ونصف .

ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامَّةُ النهار .

فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد وحده ، فسلّمت عليه فقال لى : ما فعل ما قِبلك ؟

قلت : قضى الله عز وجل كلّ شىء كان على رسول الله ، فلم يَبْق شىء .

فقال : فضل شىء ؟ قلت : نعم . ديناران .

قال : انظر ، أن تريحنى منهما فلست بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما . فلم يأتنا أحد ، فبات فى المسجد حتى أصبح ، وظل فى المسجد اليوم الثانى(١) .

حتى إذا كان آخر النهار ، جاء راكبان ، فانطلقت بهما ، فكسوتهما وأطعمتهما .

حتى إذا صلى العتمة(*) نادانى(٢) : فقال : ما فعل الذى قِبلك ؟ قلت :

---

(١) يبعد أن يكون ذلك صحيحاً فإنه ليس على الرسول شىء أن يبيت فى بيته ولديه ديناران ، وقد روى أنه كان يدخر قوت سنة .

(*) العتمة . أى : العشاء .

(٢) ابن كثير : دعانى .

قد أراحك الله منه . فكبّر وحمد الله ، شفقاً(١) من أن يُدركه الموتُ وعنده ذلك ، ثم اتبعته ، حتى جاء أزواجَه ، فسلّم على امرأة امرأة ، حتى أتى مَبيته .

فهذا الذى سألتنى عنه .

الباب السادس

فى صفة عيشه فى الدنيا

● عن أبى حازم قال : رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مراراً : والذى نفس أبى هريرة بيده ، ما شَبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله ثلاثة أيام تِباعا ، من خبز حنطة حتى فارق الدنيا(٢) !

● عن سِماك بن حرب قال : سمعت النعمان بن بشير [يقول : سمعت عمر بن الخطاب](٣) يخطب فذكرَ(٤) عمر ما أصاب الناس من الدنيا فقال : لقد رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يظل اليوم يلتوى ، ما يجد دِقْلا(٥) يملأ به بطنه .

● عن عروة عن عائشة أنها قالت : والذى بعث محمداً بالحق ، ما رأى منخلا ، ولا أكل خبزاً منخولا ، منذ بعثه الله إلى أن قُبض .

---

(١) شفقا . أى : خوفاً . (٢) أخرجه أحمد ومسلم .

(٣) سقطت من الأصل ، وأثبتها من ابن كثير البداية ٦/٥٢ . والحديث رواه أبو داود . (٤) الأصل : فقال . وما أثبته من ابن كثير .

(٥) الدقل : الردىء من التمر .

قلت : كيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قالت : كنا نقول أفّ .

• عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهم يحفرون الخندق ثلاثا ، لم يذوقوا طعاماً .

قالوا : يا رسول الله : إن ههنا كُدْيَة(١) من الجبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رُشُّوها بالماء . فرشوها بالماء .
ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ المِعْول أو المسحاة ثم قال : بسم الله .
فضربها ثلاثاً فصارت كثيباً ينهال .

قال جابر : فحانت مني التفاتةٌ ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شدَّ على بطنه حجراً .

أخرجاه .

• عن عروة أنه سمع عائشة تقول :

كان يمر بنا هلالٌ ، وهلال ، ما يوقَد في بيتٍ من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار .

قال : قلت : يا خالة ، فعلى أي شيء كنتم تعيشون ؟

قالت : على الأسودين ، التمر والماء .

• عن عائشة أنها قالت : يا ابن أختي ، والله إنْ كنا لننظر إلى الهلال بعد الهلال : ثلاثةَ أَهِلَّة ، ما يوقَد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار .

قلت : فما كان يُعيشكم في ذلك الزمان يا خالة ؟

---

(١) كدية : الأرض الصلبة اهـ مصباح .

قالت : الأسودان ، التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار ، نعم الجيرانُ ، كانت لهم مَنائح فيمنحون لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها .

• عن نوفل بن إياس الهُذَلى قال : أتينا بيتَ عبد الرحمن بن عوف بصحفةٍ فيها خبز ولحم ، فلما وُضِعت بكى عبدُ الرحمن ، قلت : ما يبكيك ؟

قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع وأهلُ بيته من خبز الشعير ، ولا أرى أنَّا أُخِّرنا لما هو خيرٌ لنا !

• عن همّان بن كاهل قال : أخبرتنى عائشة قالت :

أُهديت لنا ذات ليلة ، يَدُ شاة من بيت أبى بكر ، قالت :

فوالله إنى لَأُمسكها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحزُّها ، أو يمسكها علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحزُّها .

قلت : يا أم المؤمنين على غير مصباح ؟ قالت : لو كان عندنا مصباح(١) لأكلناه ، إنْ(٢) كان ليأتى على آل محمد الشهرُ ما يختبزون فيه خبزاً ولا يطبخون فيه بُرْمة .

• عن أنس بن مالك قال : مشيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالةٍ سَنخة(٣) ، ولقد سمعته يقول :

ما أَصْبح ولا أمْسى لآل محمد إلا صاع . وإنهن يومئذ تسعة أبيات .

---

(١) تريد الزيت الذى يوقد به .

(٢) إن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ، تقديره (إنه) .

(٣) الإهالة : كل دهن يؤتدم به ، أو يختص بدهن الشحم . والسنخة : المتغيرة الرائحة من طول المكث .

• عن أبي هريرة قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جالساً ، فقلت : ما أصابك يا رسول الله ؟ قال : الجوع . فبكيتُ . قال : « لَا تبْكِ يا أبا هريرة ، فإن شدة الجوع لا تصيب الجائع (يعنى فى القيامة) إذا احتسب فى دار الدنيا » .

• عن أنس بن مالك قال : جاءت فاطمة بكسرة خبز إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟

قالت : قرصٌ خَبَزْتُهُ ، فلم تَطِبْ نفسى حتى آتيك بهذه الكسرة .

فقال : (أمَا إنه أولُ طعام دخل فمَ أبيك منذ ثلاثة أيام) .

• عن ابن عباس قال : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن درعه مرهونة عند رجل يهودى ، على ثلاثين صاعاً من شعير ، أخذها رزقاً لعياله .

• عن عائشة قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودرعه مرهونة عند أبى شحمة اليهودى .

• عن أنس قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خادمه إلى يهودى يبيع البُرّ ، فقال : قل له يعطينا ثوبين ، حتى يجيئنا شيء فنقضيه .

فجعل يتشاغل عنى ويبايع الناسَ ، ثم التفتَ إلىَّ فقال : والله ، ما لمحمد زَرْع ولا ضرع ، فمن أين يَقْضينى ؟

فجئت فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كَذَب عدو الله ، ولو أعطانى لقضيته ، وكنت خيراً له منهم .

ثم قال : لَأَنْ يَلبس الرجلُ ثوبَه(١) (مُعلماً ، يعنى مرقوعاً) خير له من أن يأكل فى أمانته .

---

(١) ز : ثوباً .

أبوابُ تعبّده وطهارته

عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ

الباب الأول

فى ذكر ما كان يقول إذا دخل الكنيف

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل الكنيف قال : (اللهم إنى أعوذ بك من الخُبُث والخبائث)

الباب الثانى

فيما كان يقول إذا خرج

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال : (غفرانك) .

الباب الثالث

فى ابتلاع الأرض حدثه

● عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله : إنى أراك تدخل الخلاء ، ثم يجىء الذى يدخل بعدك ، فلا يرى لِمَا يخرج منك أثَر .

قال : يا عائشة ، أما علمتِ أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما خرج من الأنبياء(١) .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الغائط ، دخلتُ على أثره ، فلا أرى شيئاً ، فذكرت ذلك له فقال : يا عائشة ، أما علمتِ أن أجسادنا نبتت على أرواح أهل الجنة ، فما خرج منا من شىء ، إلا ابتلعته الأرض(٢) .

عن ابن عباس قال : لم يُحْدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موضع قط ، إلا ابتلعته الأرض .

---

(١) ليس لهذا الحديث ثبوت ، ولا دلالة تقتضى الاحتفاء به .

(٢) وهذا الحديث بعيد عن الصحة ، ومناقض لحقائق الكتاب والسنة وبديهيات العقل .

الباب الرابع

فى ذكر وضوئه وغسله

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثلاثاً بإناء يكون رطلين ، ويغتسل بالصاع .

● عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمُدّ .

الباب الخامس

فى أنه كان يتوضأ لكل صلاة

● عن عمرو بن عامر قال سمعتُ [أنساً](١) يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة . قال(٢) : فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نُحْدث :

انفرد بإخراجه البخارى .

(١) من صحيح البخارى كتاب الوضوء .

(٢) البخارى : قلت . وفى الرواية اختلاف .

الباب السادس

فى جمعه الصلوات بوضوء واحد

● عن سليمان بن بُرَيْدة ، عن أبيه ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة ، فلما كان يوم الفتح ، توضأ ومسح على خُفّيه ، وصلى الصلوات بوضوء واحد . فقال له عمر : يا رسول الله ، إنك فعلتَ شيئاً لم تكن تفعله .

قال : (عَمْداً فعلتُه يا عمر)(١) .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب السابع

فى مسحه على خفيه

● عن المغيرة بن شعبة قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفَره ، فقضى حاجته وتوضأ وضوءه للصلاة ، ومسح على خفيه ، ثم صلى .

أخرجاه .

(١) الرواية فى مسلم ، كتاب الوضوء ، مخالفة لما هنا : ١/١٦٠

الباب الثامن

فى ذكر سواكه

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أُمرت بالسواك ، حتى ظننت أو خشيت ، أن سينزل علىّ فيه قرآنٌ) .

• عن حذيفة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يَشُوص فاه بالسواك(١) .

الباب التاسع

فى صفة غسله

• عن ابن عباس قال : حدّثتنا ميمونة قالت صببْت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غُسْلا ، فأفرغ بيمينه على يساره فغَسَلهما ، ثم غسل فرجه ، ثم مال بيده للأرض فمسحها بالتراب ، ثم غسلها ، ثم مضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ، ثم أفاض على رأسه ، ثم تنحى فغسل قدميه .

(١) قوله « يشوص الخ » يعنى : يغسل وينظف فمه بالسواك . قال فى المختار من الصحاح : الشوص : الغسل والتنظيف . وباب (قال) وهو يشوص فاه بالسواك .

ابوابِ صلاۃ

علیہ الصلاۃ والسلام

الباب الأول

فى صفة صلاته

صلى الله عليه وسلم

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته بـ (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمُك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك) .

● عن عطاء أنه كان جالساً فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا صلاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو حُمَيد السَّاعدى : أنا أحْفَظكم لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأيتُه إذا كَبَّر ، جعل يديه حذاء مِنكبيه .

وإذا ركع أمكنَ يديه من ركبتيه ثم صهر ظَهره .

فإذا رفع رأسه ، استوى حتى يَعود كلُّ فقار مكانه .

فإذا سجد ، وضع يديه غيرَ مُفْترش ولا قابضهما ، واستقبل بأطراف أصابع رجليه القِبْلةَ .

وإذا جلس فى الركعتين ، جلس على رجله اليسرى ، ونَصَب اليمنى ، وقعد على مقعدته .

أخرجاه .

● عن أنس قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوجز الصلاة ويُكملها .

• عن سالم عن أبيه قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، إذا افتتح الصلاة ، رفع يديه حتى يحاذى منكبيه ، وإذا أراد أن يركع ، وبعدما يرفع رأسه من الركوع ولا يرفع بين السجدتين .

أخرجاه .

• عن عبد الله بن القاسم قال : جلسنا إلى عبد الرحمن بن أبزى فقال : ألا أريكم صلاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : فقلنا بلى .

فكبَّر ، ثم قرأ ، ثم ركع ، فوضع يديه على ركبتيه حتى أخذ كل عظم مأخذه ، ثم رفع حتى أخذ كل عظم مأخذه ، ثم سجد حتى أخذ كل عظم مأخذه ، ثم رفع .

فصنع فى الركعة الثانية ، كما صنع فى الركعة الأولى . ثم قال : هكذا صلاةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

البابُ الثانى

فى مقدار ما كان يقرأ فى الصلوات المفروضات

● عن أبى برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقرأ فى صلاة الغداة(١) من الستين إلى المائة .

● عن أبى سعيد الخدرى قال : كنا نَحْزر قيامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهر والعصر ، فحَزَرْنا قيامَه فى الركعتين الأُولَيَيْن من الظهر ، قَدْر قراءة ثلاثين آية ، وحزرنا قيامه فى الركعتين الأخريين ، قدر النصف من ذلك ، وحزرنا قيامه فى الركعتين الأوليين من العصر ، على قدر قيامه من الأخريين من الظهر ، وفى الأخريين من العصر ، على النصف من ذلك(٢) .

● عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ : « والمرسلات عُرْفا » فقالت : يا بنى ، لقد ذكَّرتَنى هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى المغرب .

● عن البراء قال : صلَّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء فقرأ بـ « التين والزيتون » .

---

(١) الغداة : الصبح .

(٢) أخرجه مسلم : ٢/٣٧

الباب الثالث

فيما كان يقوله بعد الفراغ من الصلاة

• عن وَرّاد ، كاتب المغيرة قال : كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة : اكتُبْ إلىّ بما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعاني المغيرة وكتب إليه :

إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا انصرف من الصلاة قال :

(لا إله إلا الله وَحْده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيتَ ، ولا مُعْطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدُّ) .

أخرجاه .

• عن ثَوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [كان] إذا أراد أن ينصرف من صلاته ، استغفر ثلاث مرات ثم قال :

(اللهم أنت السّلامُ ومنك السلامُ ، تباركت يا ذا الجَلال والإكرام) .

الباب الرابع

فى تنفله بالنهار

● عن عائشة قالت : لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على شىء من النوافل أشد تَعَاهداً منه على ركعتى الفجر .

أخرجاه .

● عن أبى أمامة الباهلىّ قال : قال أبو أيوب الأنصارى : نزل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً ، فرأيته إذا زالت الشمس ، فلو كان فى يده عملُ الدنيا ، فَضّه ، وإن كان نائماً ، فكأنما يوقَظ له ، فيغتسل أو يتوضأ ، ثم يركع أربع ركعات ، يتمهن ويُحْسِنهن ، ويتمكن فيهن . فسألته عن ذلك فقال : إن أبواب السماء ، وأبواب الجنان ، تفتح فى تلك الساعة ، فلا تُرْتَج(١) أبواب السماء وأبواب الجِنَان حتى تصلّى هذه الصلاة ، فأرجو أن يصعَد منّى إلى ربى فى تلك الساعة خيرٌ .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَدَع أربعاً قبل الظهر ، وركعتين قبل الفجر على كل حال .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن عبد الله بن شقيق قال : سألتُ عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التطوع ، فقالت : كان يصلى قبل الظهر أربعاً فى بيتى ، ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم يرجع إلى بيتى ، فيصلى ركعتين .

وكان يصلى بالمسجد ، المغرب ثم يرجع إلى بيتى ، فيصلى ركعتين .

وكان يصلى بهم العشاء ، ثم يدخل بيتى ، فيصلى ركعتين .

انفرد بإخراجه مسلم(٢) .

---

(١) ترتج : تغلق .

(٢) الحديث بطوله فى مسلم ٢/١٦٢

الباب الخامس

فيما كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة

● عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة : « ألم تنزيل »(١) و « هل أتى »(٢) .

أخرجاه .

الباب السادس

في ملازمته المسجد بعد الصلاة

● عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّى الغداة جلس في مُصَلّاه حتى تطلع الشمس .

انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) يعني : سورة السجدة .   (٢) يعني : سورة الإنسان .

الباب السابع

فى صلاته الضحى

• عن أبى ليلى قال : ما أخبرنى أحدٌ أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى ، غير أمِّ هانئ ، فإنها حدَّثت أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة ، فاغتسل ، وصلى ثمانى ركعات .

ما رأيته قط صلّى صلاةً أخفَّ منها ، غير أنه كان يتم الركوع والسجود .

أخرجاه .

• عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أنس بن مالك قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت رجل من أصحابه ركعتين ، فقيل لأنس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى ؟ قال : ما رأيته صلّاها إلا يومئذ .

• عن أبى سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتىَ نقول لا يدَعها ، ويدعها حتى نقول : لا يصلِّيها .

الباب الثامن

فى ذكر صلاته بالليل

• عن مسروق قال : سألتُ عائشةَ أيُّ العمل كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : الدائمُ . قلت : متى كان يقوم ؟ قالت : كان يقوم إذا سمع الصارخَ .

قال لنا ابن ناصر : الصارخُ : الديك . وأولُ ما يصيح : نصفَ الليل .

• عن حُذَيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يَشُوص فاه بالسِّواك .

أخرجاه .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يصلِّى ، افتتح صلاته بركعتين خفيفتين(١) .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن خالد بن معْدَان قال : حدثنى ربيعةُ الجُرَشى(٢) قال : سألتُ عائشةَ فقلت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من الليل ؟ وبِمَ كان يستفتح ؟

---

(١) قيل : إنهما ركعتا الوضوء ، والأظهر أنهما من جملة التهجد .

(٢) نسبة إلى بنى جرش بطن من حمير . وفى صحبته نظر . اللباب ١/٢٢١

قالت : كان يكبِّر عشرا ويحمد عشراً ، ويسبح عشراً ، ويهلِّل عشراً ، ويستغفر عشراً ويقول : (اللهم اغفر لى واهْدِنى وارزقنى) عشرا .

ويقول : (اللهم إنى أعوذ بك من الضِّيق يوم الحساب) عشرا .

● عن علقمة قال : سألتُ عائشةَ : أكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخصُّ شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمَةً(١) ، وأيُّكم يُطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطيق ؟!

● عن أبى سلَمة قال : سألتُ عائشةَ عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان ، فقالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد على إحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعاً ، فلا تسَلْ عن حُسنهن وطُولهنّ ، ثم يصلى أربعاً ، فلا تسَلْ عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً .

فقلت : يا رسول الله ، أتنام قبل أن توتر ؟ قال : (يا عائشة إنه أرانى تنام عيناى ولا ينام قلبى) .

● عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان يصلى من الليل تسعَ ركعات(٢) فيهن الوتر ،

---

(١) الديمة : الدائم . والديمة : مطر يدوم فى سكون ، بلا رعد وبرق .

(٢) قد اختلفت الروايات عن عائشة رضى الله عنها فى قدر قيامه صلى الله عليه وسلم قال القرطبى : وقد أشكل حديثها حتى نسب إلى الاضطراب ، وإنما يتم ذلك لو اتحد الراوى عنها والوقت .

ويجمع بين أحاديثها : بأن تكون أخبرت بإحدى عشرة من غالب أمره ، وباقى الروايات إخبار عما كان يقع منه نادراً ، وذلك بحسب الحال من ضيق الوقت واتساعه أو تطويل القراءة ، أو مرض أو نوم أو كبر سن . انظر شرح شمائل الترمذى لابن جسوس : ٦٢/٢ .

وكان يصلى ليلاً طويلا قائماً وليلا طويلا جالساً ، فإذا قرأ[١] وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا بَدِنَ وثَقُل يقرأ ما شاء الله وهو جالس .

فإذا غبر[٢] من السورة ثلاثون آية ، أو أربعون آية ، قام فقرأها ثم سجد .

أخرجاه :

● عن ابن عباس قال : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل ، يتهجّد قال :

(اللهم لك الحمدُ ، أنت نور السموات والأرض ومَن فيهنّ ، ولك الحمد ، أنت قيّمُ السمواتِ والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحقُّ ، ووَعْدك حَقٌّ ، ولقاؤك حق ، والجنةُ حق ، والنار حق ، والساعةُ حق ، والنبيّون حق ، ومحمد حق ، اللهم لك أسلمتُ ، وعليك توكلت ، وبك آمنت ، وإليك أنَبْتُ ، وبك خاصَمْتُ ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدّمت وما أخّرت ، وما أسْرَرْت وما أعلنت ، أنت المقَدِّم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك) :

● عن كُرَيب أن ابن عباس أخبره ، أنه بات عند ميمونة ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى خالته ، قال :

فاضطجعت فى عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الأصل : اقترأ . وما أثبته عن شمائل الترمذى ٦٩/٢

(٢) غبر : بقى .

فى طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل ، أو قَبْله بقليل ، أو بعده بقليل .

فاستيقظ رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، فجعل يمسح النومَ عن وجهه بيده .

ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شَنٍّ معلقة ، فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلى .

قال ابن عباس : فقمت فصنعتُ مثلَ الذى صنع ، ثم ذهبتُ فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى ، وأخذ بأذنى اليمنى يَفْتِلها ، ثم صلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبحَ .

وفى رواية أخرى أنه قال :

(اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وعن يمينى نوراً ، وعن شمالى نوراً ، وأمامى نوراً ، وخلفى نوراً ، واجعل لى نوراً) .

● عن صفوان بن المعطَّل قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فرمَقْتُ صلاته ليلاً ، فصلى العشاء الآخرة ثم نام .

فلما كان نصفُ الليل ، استيقظ ، فتلا الآيات العَشْر من آخر سورة آل عمران ، ثم تسوَّك ، ثم توضأ وصلى ركعتين .

فلا أدرى ، أقيامُه ، أم ركوعه ، أم سجوده ، أطْوَلُ ، ثم انصرف فنام .

ثم استيقظ فتلا الآيات ، ثم تسوّك ، ثم توضأ ، يعنى : ثم صلى ، ثم نام ، ثم استيقظ ، ففعل ذلك ، ثم لم يفعل كما فعل أول مرة ، حتى صلّى إحدى عشرة ركعة .

● عن زيد بن خالد الْجُهَنِى أنه قال : لأَرْمُقَنَّ صلاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوسَّدتُ عتبته أو فُسْطَاطه .

فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ركعتين خفيفتين ، ثم صلى ركعتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين ، وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين ، وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين ، وهما دون اللتين قبلهما ، ثم أَوْتَر . فذلك ثلاث عشرة ركعة .

قال المصنف : اختلفت الروايات فى عدد الركعات اللواتى كن يصلّى بالليل ، فروى سَبع ، وتِسْع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة .

فالظاهر أنه قد كان يَنقص ويزيد .

الباب التاسع

فى طول قيامه بالليل

● عن حذيفة قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً ، فافتتح البقرة فقلت ، يركع عند المائة ، فمضى ، فقلت : يصلى بها فى ركعة ، فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، يقرأ مترسّلا(١) ، .

إذا مرَّ بآية فيها تسبيح ، سَبّح ، وإذا مرَّ بسؤال ، سأل ، وإذا مرَّ بتعوذ ، تعوَّذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربى العظيم .

وكان ركوعه نحواً من قيامه . ثم قال : « سمع الله لمن حمده » .

ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال : سبحان ربى الأعلى .

وكان سجوده قريباً من قيامه .

● عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فلم يزَلْ قائماً حتى هَمَمْتُ بأمرِ سُوء .

قال : ما هَمَمْتَ ؟ قال : هممتُ أن أجلس وأدَعه .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تنفطر رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله . أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟

قال : يا عائشة أفلا أكون عبداً شَكُوراً !

---

(١) مترسلا : يعنى بالتأنى .

• عن المغيرة بن شعبة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حتى تَرِمَ قدماه . فقيل له : أليس قد غَفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

• عن ابن عباس أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى جعل لكل نبي شَهْوة ، وإن شهوتى قيامُ هذا الليل !

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد شيئاً من وجع ، فقيل : يا رسول الله إنا نرى أثراً لوجعٍ عليك . قال :

أمَّا مع ما ترون ، قد قرأت البارحة ، السَّبْعَ الطِّوال !

• عن أنس قال : تعبَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار كالشَّن(١) البالى !

---

(١) الشن : القربة .

الباب العاشر

فى قيامه طول الليل بآية

• عن عائشة قالت : قام رسول الله صلي الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلةً .

• عن أبى ذر قال : صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً فقرأ بآية حتى أصبح ، يركع بها ويسجد بها :

« إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ »(١) .

فلمّا أصْبَح قلت : يارسول الله ، ما زلتَ تقرأ هذه الآية حتى أصبحتَ ، تركع بها وتسجد بها .

قال : (إنى سألت الله عز وجل الشفاعة لأمتى ، فأعطانيها ، وهى نائلةٌ — إن شاء الله — مَن لا يشرك بالله شيئاً) .

(١) سورة المائدة ١١٨ .

الباب الحادى عشر
فى صفة قراءته

• عن أم هانئ قالت : كنت أسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بالليل وأنا على عَرِيشى (١) .

• عن ابن أبى مُلَيكة (٢) عن أم سلمة ، قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته : « الحمد لله رب العالمين » . ثم يقف ، ثم يقول : « الرحمن الرحيم » . ثم يقف .

• عن حفصة قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى سُبْحته (٣) قاعدا ، ويقرأ بالسورة ويرتلها ، حتى تكون أطولَ مِنْ أطول منها .

• عن يَعْلى بن مَمْلَك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته ، فقالت : ومالكم وصلاته ! كان يصلى ثم ينام قَدْر ما صلّى ، ثم يصلى قَدْرَ ما ينام ، ثم ينام قدر ما صلى ، ثم يُصْبح .

ثم نعتت قراءته ، فإذا هى نعتَتْ قراءةً مُفسَّرةً ، حرفاً حرفا .

• عن ابن عباس قال : كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَدْرَ ما يَسْمعه مَنْ فى الحجرة ومن فى البيت .

• عن أبى هريرة قال : كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل يَرْفع طَوْراً ، ويَخفض طوراً .

---

(١) العريش : السرير .
(٢) ت : عن أبى مليكة .
(٣) السبحة : النافلة .

الباب الثانى عشر

فى حسن صوته

• عن قَتَادة قال : ما بعث الله نبيًا إلا حسَنَ الصَّوت ، وكان نبيُّكم حَسَنَ الوجه حسن الصوت .

الباب الثالث عشر

فى ذكر الزمان الذى كان يختم فيه

• عن عائشة أنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لا يقرأُ القرآن فى أقلَّ من ثلاث . [أى : ثلاثة أيام] .

الباب الرابع عشر

فى دعائه قائماً إذا ختم

• عن أبى هريرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم القرآن ، دعا قائماً .

الباب الخامس عشر

فى ذكر وتره

● عن عائشة قالت : مِنْ كلِّ الليل قد أوتَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهى وتره إلى السَّحَر .

أخرجاه .

● عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزَى ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ « سَبِّح اسمَ ربك الأعلى » و « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد ». وإذا أراد أن ينصرف من الوتر قال : سبحان الملك القدوس . (ثلاث مرات) ثم يرفع صوته فى الثالثة .

● عن أبى عبد الرحمن بن أبزى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ « سبح اسم ربك الأعلى » و « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » وكان إذا سلَّم قال : سبحان الملِك القدوس ، سبحان الملك القُدُّوس . يطوِّل الثالثة .

● عن أبى عبد الرحمن بن أبزى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ « سبح اسمَ ربك الأعلى » و « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » والمعوِّذتين .

● عن عِمْران بن حُصَين ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث ، يقرأ فى الأولى بـ « سبح اسمَ ربِّك الأعلى » وفى الثانية . بـ « قل يا أيها الكافرون » وفى الثالثة بـ « قل هو الله أحد » .

● عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل ، مَثْنَى مثنى ، ويوتر بركعة . أخرجاه .

الباب السادس عشر

فيما كان يصنع إذا فاته وِرده من الليل

• عن عائشة قالت : كان إذا شُغل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيام الليل بنوم ، أو وجع ، أو مرض ، صلّى من النهار ثِنْتَىْ عشرة ركعة .

الباب السابع عشر

فى صلاته التراويح

• عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى شهر رمضان عشرين ركعة ، سوى الوتر .

الباب الثامن عشر

فى قطعه إياها خوف أن تفترض

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى رمضان ، فجئت فقمت خَلْفه ، وجاء رجل فقام إلى جنبى ، ثم جاء آخر ، حتى كنا رَهْطاً .

فلما أحسّ رسول الله صلى عليه وسلم أنا خَلْفَه ، تجوّز فى صلاته ، ثم قام فدخل منزله ، فصلى صلاةً لم يصلِّها عندنا .

فلما أصبحنا قلنا : يا رسول الله ، أَفَطِنْتَ بنا الليلةَ ؟

قال : (نعم ، فذاك الذى حَمَلنى على الذى صنعتُ) .

• عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلةً فى جوف الليل فصلّى فى المسجد ، فصلى رجالٌ بصلاته .

فأصبح الناسُ يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم .

فخرج فى الليلة الثانية ، فصلى ، فصلوا بصلاته .

فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، وكثر أهل المسجد فى الليلة الثالثة .

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلّى ، فصلَّوا بصلاته .

فلما كانت الليلة الرابعة ، عجزَ المسجدُ عن أهله ، فلم يخرج إليهم .

فطفق رجال يقولون : الصلاة . فلم يخرج إليهم ، حتى خرج لصلاة الصبح .

فلما قضى الصلاة ، أقبل على الناس فتشهّد ثم قال :

(أمّا بعد ، فإنه لم يَخفَ عَلَيّ شأنكم الليلة ، ولكنى خشيت أن تُفرَض عليكم ، فتعجزوا عنها) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغِّبهم فى قيام رمضان ، من غير أن يأمرهم بعزيمةِ أمرٍ فيه ، ويقول :

(من قام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه) .

الباب التاسع عشر

فى سجوده الشكر

● عن أبى بَكْرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه الشىء مما يَسُرُّ ، خَرّ ساجداً ، شكراً لله تعالى .

أبوابُ صَومه

صَلّى اللهُ عَليهِ وَسَلّم

الباب الأول

في ذكر صومه من الشهر وفطره

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم إذا صام ، حتى يقول القائلُ لا يُفطر ، ويفطر إذا أفطر ، حتى يقول القائل : لا والله لا يصوم .

● عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول : لا يريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول : ما يريد أن يصوم ، وما صام شهراً متتابعاً غير رمضان ، منذ قدم المدينةَ .

أخرجاها .

● عن أنس أنه سُئل عن صوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

كان يصوم من الشهر ، حتى نرى أنه لا يريد أن يفطر منه ، ويفطر حتى نرى أنه لا يريد آن يصوم منه شيئاً .

وكنتَ لا تشاء أن تراه من الليل مصلِّيا ، إلا رأيته مصلياً ، ولا نائماً ، إلا رأيته نائماً(١) .

---

(١) قال العسقلاني : وليس المراد أنه كان يستوعب الليل قائماً أو نائماً . والمعنى في هذا التركيب على الإثبات ، لا على النفي ، والمراد . إن شئت أن تراه مصلياً رأيته كذلك ، وإن شئت أن تراه نائماً كذلك ، انظر شرح الشمائل ٢/٨٧ .

الباب الثانى

فى صومه ثلاثة أيام من كل شهر

● عن عبد الله أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من غُرة كل شهر ثلاثة أيام .

عن معاذة قالت : قلت لعائشة : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت : نعم .

قلت : من أيّه كان يصوم ؟ قالت : كان لا يُبالى من أيّه صام .

عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام : الاثنين من أول الشهر ، ثم الخميس الذى يَلِيه ، ثم الخميس الذى يَليه .

الباب الثالث

في صومه الاثنين والخميس

• عن عائشة أنها سُئلت عن صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يتحرّى الاثنين والخميس .

• عن أسامة بن زيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم الأيامَ ، يَسْرُد حتى يقال لا يفطر ، ويفطر الأيام ، حتى لا يكاد يصوم ، إلا يومين من الجمعة ، إن كانا فى صيامه [وَ] إلا صامهما .

فقلت : يا رسول الله ، إنك تصوم ، حتى لا تكاد تفطر ، وتفطر ، حتى لا تكاد تصوم إلا يومين ، إن دخلا فى صيامك ، وإلا صُمْتهما .

قال : أى يومين ؟ قلت : الاثنين والخميس . قال : (ذلك يومان تُعْرَض فيهما الأعمال على رب العالمين ، فأحبُّ أن يعرض عملى وأنا صائم) .

• عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تُعْرَض الأعمالُ يوم الاثنين والخميس ، وأحب أن يُعْرَض عملى وأنا صائم .

• عن حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم الاثنين والخميس.

الباب الرابع

فى صومه شعبان

● عن عائشة قالت : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر من السَّنة أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصومه كله(١) [أخرجاه] .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان .

● عن أسامة بن زيد قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من شهرٍ ما يصومه من شعبان .

فقلت : يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شهر ما تصوم من شعبان ؟

قال : ذاك شهر تَغْفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر تُرْفع فيه الأعمالُ إلى رب العالمين ، فأُحب أن يُرْفع عملى وأنا صائم .

● عن أم سلَمَة قالت . ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صام شهرين متتابعين ، إلا أنه كان يَصِل شعبان برمضان .

قال الترمذى : هذا إسناد صحيح .

---

(١) فى ذلك معارضة لما روى عن عائشة وابن عباس ، أنه ماصام شهراً كاملا غير رمضان فإما أن يقال كما قال ابن عبد البر . قولها الثانى متأخرعن قولها الأول ، فأخبرت عن أول أمره بأنه كان يصوم أكثر شعبان ، وأخبرت ثانياً عن آخر أمره ، أنه كان يصومه كله .

وإما أن يقال كما قال ابن المنير : إن الكلام محمول على المبالغة ، فلا تكون « كل » للإحاطة والشمول ، كما فى قوله تعالى : « ولقد أريناه آياتنا كلها » .

هذا والرواية فى صحيح مسلم : كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان « إلا قليلا » قال النووى : الثانى مفسر للأول . والمراد بالكل حينئذ ، المعظم . وانظر شرح الشمائل ٢/٨٩ .

الباب الخامس

فى مواصلته للصيام

● عن أنس قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل ، وذلك فى آخر الشهر ، فأخذ رجالٌ من أصحابه يواصلون ، فقال :

(ما بالُ رجالٍ يواصلون ؟ ! إنكم لستم مِثْلى ، أما والله لو مُدَّ لى الشهرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالًا يَدَعُ المتعمِّقون تعمُّقَهم) .

● عن أنس قال : واصَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فواصل أُناسٌ ، فقال : (إنى لست مِثلكم . إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى) .

الباب السادس

فى ذكر ما كان يفطر عليه

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رُطَبات قبل أن يصلى ، فإن لم يكن رطبات ، فتيمرات ، فإن لم يكن تمرات ، حَسَا حَسَوَاتٍ من ماء .

الباب السابع

فيما كان يقوله إذا أفطر عند قوم

● عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر عند أهل بيتٍ قال لهم : (أفطَر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرارُ ، وصَلَّت عليكم الملائكة) .

الباب الثامن

في جده واجتهاده

في العَشر الأخير من رمضان

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر من رمضان – حتى توفاه الله – يُحْيي الليلَ ، ويوقظ أهله ويشُدُّ المِئْزَر .

أخرجاه .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقى عشرٌ من رمضان ، شدَّ مِئْزره ، واعتزل أهله .

الباب التاسع

فى ذكر اعتكافه

فى العشر الأواخر من رمضان

عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى .

الباب العاشر

فى أكله يوم عيد الفطر قبل الخروج

● عن عبد الله بن زيد ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر يومَ الفطر ، لم يخرج حتى يأكل .

فإذا كان يومُ النحر ، لم يأكل حتى يذبح .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا كان يوم الفطر لم يخرج حتى يأكل تمرات ، يأكلهن أفراداً .

الباب الحادى عشر

فى حمل الحربة بين يديه يوم العيد

• كان النجاشى قد وهب للزُّبير بن العوام حَرْبَةً ، فكانت تلك الحربة تُحمل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأعياد .

الباب الثانى عشر

فى عدد تكبيراته فى صلاة العيد

• عن عمرو بن شُعَيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَبَّرَ فى عيدٍ ثنتى عشرة تكبيرة ، سبعاً فى الأولى ، وخمساً فى الثانية ولم يصلِّ قبلها ولا بعدها .

الباب الثالث عشر

فى مخالفته الطريق يوم العيد

● عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى العيد رجع فى غير الطريق الذى خرج منه(١) .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى العيد من طريق ، ورجع فى أخرى .

(١) الرواية فى صحيح البخارى عن جابر ، قال : (كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق) ثم قال : تابعه يونس عن فليح عن أبى هريرة ، وحديث جابر أصح .

أبوابُ حجِّهِ وعمرتِهِ

عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ

• قد حج النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة حجات ، وما حجَّ بعد الهجرة إلا مرةً ، وهى التى تسمَّى حجة الوداع .

الباب الأول

فى ذكر إحرامه

• عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَّ مِنْ قِبَل مسجد ذى الحُلَيْفة حين استوَتْ به راحلتُه .

الباب الثانى

فى ذكر تلبيته

• عن ابن عمر ، أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَبَّيْك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمدَ والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .

الباب الثالث

فى دعائه يوم عرفة

• عن عمرو بن شُعَيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خيرُ الدعاء يوم عرفة ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) .

• عن ابن عباس بن مِرْداس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة ، فأجيب : إنى قد غفرتُ لكم ، ما خلا الظالم ، فإنى آخذ للمظلوم منه .

قال : أى رب ، إن شئتَ أعطيتَ المظلوم من الخير وغفرتَ للظالم ، فلم يُجِبْه عشيته ، فلما أصبح بالمزدلفة ، أعاد الدعاء ، فأجيب إلى ما سأل .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو قال : تبسَّم .

فقال أبو بكر أو عمر : إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها ، فما الذى أضحكك ، أضحكَ الله سنَّك ؟

قال : إن عدو الله إبليس ، لمَّا علم أن الله قد استجاب دعائى ، وغفر لأمتى ، أخذ التراب ، فجعل يَحْثو على رأسه ويدعو بالويل والثبور ، فضحكتُ مما رأيتُ من فعله(١) .

---

(١) ذكر المؤلف نفسه هذا الحديث فى « الموضوعات » وقال عنه : لا يصح ! وقد تعقبه فى ذلك ابن حجر وألف فى الرد عليه رسالة « قوة الحجاج » انظر اللآلى المصنوعة ٢/١٢٢ — ١٢٣ وشرح المواهب ٨/١٨٦

الباب الرابع

فى ذبح أضحيته بيده

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح أضحيته بيده وكبَّر عليها .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحِّى بكبشين أقرنين أملحين ، وكان يسمِّى ويكبِّر ، ولقد رأيته يذبحهما بيده ، واضعاً على صِفَاحهما(١) قدمَه .

أخرجاه .

● عن جابر قال : ضحَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين مَوْجُوءَيْن ، فقدَّم أحدهما فقال : بسم الله والله أكبر ، اللهم منك ، وإليك ، عن أمتى ، وعن من شهد لك بالتوحيد ، وشهد لى بالبلاغ .

ثم قدَّم الآخرَ وقال : بسم الله والله أكبر ، اللهم منك وإليك ، عن محمد وآل محمد .

قال : المَوْجوء الذى قد خُصِي .

(١) الصفاح : جمع صفح . وهو : الجانب .

الباب الخامس

فى طوافه واستلامه الحجر

● عن ابن عباس أنه قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت وجعل يستلم الحجر بمحجنه[1] ، ثم أتى السقايةَ وبنو عمه ينزعون منها ، فقال : ناولونى . فدُفع إليه الدلو فشرب . ثم قال : (لولا أن الناس يتخذونه نُسكا ويغلبونكم عليه لنزعت معكم) .

ثم خرج ، فطاف بين الصفا والمروة .

الباب السادس

فى استلامه الركن اليمانى

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِّل الركن اليمانى ، ويضع خدَّه عليه .

(١) المحجن : عصا معوجة ، كالصولجان .

الباب السابع

فى سعيه بين الصفا والمروة

● عن حبيبة بنت أبى تَجْراة(١) ، قالت : أشرَفْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى ، فإذا هو يقول لأصحابه :

(اسعوا ، فإن الله كتب عليكم السَّعْى) .

ولقد رأيته من شدة السعى ، يدور الإزارُ حول بطنه ، حتى رأيت بياضَ إبطه وفخذه .

الباب الثامن

فى رميه الجمرة

● عن الفضل بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبَّى حين تُرْمى جمرة العقبة . قال : ورمى بسبع حصيات وكبَّرَ مع كل حصاة .

(١) صحابية ، روت عنها صفية بنت شيبة .

الباب التاسع

فى دخوله الكعبة

● عن ابن عباس قال : لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحيه كلها ، ولم يصلِّ حتى خرج منه .

فلما خرج ، ركع ركعتين فى قِبَل الكعبة وقال : هذه القبلة .

أخرجاه .

● عن ابن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ، ومعه أسامة ، وبلال ، وعثمان بن أبى طلحة ، فأجافوا(١) عليهم الباب طويلا ، ثم فتح ، وكنت أول من دخل ، فلقيت بلالا فقلت : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : بين العمودَيْن المقدمين .

فنسيت أن أسأله كم صلى ؟

(١) أجافوا : ردوا وأغلقوا .

الباب العاشر

فى خطبته فى حجة الوداع

● عن ابن عباس قال[١] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● (يا أيها الناس ، أىُّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام .

قال : أى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام .

قال : فأىُّ شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام) .

قال : (فإنَّ أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا) .

ثم أعادها مراراً ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال :

اللهم هل بلَّغْتُ ؟ ثلاث مرات ، وقال :

(لِيُبَلِّغ الشاهدُ الغائبَ ، لا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقابَ بعض) .

● عن أبى شُريح العدَوى قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الغدَ من يوم الفتح ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

(إن مكة حرَّمها الله ، ولم يحرمها الناس ، فلا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك بها دما ، ولا يعضد بها شجرةً .

---

(١) البخارى : « عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال » .

فإنْ أحدٌ ترخّص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا :

إن الله عز وجل أَذِن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حُرمتها اليوم كحرمتها أمس . فليبلغ الشاهدُ الغائبَ) .

أخرجاه . انفرد البخارى بالذى قبله .

• عن أبى نضرة قال : حدّثنى من شهد خطبة النبى صلى الله عليه وسلم بمنى فى وسط أيام التشريق ، وهو على بعير ، فقال :

(يا أيها الناس ، ألا إنّ ربكم واحد ، ألا وإن أباكم واحد ، ألا ، لا فضل لعربى على عجمى ، ألا ، لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟) .

قالوا : نعم . قال : (ليبلغ الشاهدُ الغائبَ) .

• عن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى حجة الوداع ، فقال : (اتقوا الله وصلّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدّوا زكاة أموالكم وأطيعوا أولى أمركم ، تدخلوا جنة ربكم) .

الباب الحادى عشر

فى سياقة حجته جملة

• عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : قلت لجابر بن عبد الله : أخبرنى عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذِّن فى السنة العاشرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجٌّ .

فقدم المدينة بَشَرٌ كثير وكلٌّ يريد أن يأتمَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل مثل عمله .

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحُلَيفة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ثم ركب القَصْواء ، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء ، نظرتُ إلى مَدِّ بصرى بين يديه ، بين راكب وماشٍ ، وعن يمينه ، مثل ذلك ، وعن يساره ، مثل ذلك ، ومن خلفه ، مثل ذلك .

فأهلَّ بالتوحيد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته ، حتى إذا أتينا البيت معه ، استلم الركن ، فرَمَل(١) ثلاثاً ، ومشى أربعاً .

ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ : « واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى »(٢) ، فصلى ركعتين ، ثم رجع إلى الركن فاستلمه .

(١) رمل : أسرع . (٢) سورة البقرة ١٢٥

ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ :

« إِنَّ الصَّفَا والمَرْوَة من شَعَائِرِ الله » ابدأوا بما بدأ الله به .

فبدأ بالصفا ، فَرَقِيَ عليه ، حتى رأى البيت .

فاستقبل القبلة ، فوحَّدَ الله وكبره ، وقال : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أنجزَ وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) .

ثم نزل إلى المروة ، حتى انصبَّت قدماه فى بطن الوادى .

حتى إذا صعدنا ، مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا .

حتى إذا كان آخر طواف على المروة قال :

لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لم أسُقِ الهديَ ، ولجعلتها عمرة .

فقام سراقة بن مالك بن جُعْشم فقال : يا رسول الله ، ألِعامنا هذا أم للأبد ؟

قال : فشبَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الأخرى ثم قال : دخلت العمرةُ فى الحج ، مرتين ، لا ، بل لأبد الأبد .

وقدم عليٌّ من اليمن ببُدْن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمةَ ممن حَلَّ ، ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت ، فأنكر عليها ذلك ، فقالت : أبى أمرنى بهذا(١) .

---

(١) فى صحيح مسلم : « فكان على يقول بالعراق : فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة للذى صنعت ، مستفتيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه ، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها ، فقال : صدقت » .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ : ماذا قلت حين فرضتَ الحجَّ ؟ قال : قلت اللهم إنى أُهِلُّ بما أهلّ به رسولك . قال : فإن معى الهدْى فلا تَحل .

وكان الذى قدم به علىٌّ من اليمن ، والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

فحلّ الناسُ كلهم وقَصَّرُوا ، إلا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هَدْى .

فلما كان يوم التروية ، توجهوا إلى منى ، فأهلُّوا بالحج ، فنزل(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم(٢) الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، والفجر .

ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقُبَّةٍ من شَعر فضربت له بنَمِرةَ(٣) .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تشكُّ قريشٌ إلا(٤) أنه واقفٌ عند المَشْعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهليَّة .

فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتى عرفةَ ، فوجد القُبة قد ضُربت له بنَمرة فنزل بها .

---

(١) صحيح مسلم : وركب .
(٢) صحيح مسلم : فصلى بها .
(٣) نمرة : موضع بجنب عرفات ، وليس منها .
(٤) الأظهر فى « إلا » أنها زائدة وأن فى موضع نصب على إسقاط الجار ، أى ولا تشك قريش فى أنه . ويحتمل أن يكون الاستثناء من محذوف تقديره : ولا تشك قريش فى أنه يخالفها فى جميع المناسك إلا الوقوف عند المشعر الحرام .
انظر شرح النووى على صحيح مسلم .

حتى إذا زاغتِ الشمسُ ، أمر بالقَصْواء فرُحِّلت له .

فأتى بطن الوادى ، فخطب الناس فقال :

(إن دماءكم وأموالكم ، عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا .

ألا كلُّ شىء من أمر الجاهلية ، موضوع تحت قدمى ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أولَ دم أضَعُه من دمائنا ، دَمُ ربيعة بن الحارث ، كان مُسْتَرْضعاً فى بنى سعد فقتلَتْه ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول رباً أضعه ، ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله .

واتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة[1] الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطِئْن فُرشكم أحداً تكرهونه ، فإنْ فعلن ذلك ، فاضربوهن ضربا غير مبرِّح ، ولهن عليكم رزقُهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركتُ فيكم ، ما إنْ تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تُسْألون عنى فما[2] أنتم قائلون ؟

قالوا : نشهد أنك قد بَلّغت الرسالة وأديت ونصحت .

فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس : اللهم اشهد (ثلاث مرات) .

ثم أذّن ثم قام ، فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً .

---

(١) الأصل : اتخذتموهن أمانة الله . وهو تحريف . وما أثبته من صحيح مسلم .

(٢) الأصل : ما . وما أثبته عن صحيح مسلم .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المَوْقف ، فجعل بطنَ ناقته القَصْواء إلى الصَّخَرات ، وجعل حبلَ الشاة بين يديه ، واستقبل القبلَة ، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصُّفْرَة قليلا حتى غاب القرص ، وأردف أسامة خلفه .

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شَنَق(١) لِلْقَصْواء الزمامَ ، حتى إنَّ رأسها لَيصيب مَوْرِكَ(٢) رَحْله ويقول بيده اليمنى :

أيها الناس السَّكِينة السَّكِينة . كلما أتى جبلا من الجبال ، أرْخَى لها قليلا .

حتى أتَى المزدلفةَ ، فصلى بها المغربَ والعشاء ، بأذان واحد ، وإقامتين ، ولم يسبِّح بينهما شيئاً .

ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حين تبيَّن له الصبحُ بأذان وإقامة .

ثم ركب القَصْواء حتى أتى المَشْعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، ودعا وكَبَّرَ ، وهلل ووَحَّد ، فلم يزل واقفاً حتى أَسْفَرَ جدًّا .

فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضلَ بن عباس حتى أتى بطنَ مُحَسِّر ، فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرةَ التى عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يكَبِّر مع كل حصاة

---

(١) الأصل : شرف . وما أثبته من صحيح مسلم .
وشنق : ضم وضيق يقال : شنقت البعير شنقا من باب قتل ، إذا كففته ورفعت رأسه بزمامه .

(٢) المورك : والموركة : للرفقة التى تكون عند قادمة الرحل ، يضع الراكب رجله عليها ، ليستريح من وضع رجله فى الركاب .

منها ، مثل حصى الخَذْف(١) ، رمى مِنْ بطن الوادى ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بَدَنة ، ثم أعطى عليًا فنحر ما غَبَر(٢) وأشرَكه فى هَدْيه ، ثم أمر من كل بَدَنة ببَضْعة(٣) ، فجعلت فى قِدْر فطُبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر .

قال : فأتى بنى عبد المطلب ، وهم يَسقون على زمزم ، فقال : (انزعوا بنى عبد المطلب ، فلولا أنْ يغلبكم الناس على سِقايتكم لنزعت معكم) فناولوه دلواً فشرب منه .

انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) حصى الخذف : حصى صغار بحيث يمكن أن يرمى بإصبعين . والخذف فى الأصل مصدر سمى به ، وهو الرمى بطرفى الإبهام والسبابة .

(٢) ما غبر : ما بقى .

(٣) البضعة : القطعة من اللحم .

الباب الثاني عشر

في عدد عمره

صلى الله عليه وسلم

● عن أنس قال : حجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حجةً واحدة ، واعتمر أربع مرات ، عمرتُه زمن الحديبية(١) ، وعمرته في ذي الحجة(٢) من المدينة ، وعمرته من الجِعْرَانة ، حيث قسم غنائمَ حُنَيْن ، وعُمْرته مع حجته .

---

(١) كانت في ذي القعدة ، سنة ست من الهجرة . قال النووي : وصدوا فيها وتحللوا ، وحسبت لهم عمرة .

(٢) الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتمر إلا في ذي القعدة ، غير عمرته مع حجته ، ويدل لذلك ما رواه مسلم في صحيحه ٤/٦٠ حدثنا قتادة أن أنسا رضي الله عنه أخبره أن رسول الله اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته . ثم ذكرهن ، وقد كانت تلك العمرة الثانية في ذي القعدة من السنة السابعة وهي المعروفة بعمرة القضية . فلعل ما هنا تحريف .

أبواب خوفه وتضرّعه

وحزنه وفكره، وبكائه، وورعه
وقصر أمله، واستغفاره وتوبته

عليه الصّلاةُ والسّلامُ

الباب الأول

فى ذكر خوفه وتضرعه

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن يُدْخل أحدكم عملُه الجنةَ) قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ! قال : (ولا أنا إلا أن يتغمّدنى الله برحمةٍ منه وفَضْل) .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم أحدٌ يُنْجِيه عمله) قالوا : ولا أنت ؟ ! قال : (ولا أنا إلا أن يتغمّدنى الله بمغفرة ورحمة) ووضع يدَه على رأسه صلى الله عليه وسلم .

● عن مُطرف بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولِصَدْره أزيزٌ كأزيز المِرْجَل .

● عن عائشة قالت : كانت ليلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت فإذا به ساجد كالثوب المطروح ، فسمعته يقول (سجَد لك سَوادى وخَيالى ، وآمنَ بك فؤادى ، ربِّ هذه يداىَ وما جنيتُ بها على نفسى ، يا عظيمًا يُرْجَى لكلِّ عظيم ، اغفر الذنب العظيم) .

ثم قال : (إن جبريل أمرنى أن أقول هذه الكلمات التى سمعتِ ، فقوليهن فى سجودك فإنّ من قالها ، لم يَرْفع رأسه حتى يُغْفر له) .

● عن عائشة قالت ترَخّص رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أمر ، فتنزّه عنه ناسٌ من الناس ، فبلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فغضب حتى بان الغضبُ فى وجهه ، ثم قال : ما بالُ أقوامٍ يَرْغَبون عمّا أُرْخِص لى فيه ، فوالله لأَنا أَعْلَمهم بالله وأشدُّهم خشيةً) .

الباب الثانى

فى انزعاجه للغيم والريح

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف ذلك فى وجهه . فقلت : يا رسول الله ، الناسُ إذا رأوا الغَيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عُرف فى وجهك الكراهة؟

قال : (يا عائشة : ما يُؤمننى أن يكون فيه عذاب ؟ قد عُذِّب قومٌ بالريح، وقد رأى قومُ العذابَ فقالوا : هذا عارضٌ مُمْطِرنا !) .

أخرجاه .

الباب الثالث

فيما كان يقوله إذا سمع صوت الرعد والصواعق

● عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوتَ الرعد والصواعق قال :

(اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تُهْلِكنا بعذابك ، وعافِنا قَبلَ ذلك) .

الباب الرابع

فى ذكر خوفه وفكره

● عن الحسن بن على ، عن خاله هند ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَوَاصل الأحزان ، دائم الفِكْر ، ليست له راحة .

الباب الخامس

فى ذكر بكائه

قال المصنِّف : قد ذكرنا فى باب شفقته أنه سأل فى أمَّته وبكى ، فأوحى الله إليه : سأُرْضيك فى أمتك .

● عن عبد الله بن مسعود قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرأ علىّ) فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك ، وعليك أُنْزل ؟!

قال : (نعم ، إنى أُحِبُّ أن أسمعه مِن غيرى) .

فقرأت سورة النساء حتى أتيتُ على هذه الآية : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » قال : (حَسْبُكَ) .

فنظرت إليه ، فإذا عيناه تَذْرِفان .

أخرجاه .

• عن مُطرّف ، عن أبيه ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولِجَوْفِهِ أزيزٌ كأزيز المِرْجَل من البكاء !

• عن عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعُبَيْد بن عُمَيْر على عائشة ، فقال ابن عمر : حدّثينى بأعجب ما رأيتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبكت ثم قالت : كلُّ أمره كان عجباً ، أتانى فى ليلتى حتى إذا دخل معى فى لحافى ، وألصق جلده بجلدى . فقال : يا عائشة ، أتأذنين لى فى عبادة ربى ؟! فقلت : إنى لأحبُّ قُرْبَك وهواك .

قالت : فقام إلى قِرْبة فى البيت ، فلم يُكثِرْ صَبَّ الماء ، ثم قام فقرأ القرآن ، قالت : ثم بكى ، حتى رأيت دموعه بَلّت حُجْزته(١) ، ثم اتكأ على جنبه الأيمن ، ثم وضع يده اليمنى تحت خده ، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلّت الأرض .

فجاءه بلال يُؤذنه بالصلاة ، فرآه يبكى ، فقال : يارسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟!

ثم قال : ومالى لا أبكى ، وقد أنزل الله علىّ الليلة : « إنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ »(٢) الآيات .

ثم قال : ويلٌ لمن قرأها ، ولم يتفكر فيها .

---

(١) الحجزة : معقد الإزار .   (٢) سورة آل عمران ١٩٠ .

• عن علي قال : لقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، يصلي ويبكي ، حتى أصْبَح . يعني : ليلة بَدْر .

• عن أبي هريرة قال : صحبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ليلةً ، فقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » فبكى حتى سقط . فقرأها عشرين مرة ، كلُّ ذلك يبكي حتى يَسْقط ، ثم قال لي آخر ذلك :

(لقد خاب من لم يَرْحمه الرحمن الرحيم) !

• عن سلمة المخزومي قال : لمّا أصيب زيدُ بن حارثة انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأته ابنته ، أجهشت في وجهه .

فانتحب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له بعضُ أصحابه :

ما هذا يا رسول الله ؟ !

قال : (هذا شوق الحبيب إلى حبيبه) .

• عن أنس قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبراهيم وهو يجود بنفسه ، فجعلت عَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تَذْرفان ، وقال :

(إن العين تَدْمع ، والقلبَ يحزن ، ولا نقول إلا ما يُرْضى ربنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون !) .

• عن أسامة بن زيد قال : أرسلَتْ بنتُ النبي صلى الله عليه وسلم : أن ابناً لي في الموت . فأرسل يقول :

(إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكلُّ شيء عنده بأجل مسمًّى) .

فأرسلت تقسم عليه ليأتينّها ، فقام ومعه رجال ، فرُفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبيُّ ونَفْسه تقعقع ، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال سعد بن عبادة : ما هذا يا رسول الله ؟ !

قال : (رحمةٌ جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يَرْحم مِن عباده الرحماء) .

● عن عبد الله بن عمر قال : اشتكى سعدُ بن عبادة ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل وجده فى غاشية أهله ، فقال :

قد قَضى ؟ قالوا : لا . فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم !

● عن عائشة قالت : لما مات عثمان بن مَظْعون كشف النبيُّ صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه ، وقبّل بين عينيه وبكى ، ثم بكى طويلا ، ثم رفع على السرير فقال : (طوباك يا عثمان ، لم تَلْبسكَ الدنيا ولم تَلْبسها) .

● عن مَيْسرة بن مَعبد ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله ، إنا كنا أهل جاهلية وعُبّاد أوثان ، وكنا نقتل الأولاد ، وكانت عندى بنت وكانت مسرورة بدعائى إذا دعوتها ، فدعوتها يوماً فاتبعتنى .

فمررتُ حتى أتيت بئراً من أهلى غير بعيد ، فأخذت بيدها فواريتها(١) فى البئر ، وكان آخر عهدي بها أن تقول : يا أبتاه يا أبتاه .

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى وَكَف دَمْعُ عينيه .

فقال له رجل من جلساء رسول الله صلي الله عليه وسلم : أحْزَنْتَ رسولَ الله. فقال له : كُفَّ فإنه يسأل عما أهمّه .

قال : أعِدْ علىّ حديثك . فأعاده ، فبكى حتى وكف الدمعُ من عينيه على لحيته ثم قال : (إن الله قد وضَع عن الجاهلية ما عملوا فاستأنِفْ عملَك) .

---

(١) واريتها : أخفيتها .

• عن ثابت بن سَرْح قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اجعل لى عينين هَطَّالتين ، تبكيان بذروف الدموع ، وتشفقان من خشيتك قبل أن يصير الدمعُ دماً والأضراسُ جَمْراً[(١)]) .

الباب السادس

فى ذكر ورعه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال : إنْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيصيب التمرة فيقول : (لولا أنى أخشى أنها من الصدقة لأكلتها) .

أخرجاه .

• عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نائما ، فوجد تمرة تحت جنبه ، فأخذها فأكلها ، ثم جعل يتضوَّر[(٢)] من آخر الليل ، وفزع لذلك بعض أزواجه فقال : (إنى وجدت تمرة تحت جنبى فأكلتها فخشيت أن تكون من تمر الصدقة) .

(١) الأصل : حمرا .

(٢) قال فى المختار من الصحاح : التضور : الصياح والتلوى عند الضرب أو الجوع .

الباب السابع

فى قصر أمله

● عن أبى سعيد الخدرى قال: اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر . فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

(ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر ؟!) .

(إن أسامة لطويل الأمل ، والذى نفسى بيده ، ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفرىّ لا يلتقيان حتى أُقبَض ، ولا رفعتُ طَرْفى ، فظننت أنى واضعه حتى أُقبَض ، ولا لقمت لقمة ، فظننت أنى لا أسيغها حتى أغصّ بها من الموت .

ثم قال : يا بنى آدم إن كنتم تعقلون فعُدُّوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده ، إن ما توعدون لآت ، وما أنتم بمُعْجزين) .

● عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهريق الماء ، فيتمسح بالتراب ، فأقول : يا رسول الله ، إن الماء منك قريب .

فيقول : وما يدرينى ، لعلى لا أبلغه(١) .

(١) لا يصح معنى هذا الحديث ، ولا يعقل أن يكون رسول الله مناقضاً للقرآن فى قوله : « فلم تجدوا ماء فتيمموا » .

الباب الثامن

فى توبته واستغفاره

• عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

(يا أيها الناس ، توبوا إلى ربكم ، فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة) .

• عن ابن عمر قال : إنْ كنا لَنعدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول : (ربّ اغفر لى وتُبْ علىّ ، إنك أنت التواب الرحيم) مائة مرة .

• عن عائشة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضُّحا ثم قال : (اللهم اغفرلى وتُبْ علىّ، إنك أنت التواب الرحيم) حتى قالها مائة مرة .

• عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة) .

• عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه ، عن جده ، قال : جاءنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس فقال :

(ما أصبحت غداةً قط ، إلا استغفرتُ الله فيها مائة مرة) .

أبوابُ دَعائِه

عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

الباب الأول

فى بسط يديه عند الدعاء

● عن ابنة الحسين قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا ابتهل ودعا ، كما يستطعم المسكينُ !

الباب الثانى

فى دعائه عند الصباح والمساء

● عن ابن عمر قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى :

(اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى .

اللهم استر عوراتى ، وآمن رَوْعاتى[1] .

---

(١) روعاتى . أى : مخاوفى . قال فى المختار من الصحاح : الروع . بفتح الراء : الفزع . والروعة : الفزعة .

والروع : بضم الراء القلب والخاطر . يقال : وقع ذلك فى روعى . أى : فى قلبى وخاطرى (بالى) وفى الحديث (إن الروح الأمين نفث فى روعى) . و «راعه» من باب « قال » فارتاع . أى : أفزعه ففزع . وروعه ترويعا خوفه تخويفا . وقولهم : لا ترع . أى : لا تخف . وراعه الشىء : أعجبه وبابه (قال) والأروع من الرجال : الذى يعجبك . انتهى بتصرف يسير .

اللهم احفظنى من بين يدىّ ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ، ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى) قال : يعنى الخسف .

• عن عبد الرحمن بن أَبْزَى ، عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى :

(أصبحْنا على فطرة الإسلام ، وعلى كلة الإخلاص ، وعلى دين نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أبينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم حنيفا وما كان من المشركين) .

• عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أصبح :

(اللهم بك أَصبَحْنا وبك أَمْسَينا ، وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير » .

• عن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمْسَى قال : (أمسَيْنا وأمسَى المُلكُ لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير .

رب أسألك خيرَ هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شرِّ ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها .

رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر .

رب أعوذ بك من عذابٍ فى النار وعذاب فى القبر) .

وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : أصبحنا وأصبح الملك لله .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثالث

في دعائه عند الكرب

● عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب :

(لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ، رب العرش الكريم) .

الباب الرابع

فى دعائه مطلقا

● عن أبى موسى ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول هذا الدعاء :

(اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى ، وإسراف فى أمرى ، وما أنت أعلمُ به منى ، اللهم اغفر لى جِدِّى وهَزْلى ، وخطئى وعَمْدى ، وكلُّ ذلك عندى .

اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخَّرت ، وما أسررتُ وما أعلنت ، وما أنت أعلمُ به منى ، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر ، وأنت على كل شىء قدير) .

● عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الدعوات :

(اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ، وفتنة القبر وعذاب القبر ، ومن شرِّ فتنة الفقر ، وأعوذ بك من المسيح الدجال ، اللهم اغسل خطاياى بماء الثلج والبَرد ، ونَقِّ قلبى من الخطايا ، كما نقَّيتَ الثوب الأبيض من الدنس ، وباعِدْ بينى وبين خطاياى ، كما باعدتَ بين المشرق والمغرب ، اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم(١) والمَغْرَم(٢)) .

هذا والذى قبله فى الصحيحين .

---

(١) قال فى المختار من الصحاح : المأثم : إذا وقع فى الإثم وهو الذنب .

(٢) المغرم : ما يلزم أداؤه والمعنى : أعوذ بك يارب أن أقع فى الذنب وأعوذ بك من غلبة الدين .

• عن زيد بن أرقم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(اللهم إنى أعوذ بك من العَجْز والكسل ، والجُبْن والهَرم ، والبخل وعذاب القبر ، اللهم آتِ نفسى تقواها ، وزَكِّها أنت خيرُ من زكاها ، أنت وليُّها ومولاها ، اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يَخْشع ، ونفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها) .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(اللهم إنى أعوذ بك من البَرص والجنون والجذام ، وشتّى الأسقام) .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْثر أن يقول : (يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبى على دينك) .

فقلنا : يا رسول الله ، آمنا بك ، وبما جئتَ به ، فهل تخاف علينا ؟ قال :

(نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلبها تبارك وتعالى) .

• عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو :

(اللهم اغفر لنا ذنوبنا وظُلْمنا ، وهَزْلنا وجِدّنا وعَمْدنا ، وكلُّ ذلك عندنا .

اللهم إنى أعوذ بك من غلَبَة الدَّيْن ، وغلبة العدوّ ، وشماتة الأعداء) .

• عن عبد الله بن أبى أوْفَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول :

(اللهم طَهِّرنى بالثّلج والبَرَد والماء البارد ، اللهم طَهِّر قلبى من الخطايا كما طهرتَ الثوب الأبيض من الدَّنس ، وباعد بينى وبين ذنوبى ، كما باعَدْتَ بين المشرق والمغرب .

اللهم إنى أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع ، ونفسٍ لا تشبع ، ودعاء لا يُسْمَع ، وعلمٍ لا يَنفع).

• عن أبى اليسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الدعوات السبع .

(اللهم إنى أعوذ بك من الهَرَم ، وأعوذ بك من التَرَدِّى[1] وأعوذ بك من الغَمِّ والغَرْق والحَرْق والهَدْم ، وأعوذ بك أن يتخبَّطنى الشيطانُ عند الموت ، وأعوذ من أن أموت فى سبيلك مُدْبِرًا ، وأعوذ بك من أن أموت لَديغاً) .

• عن قيس بن عَبّاد قال : صَلّى بنا عَمّارٌ صلاةً فأَوْجَز فيها ، فأنكَروا ذلك فقال : ألم أُتِمّ الركوع والسجود ؟ قالوا : بلى .

قال : أمَا إنى قد دعوت فيها بدعاء كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعو به :

(اللهم بِعِلْمك الغَيْب ، وقُدْرتك على الخلق ، أَحْيِنى ما علمتَ الحياة خيراً لى ، وتوفَّنى ، إذا كانت الوفاة خيراً لى ، أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وكلمةَ الحق فى الغضب والرضا ، والقَصْد فى الفقر والغنى ، ولذةَ النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقائك ، وأسألك نعيما لا يَنْفدُ[2] ، وقُرَّةَ عين لا تنقطع ، وأعوذ بك من كل ضَرّاء مُضِرّة[3] وفتنة مُضِلّة ، اللهم زيِّنّا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداةً مهتدين) .

---

(١) التردى ، معناه : السقوط فى مكروه .

(٢) لا ينفد . أى : لا يفنى ولا يزول .

(٣) ضراء مضرة . أى : شدة فيها ضرر .

• عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو :

« ربِّ أعِنِّى ولا تُعِنْ علىَّ ، وانصرنى ولا تنصر علىَّ ، وامكر لى ولا تمكر علىَّ ، واهدنى ويسِّر لى الهدى ، وانصرنى على من بغى علىَّ ، ربِّ اجعلنى لك شاكراً ، لك ذاكراً ، لك رهَّاباً ، لك مِطْواعاً ، لك مُخْبِتًا(١) ، لك أوَّاهًا منيباً ، ربِّ تقبَّلْ توبتى ، واغسل حَوْبتى ، وأجِبْ دعوتى ، وثبِّت حُجَّتى ، وسدِّد لسانى ، واهْدِ قلبى ، واسْلُل سخيمةَ قلبى) .

• عن عروة بن نوفل قال : سألتُ عائشةَ عن شىء كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان يدعو : (اللهم إنى أعوذ بك من شرِّ ما عملتُ ومن شرِّ ما لم أعمل) .

• عن أبى هريرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم أصلح لى دِينى الذى هو عصمةُ أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى ، واجعل الحياة زيادةً لى فى كل خَيْر ، واجعل الممات راحةً لى من كل شر) .

• عن عبد الله بن عمر قال : كان مِنْ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم إنى أعوذ بك مِنْ زوال نعمتك ، وتحوُّل عافيتك ، وفَجْأة نقمتك ، وجميع سخطك) .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله علية وسلم يقول : (اللهم إنى أعوذ بك من الهمِّ والحزن والعَجْز والكسل والجبن والبخل وضَلَع الدَّيْن(٢) وغلَبة الرجال) .

• عن أبى هريرة قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مخبتاً . أى : خاشعاً . (٢) ضلع الدين . أى : ثقل الدين .

(اللهم اغفر لى ما قدّمْتُ وما أخّرْت ، وما أسررتُ وما أعْلَنْتُ ، وما أنت أعْلَمَ به مِنِّى ، أنت المقَدِّم وأنت المؤخِّر لا إله إلا أنت).

• عن أبى هريرة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والعِلّة والذلة ، وأعوذ بك أن أَظْلِم أو أُظْلَم) .

• عن أنس قال : كان أكثرُ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم آتنا فى الدنيا حَسنةً وفى الآخرة حَسنةً ، وقِنا عذابَ النار) .

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوّذُ من : (جَهْد البلاء ودَرْك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء) .

أبوابُ آلاتِ بنْيّه

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى ذكر سريره

● عن أنس قال : دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مُضْطَجع مزمَّل(١) بشريط ، وتحت رأسه وسادة من أَدَم(٢) حَشْوها ليف .

فدخل عليه نفر من أصحابه ، ودخل عمر ، فانحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انحرافةً .

فلم يَرَ عمر بَيْنَ جنبيه وبين الشريط ثوباً ، وقد أثَّر الشريطُ بجنبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى عمر .

فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟

قال : والله ، ما أبكى إلا أن أكون أعلم أنك أكْرَمُ على الله مِنْ كسرى وقيصر ، وهما يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا ، وأنت رسولُ الله بالمكان الذى أرى .

قال : (أما(٣) ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة) .

قال : بلى . قال : فإنه كذلك .

---

(١) مزمل . أى : ملفوف . (٢) أدم : جلد مدبوغ .

(٣) ت : فما .

● عن عمرو بن مهاجر : كان متاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عمر بن عبد العزيز فى بيتٍ ينظر إليه كلَّ يوم .

وكان إذا اجتمعت إليه قريش ، أدخلهم ذلك البيتَ ثم استقبل ذلك المتاعَ فيقول :

هذا ميراثُ مَنْ أكرمكم الله وأعزَّكم به .

قال : وكان سريراً مزمَّلاً بشريط ، ومِرْفَقةً من أدم ، محشوة ليفاً ، وجَفْنة(١) وَقَدَحا وثوباً ، ورحًى وكنانةً فيها أسْهُم .

وكان فى القطيفة ، أثرُ رشح عرق رأسه أطيب من ريح المسك .

فأصيب رجلٌ ، فطلبوا أن يغسلوا بعضَ ذلك الرشح فيُسَعَّط به .

فذكر ذلك لعمر ، فسُعط به فبرأ .

الباب الثانى

فى ذكر حصيره

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَحْتجر حصيراً بالليل فيصلى عليه ، ويُبْسط بالنهار فيجلس عليه للناس .

(١) جفنة . أى : قصعة .

الباب الثالث

في ذكر كرسيه

● عن أبي رفاعة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على كرسي خُلْب(١) قوائمه حديد(٢) .

● عن أبي رفاعة [العُذْرى](٣) قال : أتيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت : رجل غريب يسأل عن دينه .

فأقبل إليَّ وترك خطبته ، ثم أتى بكرسي خُلْب قوائمه حديد .

فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل يعلمني مما علمه الله .

قال أبو عبد الرحمن في حديثه : قال حميد : أراه رأى خشباً أسود خشبه حديد .

انفرد بإخراجه مسلم .

وقد ذكره ابن قتيبة فقال : أتى بكرسي من خُلُب . والخلب : الليف .

قال المصنف : لولا ما ذكرناه عن حميد لكان الأليق أن يكون من ليف قوائمه من جريد بالراء . والجريد : السعف .

---

(١) الخلب : الليف . (٢) ت : جريد . (٣) سقطت من ز .

الباب الرابع

فى ذكر فراشه

● عن عائشة قالت : كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَدَم ، حشوه ليف .

● عن عائشة قالت : كان ضِجَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه بالليل من أدم ، حشوه ليف .

● عن عائشة قالت : دخلت علىّ امرأةٌ من الأنصار ، فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءةً مَثْنِيّة ، فانطلقتْ فبعثت إلىّ بفراش حَشْوه صوفٌ .

فدخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا ؟

فقلت : إن فلانة الأنصاريّة دخلتْ فرأت فراشَك فبعثت إلىّ بهذا .

قال : ردِّيه .

قالت : فلم أردَّه وأعجبنى أن يكون فى بيتى ، قالت : حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال : (رُدِّيه يا عائشة ، فوالله لو شئتُ لَأَجْرَى الله علىّ جبالَ الذهب والفضة) . قالت : فردَدْته .

● عن الربيع بن زياد الحارثى ، قال : قدمتُ على عمر بن الخطاب فى وفد العراق ، فأمر لكل رجل منا بَعباء(١) فأرسلتْ إليه حفصة فقالت :

(١) العباء : كساء ، كالعباءة .

يا أمير المؤمنين إياكَ أهلَ العراق وجوه الناس ، فأحسنْ كرامتهم .

فقال : ما أزيدهم على العباء يا حفصة ، أخبريني بألين فراشٍ فرشتِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : كان لنا كساء من هذه اللبدة ، أصبناه يومَ خيبر ، فكنت أفرشه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ ليلة ، إلا أني ربَّعته ليلةً فقال :

يا حفصة أعيديه لمرّته الأولى ، فإنها منعتْني وَطْأَتُه البارحةَ من الصلاة .

فأرسل عمر عينيه بالبكاء ، وقال : والله لا أزيدهم على العباء !

● عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : سألتُ عائشةَ ما كان فراشُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : مِسْحٌ(١) ثَنَيْته ثَنْيتين فنام عليه .

فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثَنَيْتُه أربع ثنيات كان أوْطَأَ له . فثنيناه أربع ثنيات [فلما أصبح قال : ما فرشتم لي الليلة ؟ قالت : قلنا هو فراشُك ، إلاّ أنّا ثَنَيْناه بأربع ثنيات](٢) قلنا هو : أوْطَأ لك .

قال : ردُّوه لحالته الأولى ، فإنه منعني وطأته صلاتي(٣) الليلة .

---

(١) المسح : كساء من شعر .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من شمائل الترمذى .

(٣) ت : صلاة الليلة .

الباب الخامس

فى ذكر اللحاف

• عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وعليه طرف اللحاف، وعلى عائشة طرفه.

• عن ابن عباس قال: تضيَّفْتُ ميمونةَ وهى خالتى، فجاءت بكساء فطرحته وفرشَتْه للنبى صلى الله عليه وسلم.

ثم جاءت ميمونةُ بخرقة، فطرحتها عند رأس الفراش.

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد صلّى العشاء الآخرة.

فانتهى إلى الفراش، فأخذ الخرقة التى عند رأس الفراش، فاتّزَر بها، وخلع ثوبيه فعلقهما ثم دخل معها فى لحافها.

الباب السادس

فى ذكر وسادته

● عن أنس قال : دخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم وتحت رأسه وسادة من أَدَم ، حَشْوها لِيفٌ .

● عن عمر أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو على حصير قد أثّر فى جنبه ، وإذا تحت رأسه مِرْفَقة(١) من أدم حشوها ليف .

الباب السابع

فى اتكائه على الوسادة

● عن جابر بن سَمُرة قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على وسادة على يساره .

● عن عائشة قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على وسادة فيها صُوَر .

---

(١) مرفقة . معناها هنا : المخدة .

الباب الثامن

فى ذكر قطيفته

● عن أنس قال : حجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رَحْلٍ رَثٍّ(١) وقطيفةٍ لا تساوى أربعة دراهم !

الباب التاسع

فى ذكر قبته

● عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال : أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو فى قُبَّة من أَدَم .

(١) رث . أى : بالٍ .

أبوابُ لبَاسِه

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

الباب الأول

فى ذكر قميصه

• عن أم سلمة قالت : كان أحبَّ الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص .

• عن أنس بن مالك قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميص قُطنىٌّ ، قصير الطول ، قصير الكُمَّين .

• عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس قميصاً فوق الكعبين ، مستوى الكُمَّين ، بأطراف أصابعه .

• عن ابن عمر قال : ما اتُّخذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميص له زِرٌّ .

• عن عائشة قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان خشنان غليظان ، فقلت : يا رسول الله ، إن ثوبيك هذين خشنان غليظان ، تَرْشح فيهما ، فيثقلان عليك .

• عن قتادة قال : سألتُ أنسًا : أىُّ اللباسِ كان أعجبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحِبَرة(١) .

• عن قتادة قالت : قلت لأنس : أىُّ اللباس كان أعجبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال الحبَرة . أخرجاه.

---

(١) قال فى المختار من الصحاح : والحبرة كالعنبة (أى : على وزنها) بُرْدٌ يمانى . والجمع (حِبَر) على وزن (عنب) وحبرات بفتح الباء .

الباب الثانى

فى ذكر جبته

• عن المغيرة بن شعبة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، غسَل وجهه، ثم ذهب يَحْسِر(١) عن ذراعيه ، وعليه جُبَّه شامية ، ضيّقة الكُمَّين ، فأخرج يده من تحتها .

• عن يزيد بن هارون قال : أخرجت لنا أسماء ، جبَّةً مَزْرورةً بالديباج. فقالت : فى هذه كان يَلْقى رسول الله صلى الله عليه وسلم العدوَّ .

• عن دِحْية الكلبى أنه أَهْدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم جبَّةً من الشام وخفين ، فلبسهما حتى تخرقا .

• عن سهل بن سعد قال : خِيطت لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم جبّة من صوف أَنْمار فلبسها ، فما أُعجبَ بثوبٍ ، ما أُعجب بها .

فجعل يمسُّها بيده ويقول : انظروا ما أحسنها .

وفى القوم أعرابى فقال : يارسول الله ، هَبْها لى . فخلعها ، فدفعها فى يده !

---

(١) يحسر . أى يكشف . والمراد هنا : يشمر .

الباب الثالث

في ذكر إزاره وكسائه

● عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى في خميصة لها أعلام . فنظر إلى أعلامها نظرةً ، فلما انصرف قال : اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جَهْم وائتونى ، بأَنبجانيَّة أبى جهم ، فإنها أَلْهَتْنى عن صلاتى .

الخميصة : رداء من صوف ذو عَلَمين . والأَنْبجانِيَّة : كساء من الصوف غليظ ، له خَمل ، وليس له عَلَم .

● عن أبى بُرْدة قال : أخرجَتْ لنا عائشة كساءً مُلَبَّداً ، وإزاراً غليظا ، فقالت : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين .

● عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة إلى المسجد وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل(١) من شعر أسود .

● عن سلمه بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم عثمانَ إلى مكة ، فأجاره أبان بن سعد ، فقال : يا ابن عَمٍّ ألا أراك متخشِّعاً ؟ أسْبِلْ كما يُسْبِل قومُك . قال : هكذا يَتَّزِرُ صاحبُنا ، إلى نصف ساقيه .

(١) المرط : كساء من صوف أو خز . والمرحل : الذى فيه صور الرحال . قال فى القاموس : « وكمعظم : برد فيه تصاوير رحل . وتفسير الجوهرى إياه بإزاء خز فيه علم ، غير جيد ، إنما ذلك تفسير للمرجل » .
وقال النووى : « الذى رواه الجمهور وضبطه المتقنون ، بالحاء المهملة ، أى عليه صور رحال الإبل . ولا بأس بهذه الصور ، وإنما يحرم تصوير الحيوان » .
وقال الخطابى : المرحل الذى فيه خطوط . وانظر شرح المواهب ٥/٢٥ .

• عن الأشعث بن سليم قال : سمعت عمتى(١) تحدث عن عمِّها قال : بَيْنا أنا أمشى إذا إنسان خلفى يقول : ارفع إزارك ، فإنه أنقَى وأبقَى. فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : يا رسول الله إنما هى بُرْدة مَلْحاء(٢) . قال : أما لك فىّ أسوة ؟ فنظرتُ فإذا إزاره إلى نصف ساقيه .

الباب الرابع

فى ذكر حلته

• عن عبد الله بن الحارث أن النبىّ صلى الله عليه وسلم اشترى حُلة بسبع وعشرين ناقة فلبسها .

• عن جابر بن عبد الله قال : مارأيت أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُلة حمراء .

---

(١) الأصل : أمى ، وما أثبته من شمائل الترمذى ١٣٩/٠ .

(٢) الملحاء : التى فيها خطوط سواد وبياض .

الباب الخامس

في ذكر بردته

• عن سليم بن جابر قال : أتيتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه ، وإذا هو مُحتَبٍ ببُرْدة قد وقع هدبُها على قدميه .

• عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس بردةً سوداء فقالت عائشة: ما أحْسَنها عليك ، يَشُوب بياضُك سوادَها ، وسوادُها بياضَك !

• عن أنس قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نَجرانيٌّ غليظ الحاشية .

• عن جابر بن عبد الله قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم بُرْدٌ أحمر يلبسه في العيدين .

• عن أبي رِمْثَة قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدان أخضران .

الباب السادس

فى ذكر عمامته

• عن جابر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

• عن خالد الحَذَّاء قال : أخبرنى أبو عبد السلام قال : قلت لابن عمر : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْتَمّ ؟ قال : يُدِير كَوْرَ(١) العمامة على رأسه ويغرزها من ورائه ، ويُرْخى لها ذؤابةً بين كتفيه .

• عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا اعتمّ سَدَل عمامته بين كتفيه . قال نافع : وكان ابن عمر يفعل ذلك .

(١) الكور : لوث العمامة على الرأس .

الباب السابع

فى ذكر قلنسوته

• عن ابن عمر قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوةً بيضاء .

• عن أبى هريرة قال : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنسوةً بيضاء شامية .

• عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلبس من القلانس فى السفَر ذوات الآذان ، وفى الحضر ، المشمّرة . يعنى الشامية .

• عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قلانس بيضاء مِضْرّية(١) وقلنسوة بُرْد حَبرة ، وقلنسوة ذات آذان يلبسها فى السَّفَر .

• عن عبد الله بن بُسْر قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وله قلنسوة مصرّية ، وقلنسوة لها آذان ، وقلنسوة شامية .

---

(١) ت : مصروية .

الباب الثامن

فى ذكر ردائه

● عن عروة بن الزبير قال : كان طولُ رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعين ونصف ، وكان له ثوب أخضر يلبسه للوفود إذا قدموا عليه .

● عن عروة أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج فيه إلى الوفد رداء وثوب أخضر ، طوله أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، وهو عند الخلفاء اليوم ، قد كان خَلِقَ وطُرِّف بثوبٍ يلبسونه يوم الفطر ويوم الأضحى .

● عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قام يوماً حتى بلغ وسط المسجد ، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه من ورائه ، وكان رداء خشناً فحَمَّر رقبته .

● عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران ، ورداء وعمامة .

● عن عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، أن النجاشى كتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم : إنى قد زوّجتك امرأةً من قومك وهى على دينك : أم حَبيبة بنت أبى سفيان ، وأهديتُ لك هديةً جامعة : قميصاً وسراويلَ وعِطافاً وخُفَّين ساذَجين .

فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عليهما .

قال سليمان : قلت للهيثم : ما العِطَاف ؟ قال : الطيلسان .

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر القِناع(١) كأن ثوبه ثوبُ زَيَّات .

الباب التاسع

فى ذكر سراويله

● عن قيس قال : جلبت أنا ومخرمة العبدى بَزًّا من هجر إلى مكة . فأتانا رسولُ الله صلى الله علية وسلم فاشترى سراويل ، وثَمّ وَزّانٌ يَزِن بالأجر ، فقال : إذا وزَنْتَ فأرْجح .

---

(١) القناع : خرقة تلقى على الرأس تحت العمامة بعد استعمال الدهن وقاية للعمامة من أثر الدهن . واختلف فى المراد بهذا الثوب . فقيل : إن المراد به ما جاور عنقه لنظافته من القميص والرداء . وقيل المراد بالثوب : القناع نفسه لأن المناسب ألا يكون ثوبه كثوب زيات .

وقال بعضهم : الربيع بن صبيح ، أحد رواة هذا الحديث ، كان عابداً ولم يكن الحديث من صناعته فوقع فى حديثه المناكير من حيث لا يشعر ، كما قال ابن حبان ؛ ومن مناكيره قوله فى هذا الحديث . « كأن ثوبه ثوب زيات » فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان أنظف الناس ثوباً وأحسنهم هيئة ، وأجملهم سمتاً . انظر شرح الشمائل ٥٦/٢ .

الباب العاشر

فى لبسه الصوف صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال: لبس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصوف، واحتذى المخصوفَ، ولبس خَشنا، وأكل شِبْعاً. فسألنا الحسن: ما الشبع؟

قال غليظُ الشعير، ما كان يسيغه إلا بجرعة ماء!

• عن أبى أيوب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف، ويخصف النعلَ، ويرقع القميص، ويركب الحمار ويقول:

(من رغب عن سنّتى فليس منى).

• عن أنس بن مالك قال: لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم جبّةً من صوف ثلاثة أيام، فلما عرق، وجد منها ريحاً كرهها، فرمى بها.

الباب الحادى عشر

فى لبسه ما يتفق من اللباس

• عن جليس بن أيوب قال: دخل الصّلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبّة صوف وإزار صوف، فاشمأزّ منه محمد وقال:

أظن أن أقواماً يَلْبَسون الصوف، يقولون. قد لَبسه عيسى بن مريم.

وقد حدّثنى من لا أتّهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتّان والقطن واليمنية، وسُنّةُ نبيّنا أحقُّ أن تُتّبع.

الباب الثانى عشر

فى وقت لبسه الثوب المستجد

● عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استجدّ ثوباً ، لبسه يومَ الجمعة .

الباب الثالث عشر

فيما كان يقوله عند اللبس

● عن أبى سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا استجدّ ثوباً سمّاه باسمه : عمامةً ، أو قميصاً ، أو رداء ، يقول :

(اللهم لك الحمدُ كما كسوتنيه ، أسألك خيره وخيرَ ما صُنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له) .

الباب الرابع عشر

فى ذكر خفه

● عن ابن بُرَيدة عن أبيه ، أن النجاشى أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين ، فلبسهما ومسح عليهما وصلى .

الباب الخامس عشر

فى ذكر نعله

• عن أنس قال كانت نعلا النبى صلى الله عليه وسلم لهما قِبالان . والقِبَالُ : زمام النعل .

• عن مطرف بن عبد الله الشخِّير قال : أخبرنى أعرابى لنا قال : رأيتُ نعلَ نبيكم صلى الله عليه وسلم مخصوفة .

• عن ابن عباس قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعلان لهما زِمامان .

• عن عُبَيد بن جُرَيج أنه قال لعبد الله بن عمر :

رأيتك تلبس النعال السِّبتيَّة(١) . قال : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السِّبْتية(٢) التى ليس فيها شعر و يتوضأ فيها .

• عن أبى ذر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعلين مَخْصوفَيْن من جلود البقر .

• عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لبس نعليه بدأ باليمنى ، وإذا خلع خلع اليسرى .

---

(١) السبتية : نسبة إلى السبت ، بكسر السين ، وهو جلود البقر وكل جلد مدبوغ

(٢) البخارى : يلبس النعال التى ليس الخ .

أبواب ذكر مراكبه

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

الباب الأول

في ذكر خيله

● عن أنس قال : لم يكن شيء أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء ، من الخيل .

● عن أبي هريرة قال : كان أحبَّ الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأَشْقَر الارْثَم الأَقْدح(١) المُحَجَّل في الشق الأيمن .

● عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يقال له المرْتجز .

● قال المصنف : أولُ فرس ملَكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسٌ يقال له السَّكْب(٢) ، وكان له المُرْتجز(٣) ، وهو الفرس الذى اشتراه من الأعرابي وشهد فيه خزيمة بن ثابت ، وفرس يقال له اللِّزاز(٤) ، وفرس يقال له الظِّرف(٥) وفرس يقال له الورْد ، وفرس يقال له النَّحيف .

وبعضهم يقول : اللَّحيف . وبعضُ العلماء يسمَّى بعضَ خيله : اليَعْسُوب .

---

(١) الأرثم من الخيل : الذى فى أنفه بياض . والأقدح : الضامر .

(٢) يقال : فرس سكب أى : كثير الجرى ، كأنما يصب جريه صبا .

(٣) سمى به لحسن صوته . المواهب ٣/٣٨٤

(٤) سمى به لشدة تلززه ، أو لاجتماع خلقه .

(٥) الظرف . الكريم الطرفين .

الباب الثانى

فى ذكر ناقته

• عن أنس قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العَضْباء ، وكانت لا تُسْبق ، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، فقال : مالكم ؟ قالوا : سُبقت العضباء .

فقال : (إنه حقٌّ على الله عز وجل أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلاّ وضَعه) !

• عن ابن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته القَصْواء .

• عن معاذ قال : كنت رَدِيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل أحمر .

• عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلَّف عثمان على بنته وكانت مريضة وخلَّف أسامة ، فبينما هم ، إذ سمعوا ضَجَّة التكبير ، فجاء زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجَدْعاء وهو يقول : قُتل فلان وأُسِر فلان .

واعلم أن القَصْواء ، هى العَضباء ، وهى الجَدْعاء .

• قال سعيد بن المسيِّب : كان فى طرف أذنها جَدع .

والجدعاء : التى استؤصلت أذنها . والمقصوّة : التى قُطع بعضُ أذنها .

وحكى لنا شيخنا ابن ناصر ، عن ثعلب ، أنه قال : هذه أسماء لناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن جَدْعاء ، ولا مَقْصوّة .

الباب الثالث

فى ذكر بغلته

• عن العباس بن عبد المطلب قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فلم يثبت معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، فلم نفارقه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء ، أهداها له فَرْوة ابن نفاثة .

• عن الأصبغ بن نباتة قال : لما قتل علىٌّ أهل النهروان ، ركب بغلة النبى صلى الله عليه وسلم الشهباء .

قال المصنف : كانت بغلته تسمى الشهباء وتسمى الدُّلدُل .

الباب الرابع

فى ذكر حماره

• عن معاذ قال : كنت رِدْف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير .

• عن أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار ، عليه إكاف .

• عن أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يوم خيبر ويوم النضير ، على حمار عليه إكافٌ مَخْطوم بحبْل من ليف .

الباب الخامس

فى ذكر سرجه

• عن أبى عبد الرحمن الفهرى قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فى يوم صائف شديد الحر ، فقال : يا بلال : أسْرج لى فرسى . فأخرج سرجا رقيقا من لبد ، ليس فيه أشَر ولا بَطر .

الباب السادس

فيما كان يقوله إذا ركب

● عن على بن ربيعة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتى بدابّـة ليركبها ، فلما وضع رجله فى الركاب قال : « بسم الله » .

فلما استوى عليها قال : « الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ » ثم حمد الله ثلاثا وكبّر ثلاثا ، ثم قال : (سبحانك لا إله إلا أنت ، قد ظلمتُ نفسى فاغفر لى) . ثم ضحك .

فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ فقال :

(يَعجب الربُّ من عبده إذا قال : اغفر لى . ويقول :

« علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى) .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

الباب السابع

فى صفة سيره

● عن هشام قال : سئل أسامة عن سَيْر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : فقال : كان سـيره العَنَق ، فإذا وجد فجوةً نَصَّ . والنَّصُّ فوقَ العنق(١) . والفَجْوة : المتسع .

(١) العنق . بفتح العين والنون : ضرب من السير فسيح سريع و « النص » منتهى ما تستطيعه الدابة من السرعة .

والمعنى : حث الدابة واستخراج منتهى ما عندها من سرعة السير .

أبواب في ذكر مواليه وخدمه

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى ذكر مواليه

• أَسْلَمَ ، ويكنى أبا رافع . أحمر ، ويكنى أبا عَسيب . أسامة بن زيد . أَفْلَح . أَنسة . أيمن . ثَوْبان . ذَكْوان ، ويقال : هو مهران ، ويقال : طهمان . رافع . رَبَاح . زيد بن حارثة . زيد بن بَوْلَى . سابق . سالم . سلمان الفارسى . سليم ، ويكنى : أبا كبشة الدَّوسى . سعيد أبو كنديد . شُقْرَان ، واسمه صالح . ضُمَيرة بن أبى ضميرة . عبد الله بن أَسْلَمَ . عبيد ابن عبد الغفار . فَضالة اليمانى . كَيْسَان . مهران ، أبو عبد الرحمن ، وهو سَفِينة فى قول إبراهيم الحربى . وقال غيره : اسم سَفِينَة : رومان . مِدْعَم . نافع . نُفَيع ، ويكنى : أبا بَكْرة . نبيه . واقد . ورْدَان . هشام . يَسَار . أبو أثيلة . أبو الحمراء . أبو رافع والد البهىّ(١) . أبو السَّمح . أبو ضَمْرة . أبو عبيد واسمه سعد ، وقيل : عبيد . أبو مُوَيْهِبَة وهو من مُزَينة . أبو واقد . كَركَرة . مابُور(٢) . أبو لبابة . أبو لقيط . أبو هند مُولدى .

---

(١) ابن كثير ويقال له أبو البهى . البداية ٥/٣١٤

(٢) مابور : القبطى ، وهو من جملة من أهداه المقوقس إلى رسول الله .

الباب الثاني

في ذكر مولياته

أم أيمن واسمها بركة . أميمة . خضرة . رَضْوى . ريحانة . سَلْمى . مارية . ميمونة بنت سعد . ميمونة بنت أبي عَسِيب . أم ضُميرة . أم عيَّاش .

الباب الثالث

في ذكر من خدمه من الأحرار

قد خدمه من الأحرار جماعة منهم ابن مسعود .

● عن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان عبد الله يُلْبِسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعليه ، ثم يمشي أمامه ، حتى إذا أتى مجلسه ، نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا ، فإذا أراد أن يقوم ، أَلْبَسه نعليه ، ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة .

قال المصنف : وقد كان بلال يخدمه كثيراً ، وكان خازنَه على بيت ماله . وخَدمه المغيرةُ ، وخَلْقٌ كثير من الصحابة ، وكان من أخصِّهم بخدمته ، أنس بن مالك . وقد خدمه بعض اليهود .

● عن أنس بن مالك قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض ، فعاده النبي صلى الله عليه وسلم .

أبواب زينته

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى ذكر خاتمه

صلى الله عليه وسلم

• عن أنس أنه أبصر فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من وَرِق[١] يوماً واحداً ، فصنع الناسُ خواتيم من ورق .

فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه ، فطرح الناس خواتيمهم .

أخرجاه .

• عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ خاتما فلبسه ثم قال : (شَغلنِى هذا عنكم منذ اليوم ، إليه نظرةٌ وإليكم نظرة !) ثم رمى به .

• عن ابن عمر قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم خاتم . فكان يجعل فصَّه فى باطن يده . قال :

فطرحه ذات يوم ، فطرح الناسُ خواتيمهم ، ثم اتَّخذ خاتماً من فضة ، فكان يَخْتِم به ولا يلبسه .

• عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتَّخذ خاتما من فضة ونقش عليه[٢] : « محمد رسول الله » وقال :

---

(١) ورق . بكسر الراء . أى : فضة .

(٢) البخارى : فيه .

(إنى اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه : محمد رسول الله . فلا تنقشوا عليه)[١] . أخرجاه .

• عن أنس قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة فَصُّه منه .

انفرد بإخراجه البخارى .

• عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق ، وكان فى يده ، ثم كان فى يد أبى بكر من بعده ، ثم كان فى يد عمر ، ثم كان فى يد عثمان ، نَقْشُه ، محمد رسول الله .

زاد مسلم : ثم كان فى يد عثمان حتى وقع منه فى بئر أَرِيس[٢] .

أخرجاه .

• عن أنس بن مالك قال : كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من ورق ، وكان فَصُّه حبشيا .

• عن أنس قال : كان نَقْش خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « محمد » سطر ، و « رسول » سطر ، و « الله » سطر .

---

(١) البخارى : فلا ينقشن أحد على نقشه .

(٢) بل فى البخارى أيضاً : « ثم كان بعد فى يد عثمان ، حتى وقع بعد فى بئر أريس » البخارى ٢/١١٤

فصل

واختلفت الرواية : هل كان يلبسه فى يمينه أو فى يساره ؟

● عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه .

محمد بن عباد ضعيف وابن ميمون ليس بشىء .

قال البخارى : هو ذاهب الحديث .

واليسار أصح .

● عن أنس قال : كأنى أنظر إلى وَبيص(١) خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده اليسرى وهو يَخْطبنا .

● عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر والحسن والحسين ، كلهم يتختَّمون فى اليسار .

(١) الوبيص : البريق .

الباب الثانى

فى ذكر خضابه

• عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهب قال : دخلنا على أم سلمة ، فأخرجت إلينا شَعَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوباً بالحنَّاء والكَتَم (١) .

• عن أبى رِمْثة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكَتَم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه .

• عن عائشة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالحنَّاء والكَتَم ويقول : (غيِّروا ، فإن اليهود لا تغيِّر) .

وقد روى عنه أنه اختضب بالحناء وحده .

• عن أبى رِمْثَة قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فرأيته قد خضَب لحيته بالحناء .

وروى أنه اخْتَضب بالصُّفْرة .

• عن عبيدالله بن جُريج أنه قال لعبد الله بن عمر : يا أبا عبد الرحمن ، رأيتك تصبغ بالصفرة . فقال :

إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها ، فأنا أحبُّ أن أصبغ بها . أخرجاه .

---

(١) الكتم : نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

• عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصفِّر لحيته بالوَرْس والزعفران .

• عن عائشة قالت : كان أكثر شيبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرأس ، فى فَوْدَى رأسه . (والفَوْدان : حَرْفا الفَرْق) .

وكان أكثر شيبة فى لحيته حول الذقن ، وكان شيبة ، كأنه خيوط الفضة ، يتلألأ بين سواد الشعر .

وإذا مسَّه بصُفْرة — وكان كثيراً ما يفعل ذلك — صار كأنه خيوط الذهب .

فإن قيل : فما وجه الاختلاف ؟

قلنا : قد كان يخضب بهذا تارة ، وبهذا تارة .

فإن قيل : قد روى أنه لم يَخْضب :

• عن ثابت قال : سئل أنس عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لم يَخْضب .

• عن زياد مولى سعد قال : سألت سعد بن أبى وقاص :

هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ولاهَمَّ به ، كان شَيْبُه فى عنْفَقَته وناصيته ، لو أشاء أن أعدَّها عددتها .

• عن بشير مولى المازنيين قال : سألت جابر بن عبد الله : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . ما كان شَيْبُه يحتاج إلى خضاب ، كان وضَحاً فى عنفقته وناصيته ، لو أراد أن نُحْصِيَها أَحْصَيناها(١) .

---

(١) ت : أن نخضبها أخضبناها . وهو تحريف .

فالجواب : أمّا حديثُ أنس فجوابه من وجهين :

أحدهما : أنه قد اختلفت الرواية عنه .

• عن أنس قال : رأيت شَعْرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا .

• عن محمد بن عقيل بن أبى طالب قال : سألت أنس بن مالك :

هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خَضَب ؟ قال : ما أرى . قلت : فإنه كان عندنا من شعره . شَعْرٌ فيه صُفرة .

قال أنس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمسُّه بصُفْرة .

• والثانى : أن قوله : (ما أَرى) إخبار عن ظن .

وقوله : (لم يخضب) شهادة على نَفْىٍ .

وقد قطع غيره من الصحابة ، مثل ابن عمر ، وأبى رِمْثة ، وعبد الله ابن زيد ، صاحب الأذان ، على أنه خضب ، والإثبات مُقَدَّم على النَّفْىِ .

وهذا جواب أحمد بن حنبل ، حين قيل له : إن أنساً يقول : لم يخضب .

• وأما حديث سعد وجابر : فراويهما ، الواقدىُّ ، وقد كذَّبه أحمد .

وقال يحيى : ليس بثقة . وقال أبو زُرْعة : كان يضع الحديث .

ثُم شهادتهما على نَفْىٍ ، والإثبات مقدَّم .

الباب الثالث

فى استعمالة المشط

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُكثر تسريحَ لحيته ورأسه بالماء .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل ، وضع له سِواكه وطَهوره ومشطه .

فإذا أهبّه الله(١) من الليل ، استاك وتوضأ وامتشط .

الباب الرابع

فى فرق رأسه صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : كان أهل الكتاب يَسْدلون(٢) شعورهم .

وكان المشركون يَفرقون شعورهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحبُّ موافقة أهلِ الكتاب فيما لم يُؤمر به .

فسَدل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ناصيته(٣) ثم فرَق بعدُ .

---

(١) أهبه . أى : أيقظه من نومه . (٢) يسدلون . أى يرخون ويرسلون .

(٣) ناصيته . أى : مقدم شعر رأسه .

الباب الخامس

فى استعماله الدهن

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دَهْن رأسه ويسرح لحيته .

الباب السادس

فى ذكر المرآة

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر وجهه فى المرآة قال :

(الحمد لله الذى حسَّن خَلقى وخُلقى ، وزان منى ما شانَ(١) من غيرى)

• عن أنس قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا نظر وجهه فى المرآة قال : الحمد لله الذى سوَّى خَلْقى فعدله ، وكرّم صورة وجهى وحسَّنها وجعلنى من المسلمين) .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر فى المرآة قال : (اللهم كما أحْسَنت خَلْقى فحسِّن خُلقى) .

---

(١) قوله : وزان . أى : حسَّن . و (شان) أى : قبح . والمعني : حسَّن من خَلقى ما قبح من غيرى .

• عن عائشة قالت : كنت أزوِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاةٍ له ، أُزوده دُهْناً ، ومشطا ، ومرآةً ومقصين ، ومكحلة ، وسوا كا .

• عن عائشة قالت : سَبْعٌ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتركهن فى سفر ولا حضر : القارورة ، والمشط ، والمرآة ، والمكحلة ، والسواك ، والمقصان ، وَالمِدْرى .

الباب السابع

فى أخذه من اللحية

• عن عمرو بن شعيب ، عن جده قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من طول لحيته وعرضها .

الباب الثامن

فى جز شاربه

• عن ابن عباس قال كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجزُّ شاربه .

• عن أبى عبد الله الأغرّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقص شاربه ، ويأخذ من أظفاره ، قبل أن يروح إلى الجمعة .

الباب التاسع

فى استعماله النورة

● عن أم سلمة قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا اطَّلى ، وَلِيَ عانته .

● عن حبيب بن أبى ثابت ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينوِّر(١) ما أَقْبَل منه ، ويُنَوِّر أهله سائر جسده .

● عن أبى مَعْشر أن النبى صلى الله عليه وسلم نوّره بعضُ أهله ، ونوَّر هو عورته بيده .

● عن زياد بن كليب ، أن رجلا نوَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغَ مَراقّه(٢) كَفَّ الرجُل ، ونوَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه .

● عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا ينوِّر ، فإذا كثر شعره حَلَقه .

والكلام فى هذا ، مثل الكلام فى الخِضَاب .

---

(١) النورة : هناء يطلى به الجسم. والعامة فى مصر يسمونها : بودرة لإزالة الشعر .

(٢) المراق : ما لان من البطن .

الباب العاشر

فى تطيبه ومحبته للطيب

• عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(حُبِّب إلىَّ ، النساء ، والطيب ، وجُعلت قُرَّة عَيْنى فى الصلاة) .

• عن أنس قال : ما شَمِمْت مِسْكةً ولا عنبرةً ، أطيبَ من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيبَ الناس ريحاً . ما شممت رائحةً قط مسكةً ولا عنبرة أطيبَ منه .

• عن جابر بن سمرة قال : مسَسْت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنها جُؤنة عَطَّار(١) .

• عن أنس قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سُكَّةٌ يتطيب منها .

• عن عائشة قالت : كان أحبّ الطيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، العُود .

• عن محمد بن على قال : سألت عائشة : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعطر ؟ قالت : كان يتعطر بذكارة(٢) المِسْك والعنبر .

• عن أنس قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرِض عليه طِيبٌ فردَّه .

---

(١) الجؤنة : وعاء منشى بجلد ، يعد فيه الطيب ويحرز ، أصله الهمز ويلين .

(٢) الذكارة من الطيب : ما ليس له ردع . أى : لطخ وبقع .

أبواب أكله وماكولاته

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى ذكر مائدته وسفرته

• عن الحسن بن مهران قال : سمعت فرقداً ، صاحب النبى صلى الله عليه وسلم يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكلت على مائدته .

• عن أنس قال : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خِوَان ولا فى سُكُرُّجة(١) ، ولا خُبز له مُرقَّق .

فقلت لقتادة : على ما كانوا يأكلون ؟ قال : السُّفَرَة(٢) .

• عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض .

الباب الثانى

فى ذكر قصعته

• عن عبد الله بن بشر قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جَفْنة (أى : القصعة) لها أربع حِلق .

---

(١) السكرجة : إناء صغير كانت العجم تستعمله على الموائد فى الكوامخ وما أشبهها.

(٢) السفرة : فرش من جلد يوضع عليه الطعام . وفى الشمائل : على هذه السفر ، وهى جمع سفرة .

الباب الثالث

فى صفة خبزه

● عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعات طاوياً(١) وأهله لا يجدون شيئاً ، وكان أكثر خبزهم الشعير .

● عن أبى أمامة قال : ما كان يَفضل عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خبز الشعير .

● عن سهل بن سعد قال : [و] قيل(٢) له أكل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النَّقِيّ(٣) ؟ قال : ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّقِيّ حتى لقى الله .

فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما كانت لنا مَنَاخل . قيل : كيف كنتم تصنعون بالشعير ؟

قال : كنا ننفخه فيطير منه ما يطير ، ثم نعجنه .

● عن أنس قال : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خِوان ، ولا أكل خبزاً مُرققاً حتى مات .

---

(١) طاوياً . أى : جائعاً . (٢) شمائل الترمذى : أنه قيل له .

(٣) النقى . أى : الدقيق المنخول .

الباب الرابع

فى اختياره البقل

• عن أنس قال : كان أحبُّ الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البقْل .

الباب الخامس

فى ائتدامه بالخل

• عن ابن عباس قال : كان أحبَّ الصباغ(١) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلُّ .

• عن أم هانئ قالت : دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أعندك شيء ؟ فقلت : لا ، إلا خبز يابس وخَلّ .

فقال : هات ، ما أقفر بيتٌ أُدمٍ فيه خَلٌّ .

(١) الصباغ : الإدام .

الباب السادس

فى أكله القثاء

● عن الربيع بنت معوِّذ قالت : بعثنى معاذ بن عَفْراء بِقِناع(١) من رُطب وعليه جِرو(٢) من قِثَّاء زُغْبٍ(٢)، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب القثاء ، فأتيته بها وعنده حِلْية قد قَدِمَتْ عليه من البحرين فملأ يده منها فأعطانيه .

الباب السابع

فى أكله الدباء

● عن أنس أن خياطاً دعا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام صنعه . قال أنس: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام، فقرَّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزَ الشعير ومرقاً فيه دُبَّاء وقَديد . قال أنس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتَتَبَّع الدُّبَّاء من الصَّحفة ، فلم أزل أحب الدبَّاء من يومئذ .

● عن أبى طالوت قال : دخلت على أنس بن مالك وهو يأكل القرع وهو يقول : يا لك من شجرة ، ما أحبَّك إلىَّ لِحُبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك !

---

(١) القناع : الطبق الذى يؤكل فيه ، وقيل : الذى يهدى عليه .

(٢) الجرو : الصغير من كل شىء ، حتى الحنظل والبطيخ ونحوه . ورواية الترمذى فى الشمائل : أجر : جمع جرو ، والزغب : صغار الريش ، شبه وبر القثاء به .

الباب الثامن

فى أكله السمن والأقط

• عن ابن عباس قال : أُهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وضب ، فأكل السمن والأقط ، ثم قال للضب : إن هذا لَشئٌ ما أكلتُه قط ، فمن شاء أن يأكله فليأكل . فأكل على خِوانه .

الباب التاسع

فى أكله الحيس

• عن ابن عباس قال : كان أحبَّ الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من التمر ، وهو الحَيْس .

الباب العاشر

فى حبه الثريد

• عن عكرمة قال : صَنع سعيدُ بن جبير طعاماً ثم أرسل إلى ابن عباس : ائتنى أنت ومن أحببتَ من مواليك . فجاء وجئنا معه ، فقال له ائتنا بالثريد ، فإنه كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الثريد من الخبز .

الباب الحادى عشر

فى جمعه بين طعامين

• عن سهل بن سعد الساعدى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرُّطب .

• عن عبد الله بن جعفر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب .

• عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعجبه أن يجمع بين البطيخ والرطب .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الرطب بيمينه والبطيخ فى يساره ، ويأكل الرطب بالبطيخ . وكان أحبَّ الفاكهة إليه .

• عن عائشة قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب ، والقثاء بالملح .

الباب الثانى عشر

فى ذكر أكله اللحم وما كان يختار من الأعضاء

• عن عبد الله بن جعفر قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُتِىَ بلحم ، فجعل القوم يُلقونه اللحم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطيبُ اللحم : لحمُ الظهر .

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِىَ بلحم ، فرفعت إليه الذراع ، وكانت تعجبه .

• عن أبى عبيد قال : طَبخت للنبى صلى الله عليه وسلم قِدْراً ، وكان يعجبه الذراع ، فناولتُه الذراع ، ثم قال : ناولنى الذراع . فناولته .

ثم قال : ناولنى الذراع . فقلت : يا رسول الله : وكم للشاة من ذراع ؟ !

فقال : والذى نفسى بيده ، لو سكتَّ لناولتَنى الذراعَ ما دعوتُ[1] .

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعجبه فى الشاة إلا الكتف .

---

(١) لا يلزم أحداً تصديق مثل هذه الروايات ، لمخالفتها للأسباب ، وخلوها من المغزى .

الباب الثالث عشر

فى أكله القديد

● عن جابر بن عبد الله قال : أكلنا القَديد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع عشر

فى أكله الشواء

● عن عبد الله بن الحارث قال : أكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء فى المسجد .

الباب الخامس عشر

فى أكله لحم الدجاج

● عن زَهْدم الجَرْمىّ قال : كنا عند أبى موسى ، فقدَّم طعامه ، وقدم فى طعامه دجاجا ، وفى القوم رجل من بنى تيم الله فلم يَدْنُ ، فقال له أبو موسى : أُدْنُ ، فإنى رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج .

الباب السادس عشر

في أكله لحم الحبارى

● عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم الحُبَارى(١) .

الباب السابع عشر

في تركه أكل ما يعافه

● عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميمونة بنت الحارث وهي خالته ، فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمَ ضَبٍّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل شيئاً حتى يعلم ما هو .

فقال بعض النسوة : ألا تخبرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأكل؟

فأخبرته أنه لحم ضَبٍّ فتركَه .

قال خالد : فسألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحرامٌ هو ؟

---

(١) قال في المصباح : الحبارى : طائر معروف وهو على شكل الإوزة . برأسه وبطنه غبرة ، ولون ظهره وجناحيه كلون السحاني غالبا ، والجمع حبابير وحباريات على لفظه أيضاً . والحبرور ، وزان عصفور : فرخ الحبارى .

قال : لا ، ولـكنه طعامٌ ليس فى قومى ، فأجِدُنى أعافُه(١) .

قال خالد : فاجتَرَرْتُه فأَكلته ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينظر .
أخرجاه .

● عن أبى شيخ قال : أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر محارب : نصركم الله . لا تَسْقُونى حَلَب امرأة .

قال العسكرى : وكان الحلب فى النساء ، عيباً عند العرب ، يعيَّرون به ، وأنشدوا :

كَمْ عَمةٍ لك يا جَرير وخالة   فَدْعاء(٢)قد حَلبتْ علىَّ عِشَارِى

قال : ويجوز أن يكون قد كرهه لما يعترى النساء من الحيض وغيره(٣) .

قال : ويدل على ذلك ما روى سعيد بن جُبَير قال :

كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ ألطف الناس ، وكان لا يشرب من ميزابِ الإداوة ، ولا يأكل من لحوم الجَلاَّلات من غير تحريم .

● وقد روى الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يأكل قاذورة ، ولا يأكل الدجاج حتى يُعْلف .

قال : القاذورة هاهنا : الذى يتقذر الشىء ، وكأنه كان يجتنب ما تأكل النجاسات حتى تَعْتلف الطاهر . ويقال القاذورة . ويراد به الفعل القبيح .

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : (من أتى شيئاً من هذه القاذورات) .

---

(١) أعافه . أى أكرهه ولا تميل نفسى إليه .

(٢) فدعاء . أى صارت معوجة اليد من الرسغ من كثرة مزاولتها لحلب البهائم .

(٣) قال السيوطى : « لا تسقونى حلب امرأة » لأن حلب النساء معيب عند العرب يعيرون به . قال ابن الجوزى : قال إبراهيم الحربى : « النساء إذا حلبن ربما أخذهن البول . ثم ترجع إلى الضرع وفى يدها شىء من النجاسة فلذلك تنزه عنه » الدر النثير بهامش النهاية .

الباب الثامن عشر

فى اجتنابه ما يؤذى ريحه

● عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل طعاماً بعث فَضْله إلى أبى أيوب ، فأُتى يوما بقصعة فيها ثوم ، فبعث بها فقال : يا رسول الله : أحرام هو ؟ قال : لا ، ولكنى أكره ريحه.

قال : وإنى أكره ما تكره .

انفرد بإخراجه البخارى .

الباب التاسع عشر

فى أكله الجمار

● عن ابن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل جُمَّار نخل(١) .

الباب العشرون

فى حبه الحلواء والعسل

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحَلْواء والعسل .

(١) الجمار : شحم النخل .

الباب الحادي والعشرون

في أكله التمر

• عن عائشة قالت : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتين في يوم إلا وإحداهما تمر .

• عن ابن عباس قال : كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة .

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام مما يليه ، حتى إذا جاء التمر جالت يده .

• عن عبد الله بن بشر قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه أبي بتمر وسويق ، فجعل يأكل التمر ويلقي النوى على ظهر إصبعيه ثم يلقيه . يعني : السَّبَّابة والوسطى .

الباب الثاني والعشرون

في أكله العنب

• عن ابن عباس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل العنب خَرْطاً(١) .

(١) الخرط : أن يضع العنقود في فيه ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا منه . النهاية لابن الأثير ٣٣٣/١ . وهذا الحديث موضوع . والمؤلف نفسه أورده في الموضوعات .

الباب الثالث والعشرون

فى أكله الرطب

● عن أنس قال : كنت إذا قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رطباً أكل الرطب وترك الذَّنَب .

● عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب أن يفطر على رُطبات فى زمان الرطب ، وعلى التمر إذا لم يكن رطب ، ويجعلهن وتراً : ثلاثا ، أو خمسا ، أو سبعا .

الباب الرابع والعشرون

فيما كان يفعل إذا أتى بأول الرطب

● عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى بالبا كورة من التمر قال : (اللهم بارك لنا فى مدينتنا ومُدِّنا وصاعنا ، واجعل مع البركة بركة) ثم يعطيه أصغر من حَضره من الولدان .

الباب الخامس والعشرون

فى أكله الخبيص

• عن عبد الله بن سَلَام قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرْبد ، فإذا عثمان بن عفان يقود ناقةً ، حمل عليها دقيقاً وسمناً وعسلا .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَنِخْ) فأناخ .

ثم دعا ببُرْمة ، فجعل فيها من السمن والعسل والدقيق .

ثم أمر ، فأوقد تحتها ، حتى أدرك ، أو قال : أنضَجَ . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلوا) . وأكل منه .

ثم قال : هذا شىء تدعوه فارس : الخبيص .

الباب السادس والعشرون

فى أكله بثلاث أصابع ولعقها

• عن كعب بن عجرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث : الإبهام ، والتى تليها ، والوسطى .

ثم رأيته يلعق الوسطى ، والتى تليها ، ثم الإبهام .

• عن ابن لكعب بن مالك عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل بثلاث أصابع ، ولا يمسح يده حتى يلعقها .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب السابع والعشرون

في أكله مما يليه

● عن عبد الحكم قال : رآني عبد الله بن جعفر وأنا غلام ، وأنا آكل من هاهنا وهاهنا ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل لم تَعْدُ يدُه ما بَيْن يديه .

الباب الثامن والعشرون

في أكله مقعياً من الجوع

● [عن أنس بن مالك قال : أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر ، فرأيته يأكل وهو مُقْعٍ(١) من الجوع(٢)] .

(١) مقع . أي : جالس على أسته ، مفترش رجليه وناصب يديه . وفي المصباح (أقعى إقعاء : ألصق أليتيه بالأرض ونصب ساقيه ووضع يده على الأرض) اهـ .

(٢) سقط من الأصل وأثبته من شمائل الترمذي ١/١٥٥ .

الباب التاسع والعشرون

فى أنه لم يأكل متكئا

● عن أبى جُحَيفة قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (أمّا أنا فلا آكل متكئا) .

انفرد بإخراجه البخارى .

الباب الثلاثون

فى أنه لم يذم طعاما

● عن أبى هريرة قال : ما عاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، كان إذا أُتِيَ به ، إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه .

أخرجاه .

● عن على بن أبى طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذمُّ ذَواقاً(١) ، ولا يمدحه .

---

(١) الذواق : الطعام .

الباب الحادي والثلاثون

في أنه كان لا يأكل الصدقة

• عن بَهْز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الصدقة لا تحلُّ لمحمد ولا لآل محمد) .

• عن سلمان أنه أتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بشيء وقال : هذا صدقة . فقال لأصحابه : كلوا . ولم يأكل . قال : فجئته بشيء قلت : إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذا هدية . فأكل وأمَر أصحابَه فأكلوا .

• عن أبي رافع قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساعياً على الصدقة ، فاستَتْبع أبا رافع .

فذكر ذلك أبو رافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إنّ الصدقة حرام على محمد وآل محمد ، وإنّ مَوْلَى القوم من أنفسهم ، أو منهم) .

• عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُتِيَ بطعام سأل عنه : (أهديةٌ هو أم صدقة ؟ » .

فإن قيل : صَدَقة ، قال لأصحابه : كلوا . ولم يأكل .

وإن قيل : هدية ، ضرب بيده ، فأكل معهم .

• وذكر أبو الوفاء بن عقيل أنه إنما حُرِّمت الصدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبيحت له الهدية ، لأن الهدية تحيّة ، والتَّحايا معرَّضة للمقابلة بأحسن منها ، وبيتُ النبوة ، بيتُ المكارم ، والرغبات إليهم في الاستزادة .

والصدقةُ مَرْحمة ، تقتضي المَسْكَنة ، فصِينَ بيتُ النبوة عن ذلك ، وعن أنْ تَعلوَ أيديَهم يَدٌ .

الباب الثانى والثلاثون

فى حمده الله عند الفراغ من الطعام وغسل يده

● عن أبى أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه ورُفعت مائدته قال : (الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه ، غير مَكْفِيٍّ ولا مُودَّع ولا مُسْتَغْنًى عنه ربَّنا) .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من طعامه قال : (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مُسْلمين) .

● عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه إلى طعام ، فذهبنا معه ، فلما طَعِم وغسل يده قال :

(الحمد لله الذى يُطْعِم ولا يُطْعَم ، مَنَّ علينا فهدانا ، وأطعمنا وسقانا ، وكلَّ بلاء حَسَن أبلانا .

الحمد لله غيرَ مُوَدَّع ولا مكافأ ، ولا مَكْفور ، ولا مستغنًى عنه ، ربَّنا .

الحمد لله الذى أطْعَم من الطعام ، وسقَى من الشراب ، وكسا من العُرْى وهدَى من الضلالة ، وبصَّر من العمَى .

الحمد لله الذى فَضَّلنى على كثير ممن خلق تفضيلا .

الحمد لله رب العالمين) .

● عن أبى أيوب الأنصارى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل وشرب قال :

(الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وسَوَّغه(١) وجعل له مَخْرجاً) .

---

(١) سوغة : سهل مدخله فى الحلق .

أبواب شربه ومشروباته

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى أنه كان يستعذب له من الماء

● عن عائشة قالت : كان يُستعذَبُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء من السُّقْيا .

والسقيا : من أطراف الحَرَّة(١) من أرض بنى فلان .

الباب الثانى

فى اختياره الماء البائت

● عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً ، فاستَسْقَى ، وجدولٌ قريبٌ منه ، فقال :

(إنْ كان عندكم ماء قد بات فى شيء ، وإلا كَرَعنا) .

انفرد بإخراجه البخاري .

(١) قال فى النهاية : السقيا منزل بين مكة والمدينة . وقيل : هى يومين من المدينة .

الباب الثالث

فى اختياره الماء البارد

• عن عبادة بن الوليد ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له رجل من الأنصار ، يُبرد له الماء فى أشجاب(١) ، أو على حُمّارة من جريد .

• عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الحلو البارد .

الباب الرابع

فى ذكر الآنية التى كان يشرب منها

• عن عيسى بن طَهمان [عن ثابت](٢) ، قال : أخرجَ لنا أنس ابن مالك قَدح خشب غليظ مُضَبّب(٣) بحديد ، فقال : يا ثابت هذا قدحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأشجاب : جمع شجب ، وهو السقاء الذى بلى وصار شنا .
والمعنى المناسب هنا : الخشبات الثلاث يعلق عليها الراعى دلوه ليبرد الماء فى الهواء . كما يدل عليه سياق الكلام .

(٢) من شمائل الترمذى .

(٣) مضبب . أى : مطوق .

• عن أنس [قال] : لقد سَقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بهذا القدح الشرابَ كله : الماء والنبيذ والعسل واللبن .

• عن محمد بن إسماعيل قال : دخلت على أنس فرأيت فى بيته قدحاً من خشب ، فقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ويتوضأ .

• عن ابن عباس أن صاحب إسكندرية بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح قَوَارير(١) ، فكان يشرب منه .

الباب الخامس

فى شربه اللبن

• عن ابن عباس قال : كان أحب الشراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن أطعمه الله طعاما فليقل :

اللهم بارِكْ لنا فيه ، وأبدِلْنا به ما هو خيرٌ منه .

ومن سقاه الله لبنا فليقل :

اللهم بارك لنا فيه ، وزِدْنا منه ، فإنا لا نَعلم يُجزِئ عن الطعام والشراب غيره » .

---

(١) القوارير : جمع قارورة ، وهي القدح من الزجاج .

الباب السادس

فى شربه النبيذ ، وصفة ذلك النبيذ

• عن عائشة قالت : كنا نَنْبذ للنبى صلى الله عليه وسلم غدوةً ، فيشربه بالعشىّ ، فيشربه بالغداة .

الباب السابع

فى شربه السويق

• عن أنس قال : كنت أسقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا القدح ، اللبن ، والعسل ، والسَّويق ، والنبيذ ، والماء البارد .

الباب الثامن

فى كيفية شربه

• عن ربيعة بن أكثم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عَرْضا ويشرب مَصًّا ويقول : هو أهْنأ وأمْرأ .

الباب التاسع
في تنفسه في الاناء ثلاثا

● عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتنفّس في الإناء ثلاثا .

أخرجاه .

والمعنى : كان يتنفس في الشُّرب من الإناء ثلاثا .

● وقد روى أبو قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(إذا شرب أحدكم ، فلا يتنفس في الإناء) .

وبيان ما قلنا : ما روَى أنس بن مالك أنه رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شَرب جرعةً ثم قطع ، ثم سَمّى ثم جرع ، ثم قطع ثم سَمّى ثم جرع ، ثم قطع ، ثلاثاً ، حتى فرغ ، فلما فرغ ، حمد الله .

● عن ابن مسعود قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا شرب تنفس على الإناء ثلاث أنفاس ، يحمد الله على كل نفَس ، ويشكره عند آخرهن .

الباب العاشر

فى شربه قاعداً وقائماً

● عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب قاعداً وقائماً ، وصلى حافياً ومنتعلاً ، وانصرف عن يمينه وشماله .

الباب الحادى عشر

فى شربه بعد أصحابه إذا سقاهم

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسقى أصحابه ، قالوا : يا رسول الله ، لو شربتَ قال : (ساقى القوم آخرهم شُرْباً) .

الباب الثاني عشر

في مناولته من عن يمينه

● عن أنس قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبنا له من شاةٍ داجنٍ ، وشِيبَ له من بئرٍ في الدار ، وأعرابيٌّ عن يمينه ، وأبو بكر عن يساره ، وعمر ناحيةً ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : أعطِ أبا بكر ، فناوله الأعرابيَّ وقال : الأَيْمن فالأيمن .

● عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أُتِيَ بشراب فشرب منه ، وعن يمينه أعرابي ، وعن يساره الأشياخ .

فقال للغلام : أتأذن في أن أعطي هؤلاء ؟

فقال : والله لا أوثر نصيبي منك أحداً !

فتلّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في يده .

الحديثان في الصحيحين . ومعنى تلّه : ألقاه .

أبواب نوم

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى مسامرته أزواجه بالليل

● عن عائشة قالت : حدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نساءه حديثا ، فقالت امرأة منهن : كان الحديث حديثَ خُرَافة(١) .

فقال : أتدرون ماخرافة ؟ كان رجلا من عُذْرة أَسَرَتْه الجن فى الجاهلية ، فمكث فيهم دهراً ثم رَدُّوه إلى الإنس ، فكان يحدثهم بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة .

قال المصنف : ومن هذا الفن(٢) حديث أم زَرْع ، وهو معروف .

(١) قال ابن حجر : لم ترد المرأة ما يراد من هذا اللفظ ، وهو الكناية عن ذلك الحديث بأنه كذب مستملح ، لأنها تعلم أنه لا يجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم إلا الحق ، وإنما أرادت أنه حديث مستملح لا غير .

(٢) أى من مسامرته لأزواجه ، وقد حدث به عائشة وهو فى الصحيحين .

الباب الثانى

فى صعوده ونزوله ليلة الجمعة

• عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الصيفُ، خرج من البيت ليلة الجمعة ، وإذا كان الشتاء ، نزل ودخل البيت ليلة الجمعة .

الباب الثالث

فى وضوئه قبل النوم

• عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام وهو جُنب ، غسل فرجه ، وتوضأ وضوءه للصلاة .

أخرجاه .

الباب الرابع

فى اكتحاله عند نومه

• عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يكتحل بالإثمد كلَّ ليلة قبل أن ينام ، وكان يكتحل فى كل عين ثلاثة أميال .

الباب الخامس

في صفة فراشه الذى كان ينام عليه بالليل

• عن عائشة قالت : كان ضِجَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه بالليل ، من أدم محشوًا ليفاً .

الباب السادس

فيما كان يصنع إذا أتى الفراش

عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى فراشه فى كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما : «قل هو الله أحد» و «قل أعوذ برب الفلق» و « قل أعوذ برب الناس » ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات .

أخرجاه .

• عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : (اللهم ربَّ السموات السّبع ورب الأرضين قُدساً ورب كل شيء ، فالق الحب والنّوى ، منزّل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذٌ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخِر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن ، فليس دونك شيء ، اقضِ عنى الدَّيْن ، وأغنِنى من الفقر) .

الباب السابع

فى كيفية نومه، وما كان يقوله عند النوم

● عن البَراء بن عازب قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه، نام على شقه الأيمن ثم قال : (اللهم إنى أسلمتُ نفسى إليك، ووجَّهت وجهى إليك، وألجأتُ ظَهرى إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا مَلجَأ ولا مَنجَى منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذى أنزلت ونبيِّك الذى أرسلت).

وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(من قالهن ثم مات من ليلته، مات على الفطرة).

● عن حذيفة بن اليمان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه قال : (الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)(١).

(١) المروى أنه كان يقول ذلك إذا استيقظ كما روى المصنف بعد.

الباب الثامن

فى ما كان يقوله إذا استيقظ

● عن أبى ذر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ قال: (الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) .

● عن ابن عباس أنه بات عند خالته ميمونة ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى [إذا] انتصف الليل ، أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، استيقظ فجعل يمسح النومَ عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ، ثم توضأ وقام يصلى .

● عن شمر بن عطية قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقلت : لَأَرْمُقَنَّ الليلة كيف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما صلى العشاء اضطجع فنام هَوِيًّا(١) من الليل ثم استيقظ فنظر فى السماء . فقال : « رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا » إلى قوله : « إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٢) » .

---

(١) الهوى : الحين الطويل .

(٢) سورة آل عمران . الآيات (من ١٩١ إلى نهاية ١٩٤) .

الباب التاسع

فى أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه

● عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله أتنام قبلَ أن تُوتِر ؟ قال : (يا عائشة إن عينىَّ تنامان ولا ينام قلبى) .

فإن قال قائل : إذا كان نومه يساوى نومَنا فى انطباق الجفن وعدم السماع ، حتى إنه نام عن الصلاة ، فما أيقظه إلا حرُّ الشمس ، فما وَجْه الفَرْق ؟

فقد أجاب عنه ابن عقيل فقال : النومُ يتضمَّن أمرين :

أحدهما : راحة الجسد ، وهو الذى يشاركنا فيه .

والثانى : غفلةُ القلب . وقَلْبُه كان متيقظاً سليماً من الأحلام ، مُتلقياً للوحى فى المنام ، متفكراً فى المصالح على مثل ما يكون المتنبِّه ، فما يَغْفل قلبُه بالنوم عما وضِع له .

وقد كان يُغْشَى عليه عند نزول الوحى ويستطرح ، وهى حالةٌ لو أصابت بعضَ أمته ، انتقض وضوءه .

وهو كان فى تلك الحالة ، حافظاً محفوظاً من غَلَبات الطبع ، واسترخاء مخارج الحدَث ، فهو غائب عنا حينئذ بحال .

فالله سبحانه يسِّر إليه ما يشاء .

وأمّا نومُه حتى طلعت الشمس فله وجهان :

أحدهما : أنه أريد بذلك أن يَشْرع ما يتعبَّد به ويسهو ويَنفل . وهذا كإعدامه الماء حتى تيمم .

والثاني : أن يكون ذلك جرَى لانكشاف علوم تخصُّه من المعارف ، عطَّلته عن القيامَ بحقوق الظواهر ، لاشتغال الباطن بأدب التلقِّى ، كما قال من مَلَكه ذِكْرُ محبوبه :

فوَاللهِ مَا أدْرِى إذَا مَا ذَكَرْتُها
أَثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ العِشَا أمْ ثَمَانيا

وما زالت مُهمّات القلوب تُخِلُّ بالأعمال [و] الأركان .

الباب العاشر

في ذكر بعض مناماته

• عن سَمُرة بن جندب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّى صلاةَ الغداة(١) أقْبل علينا بوجهه فقال : هل رأى أحدٌ منكم الليلةَ رؤيا ؟ فإن كان أحدٌ رأى رؤيا قصَّها عليه ، فيقول فيها ما شاء الله أن يقول .

فسألَنا يوماً فقال : هل رأى أحدٌ منكم الليلة رؤيا ؟ قلنا : لا .

قال : لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى فضاء أو أرض مستوية .

فمرّا بى على رجل ، وإذا آخر قائم على رأسه بيده كَلُّوب(٢) من حديد ، فيدخله فى شِدْقه فيشقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يُخْرِجه فيدخله فى شدقه الآخر ، ويلتئم(٣) هذا الشدق . فهو يفعل ذلك به .

---

(١) صلاة الغداة . أى : صلاة الصبح .

(٢) الكلوب : المهماز . قال فى الصحاح : الكلوب : المنشال (حديد ينشل بها اللحم من القدر) وكذلك : الكلاب . والجمع كلاليب اهـ .

وفى المصباح : والكلوب . مثل : تنور . والكلاب . مثل تفاح ، خشبة فى رأسها عقافة منها أو من حديد .

والمراد هنا : الحديدة المعقوفة التى يعلق الجزار عليها اللحم وهى لغة العامة فى الديار الشامية . وأما فى مصر فيقولون : الخطاف .

(٣) ز : ويلتحم .

فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق . فانطلقت معهما ، فإذا رجل مُستلقٍ على قفاه ، ورجل قائم بيده فِهرٌ(١) أو صخرة فيَشْدخ(٢) بها رأسَه فيتدَهْدَه الحجَر ، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسُه كما كان ، فيصنع مثل ذلك .

فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق .

فانطلقتُ معهما ، فإذا بيت مبنيّ على بناء التَّنُّور(٣) أعلاه ضيق وأسفله واسع ، تُوقد تحته نار ، فيه رجال ونساء عراة ، فإذا أُوقدت ارتفعوا ، حتى كادوا أن يخرجوا ، فإذا خمدت(٤) رجعوا فيها .

فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق .

فانطلقتُ ، فإذا نهرٌ من دم ، فيه رجل ، وعلى شاطىء النهر رجل ، بين يديه حجارة ، فيُقْبل الرجل الذى فى النهر .

فإذا دنا ليخرج ، رمى الرجلُ فى فيه حجراً ، فرجع إلى مكانه ، فهو يفعل ذلك به .

فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلقْ .

فانطلقتُ ، فإذا روضة خضراء ، فيها شجرة عظيمة ، وإذا شيخ فى أصلها ، حوله صبيان ، وإذا رجل قريب منه ، حوله نار يحشُّها(٥) ويسعى حولها .

---

(١) فهر . أى : الحجر قدر ما يدق به الجوز ، أو ما يملأ الكف . اه قاموس .

(٢) فيشدخ . أى : يكسر . قال فى الصحاح : الشدخ : كسر الشىء الأجوف .

(٣) التنور : هو الفرن أو المخبز المستدير .

(٤) خمدت . أى سكن لهبها ولم يطفأ جمرها . كما فى الصحاح .

(٥) يحشها : يحركها ويوقدها .

فصعدا بى فى الشجرة ، فأدخلانى داراً [ثم أدخلانى داراً] هى أحسنُ وأفضلُ ، فيها شيوخ وشباب .

فقلت لهما : إنكما طوّفتما بى الليلة ، فأخبرانى عما رأيتُ . قالا : نعم .

أما الرجل الأول ، الذى رأيتَ ، فإنه كذاب يكذب الكذْبة ، فتُحْمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فهو يُصْنع به ما رأيتَ إلى يوم القيامة ، ثم يصنع الله به ما شاء .

وأما الرجل الذى رأيتَ مستلقياً ، فرجلٌ آتاه الله تبارك وتعالى القرآن ، فنامَ عنه بالليل ، ولم يعمل بما فيه بالنهار ، فهو يفعل به ما رأيت إلى يوم القيامة .

وأما الذى رأيت فى التّنور ، فهم الزناة والزّوانى .

[وأما الذى رأيت فى النّهر فآكل الربا](١) .

وأما [الشيخُ](١) الذى رأيتَ فى أصل الشجرة ، فهو إبراهيم الخليل .

وأما الصبيان الذين حوله ، فأولاد الناس .

وأما الرجل الذى رأيت يوقد النار ويحشّها ، فذاك مالك خازن النار ، وتلك النار .

وأما الدار التى دخلتَ أولاً ، فدارُ عامة المؤمنين . وأما الدار الأخرى ، فدار الشهداء .

وأنا جبريل ، وهذا ميكائيل .

ثم قالا لى : ارفع رأسك ، فإذا كهيئة السحاب ، فقالا : وتلك دارُك .

---

(١) سقطت من ز .

فقلت : دعانى أدخل دارى . فقالا : إنه قد بقى لك عملٌ لم تستكمله ، فلو قد استكملته ، لدخلت دارك(١) . أخرجاه .

• عن سالم عن أبيه ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحدِّث قال : (بَينا أنا نائم ، رأيتنى أُتيت بقدح فشربتُ منه حتى إنى أرى الرِّىّ يخرج من أظفارى ، ثم أعطيتُ فَضْلى عمر .

قالوا : ما أوّلتَ ذلك يا رسول الله ؟ قال : العِلْم) . أخرجاه .

• عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بَينا أنا نائم ، رأيتُ الناسَ يُعْرَضون علىّ ، وعليهم قُمُص ، منها ما يبلغ الثُّدْى ، ومنها ما دون ذلك ، وعُرِضَ علىّ عمر بن الخطاب ، وعليه قميص يجرُّه) .

قالوا : فما أوّلت ذلك يا رسول الله ؟ قال : (الدِّين) . أخرجاه .

• عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

رأيتُ الناسَ مجتمعين فى صَعيدٍ ، فتقدّم أبو بكر فنزَع ذَنُوبا(٢) أو ذنوبَيْن ، وفى نَزْعه ضَعْف ، والله يغفر له .

ثم أخذها عمر ، فاستحالَتْ غرْباً(٣) ، فلم أرَ عَبْقريًّا(٤) فى الناس يَفرى فرِيَّه(٥) ، حتى ضرب الناسُ بعَطَن(٦)) . أخرجاه .

---

(١) فى الحديث اختلاف بين رواية البخارى ومسلم ، وبين ما هنا .

(٢) الذنوب : الدلو الممتلئة ماء .

(٣) الغرب : الدلو العظيمة ، المتخذة من جلود البقر .

(٤) عبقريا : حاذقا كاملا .

(٥) يفرى فريه : يصنع صنعه .

(٦) أى ارتووا وأناخوا إبلهم حول الماء .

• عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(بينا أنا نائم ، رأيتنى فى الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر .

فقلت : لمن هذا القصر ؟

قالوا : لعمر .

فذكرتُ غَيْرتك ، فوليتُ مُدْبراً) .

فبكى عمر وقال : أو عليك أغار يا رسول الله !(١)

• عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : رأيتُ كأنى أنزع على غنم سُود ، مخالطها غنم عفرٌ(٢) ، إذ جاء أبو بكر ، فنزع ذَنُوباً أو ذنوبَيْن ، وفى نَزْعه ضَعْف ، ويغفر الله لأبى بكر .

إذ جاء عمر فأخذ الدلوَ ، فاستحال غَرْباً فأوْوى الناسَ وصَدَر الشاء ، فلم أرَ عبقريّاً يَفرى فَرِيّه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأوّلتُ أن الغنم السُّود : العرب ، وأن العُفر ، إخوانهم من هذه الأعاجم .

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(رأيتُ كأنى الليلة فى دار عُقْبة بن رافع فأتيت بتَمْرٍ من تمر ابن طاب .

فأوّلتُ أن لنا الرِّفعة فى الدنيا ، والعاقبة فى الآخرة ، وأن ديننا قد طاب) .

---

(١) أخرجه البخارى ٣/٢٧٢

(٢) عفر . أى : يعلو بياضها حمرة . اهـ صحاح .

● عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيتُ كأنى أُتيت بمكيلة تمر ، فعجمتُها(١) فى فى ، فوجدت فيها نواةً آذتنى ، فلفظتُها(٢) .

ثم أخذت أخرى فعجمْتها ، فوجدتُ فيها نواةً فلفظتها .

فقال أبو بكر : دَعْنى فلأَعبرْها(٣) ، فقال : اعْبرْها . قال : هو جيشك الذى بعثتَ ، يَسْلمون ويغنمون .

فيلقَوْن رجلا فَينْشدهم ذمتك فَيدَعونه .

ثم يَلقون رجلا فينشدهم ذمتك فيدَعونه .

قال : كذلك قال الملك .

● عن ابن مسعود قال : أكرَيْنا الحديثَ ذات ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم غدَوْنا عليه فقال :

عُرضت علىّ الأنبياء الليلةَ بأممها ، فجعَل النبى يمرُّ ومعه الثلاثة ، والنبى ومعه النَّفر ، والنبى وليس معه أحد ، حتى مرّ موسى بن عمران ومعه كَبْكَبةٌ(٤) من بنى إسرائيل ، فأعجبونى فقلت :

من هؤلاء ؟ قال : أخوك موسى ، معه بنو إسرائيل .

قلت : أين أمتى ؟ فقيل لى : انظر عن يمينك .

فنظرت ، فإذا الظِّرابُ قد سُدّ بوجوه الرجال .

---

(١) فعجمتها . أى : خبرت حالها . اهـ صحاح .

(٢) فلفظتها . أى : ألقيتها من فمى .

(٣) فلأعبرها . أى : فلأفسرها .

(٤) الكبكبة : الجماعة المتضامة .

فقيل لى : أرضيتَ ؟ قلت : يا رب ، رضيتُ .

فقيل ، إنَّ ، مع هؤلاء سبعين ألفاً ، يدخلون الجنة بغير حساب .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (فداكم أبى وأمى ! إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف فافعلوا .

فإن قصَّرتم ، فكونوا من أهل الظِّراب .

فإن قصَّرتم فكونوا من أهل الأفق ، فإنّى قد رأيتُ ناساً يتهاوشون .

فقال عُكَّاشة بن مِحْصَن : ادع الله لى يا رسول الله ، أن يجعلنى من السبعين . فدعا له .

قال : ثم تحدثنا فقال : (مَنْ ترون هؤلاء السبعين الألف ؟) .

[فقلنا] قومٌ ولِدوا فى الإسلام ، ثم لم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا .

فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال :

هم الذين لا يَكْتَوون ، ولا يَسْتَرْقُون ، ولا يتطيَّرون ، وعلى ربهم يتوكلون .

أكرَبْنَا : بمعنى أطلَلْنَا . والظِّراب : صغار الجبال . ويتهاوشون : يَدْخل بعضهم فى بعض .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بينا أنا نائم إذ أُتيت خزائن الأرض ، فوضع فى يدى سواران من ذهب ، فكبُرا علىّ وأهمّانى . فأوحى إلىّ : أن انفخهما ، فنفختهما فطارا .

فأوّلتهما الكذابَيْن اللذين أنا بينهما ، صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة .

● عن سالم عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

رأيت امرأة سوداء ، ثائرة الرأس ، خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة .

فأولت أن وباء المدينة ، نُقل إلى مَهيعة وهى الجُحْفة .

● عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَيْنا أنا نائم أعطيت مفاتيحَ خزائن الدنيا حتى وُضِعتْ فى كَفِّى .

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل على أم حرَام ، بنت مِلْحان فتطعمه ، وكانت تحت عُبادة بن الصامت .

فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأطعمته ، ثم جلست تفلِّى رأسه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم استيقظ وهو يضحك .

[قالت :] فقلت : يا رسول الله ، ما يضحكك ؟

قال : (ناسٌ من أمتى ، عُرِضوا علىّ غُزَاةً فى سبيل الله ، يركبون ثَبَجَ(١) هذا البحر ، ملوكاً على الأسِرّة ، أو مثل الملوك على الأسِرّة) . شكّ أيهما قال .

فقلت : يا رسول الله ، أُدع الله أن يجعلنى منهم . قال : أنت منهم .

ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك .

فقلت : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناسٌ من أمتى ، عُرِضوا علىّ غزاةً فى سبيل الله . كما قال فى الأولى .

قالت : فقلت : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : أنتِ من الأوّلين .

فركبتْ أمُّ حِرَام البحر فى زمن معاوية ، فصُرِعت عن دابتها ، حين خرجت من البحر ، فهلكت .

---

(١) الثبج : وسط الشىء .

• عن عبد الرحمن بن سَمرة قال : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ ونحن فى مسجد المدينة ، قال : إنى رأيت الليلة عَجباً . قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : رأيت رجلاً من أمتى ، قد احتوشَتْه[١] الشياطين ، فجاءه ذِكْرُ الله عز وجل ، فخلَّصه من بينهم .

ورأيت رجلا من أمتى احتوشَتْه ملائكة العذاب ، فجاءته صَلاتُه فاستنقذَتْه من أيديهم .

ورأيت رجلا من أمتى يلهث[٢] عطشاً ، كلما وردَ حوضاً مُنع ، فجاءه صومُ رمضان ، فسقاه وأرْوَاه .

ورأيت رجلا من أمتى ، والنبيون قعود حِلَقاً حلقاً ، كلما دنا من حلقة ، رُد ، فجاءه اغتساله من الجنابة ، فأخذ بيده وأجلسه إلى جنبى .

ورأيت رجلا من أمتى مِنْ بين يديه ظُلْمة ، ومن خَلْفه ظُلْمة ، وعن يمينه ظلْمة . وعن شماله ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، وهو متحيِّر فيها ، فجاءه حَجُّه ، وعُمرته ، فاستنقذَاه من الظلمة ، وأدخلاه النورَ .

ورأيت رجلا من أمتى يكلِّم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صِلَةُ الرَّحم فقالت : يا معشر المؤمنين ، كلِّموه فإنه كان واصلاً لِرَحِمه . فكلَّموه وصافَحُوه .

ورأيت رجلا من أمتى يتَّقى وَهَجَ النار وشَررَها بيده عن وجهه . فجاءته صدَقَتُه ، فصارت سِتْراً على رأسه ، وظِلاً على وجهه .

ورأيت رجلا من أمتى ، قد أخذته الزبانيةُ من كل مكان .

فجاءه أمْرُه بالمعروف ، ونَهْيه عن المُنكَر ، فاستنقذَاه من أيديهم ، وأدخلاه فى ملائكة الرحمة فصار معهم .

(١) احتوشته . أى : أحاطت به من كل جانب .

(٢) يلهث . أى : يخرج لسانه من شدة العطش والتعب .

ورأيت رجلا من أمتى جاثياً على ركبتيه ، بينه وبين الله حِجَاب .

فجاءه حُسْنُ خُلقه ، فأخذ بيده ، فأدخله عَلَى الله عز وجل .

ورأيت رجلاً مِنْ أمتى ، قد هَوَتْ صحيفته ُقِبَل شماله .

فجاءه خَوْفهُ من الله تعالى ، فأخذ صحيفته ، فجعلها فى يمينه .

ورأيت رجلا من أمتى قد خفَّ ميزانهُ .

فجاءته أفراطُه ، يعنى أولاده الصِّغار ، فثقّلوا ميزانَه .

ورأيت رجلا من أمتى على شَفِير جهنم ، فجاءه وجَلُه(١) من الله تعالى فاستنقذَه من ذلك .

ورأيت رجلا من أمتى قائماً على الصراط يُرْعِد ، كما تُرْعد السَّعفةُ(٢) فى ريحٍ عاصف ، فجاءه حُسْن ظَنِّه بالله ، فسكَّن رَوْعته ، ومضَى على الصراط .

ورأيت رجلا من أمتى ، يَحْبو أحياناً ، ويتعلّق أحياناً .

فجاءته صلاتُه علىّ ، فأخذتْ بيده ، فأقامتْه على الصراط ومضى .

ورأيت رجلا من أمتى ، انتهى إلى أبواب الجنة ، فغلِّقت الأبوابُ دونه . فجاءته شهادة أنْ لا إله إلا الله ، ففتحت الأبواب وأدخلَتْه الجنة .

---

(١) وجله . أى : خوفه .

(٢) السعفة : ورقة الجريد .

أبوابُ طبّه

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى كثرة أمراضه

● عن هشام قال : كان عُرْوة يقول لعائشة : لا أَعْجبُ من فقهك ، أقول : زوجةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابنةُ أبى بكر . ولا أَعْجَبُ من عِلْمك بالشعر وأيام(١) الناس ، أقول : ابنة أبى بكر ، ولكن أَعْجَبُ مِنْ عِلْمك بالطِّب !

فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سَقِيما فى آخر عمره ، فكانت تَقْدَم عليه وفودُ العرب من كل وَجْه ، فتَنْعتُ الأنعاتَ ، فكنت أعالجها ، فمِنْ ثَمَّ(٢) .

الباب الثانى

فى أنه سحر

● عن عائشة قالت سَحر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌّ من يهود بنى زُرَيق ، يقال له لَبيد بن أعْصم ، حتى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُخَيَّل إليه أنه يَفْعل الشىء وما يفعله .

---

(١) ز : وكلام الناس . (٢) فمن ثم . أى : فمن وقتئذ صرت عالمة بالطب .

● قالت : حتى إذا كان ذات يوم ، أو ذات ليلة ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا . ثم قال :

يا عائشة : أشَعرْتِ أن الله أفتانى فيما استفتيتُه فيه ؟

جاءنى رجلان ، فجلس أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رِجْلى .

فقال الذى عند رجلى ، للذى عند رأسى : ما وَجَعُ الرجل ؟

قال : مَطْبوب . قال : ومَنْ طبَّه ؟ قال : لَبيد بن الأعصم .

قال : فى أى شيء ؟ قال : فى مُشْط ، ومُشَاطَة ، وجف طَلعةِ ذَكَر(١) .

قال : فأين هو ؟ قال : فى بئر ذروان .

قال : فأتاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناسٍ من أصحابه ، ثم جاء فقال : يا عائشة ، لكأنّ ماءها نُقاعة الحِناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين .

قلت : يا رسول الله . أفلا نقتله ؟ قال : لا . أمّا أنا ، فعافانى الله ، وكرهت أن أثير(٢) على الناس شرًا .

قالت : فأمر بها فدفنت » . أخرجاه .

---

(١) المشاطة : الشعر الذى يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط ، والجف : وعاء الطلع وهو : أول ما يبدو من ثمر النخل .

(٢) وفى رواية للبخارى : أثور .

الباب الثالث

في ذكر حجامته صلى الله عليه وسلم

● عن ابن عباس قال : احتجمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحْرِم في رأسه ، من صداع كان به ، أو شيء كان به .

أخرجاه .

● عن أنس قالَ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ثلاثاً : واحدةً على كاهله ، واثنتين على الأَخْدعين .

الكاهل : موصل العنق في القلب . والأخدعان : عرقان في العنق .

● عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجم في رأسه ويسمّيه أمّ مُغيث .

● عن أنس بن مالك أنه سئل عن كَسْب الحجّام فقال :

احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَجَمه أبو طيبة ، فأمَر له بصاعين من طعام ، وكلّم أهلَه ، فوضعوا عنه من خَراجه ، وقال :

(إنّ أفضل ما تداويتم به الحجامة) .

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو مُحْرِمٌ ، بمَلَل على ظهر القدَم .

● عن عليّ أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأمرني أن أعطي الحَجّام أجره .

● عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتجم لسبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين .

الباب الرابع

فى تداويه بالحناء

● عن سلمى قالت : كنت أخْدم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فما كانت تصيبه قَرْحة ولا نكبةٌ إلا أمرنى أن أضع عليها الحناء .

* * *

ابوابِ نکاح

علیہ الصلاۃ والسلام

الباب الأول

فى تحبيب النساء إليه

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حُبِّبَ إلىَّ من الدنيا الطِّيبُ والنساء ، وجُعلت قُرَّة عينى فى الصلاة » .

قال ابن عقيل : إنما قال صلى الله عليه وسلم : (حُبب إلىّ من الدنيا) لإقامة العذر ، وبراءة النفس من الانتماء إلى مَحبّة الدنيا ، وبمجرد الاختيار .

(وجعلت قرة عينه فى الصلاة) لظهور آثارٍ من العبودية ، بها يظهر مالا يظهر فى سائر العبادات .

قال المصنف : وهذا الكلام لا أرتضيه ، لأن مضمونه وضع فيما غيرُه أصْلَح ، فأنا معذور .

وإنما الصواب أنْ يقال : إنه لمّا عظَّمَ من التناسل لإيجاد الموحِّدين [حُبِّب][1] فيه لينسخ حالُه غيرَه .

وأمّا الطِّيب ، فإنه من الأدب فى خدمة الحق ، ولقاء الخَلْق .

وأما الصلاة ، فإنها لمّا كانت فى الدنيا ، نُسبت إليها .

---

(١) الأصل : عمر ، ولا معنى لها .

الباب الثانى

فى ذكر أزواجه وعددهن

● أول أزواجِ رسول الله صلى الله علية وسلم خديجة بنت خُوَيلد .

وقد سبق ذكرُ تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها . وتوفيت بعد أن مضى من النبوة سبعٌ ، وقيل : عَشر ، قبل أن تُفرض الصلوات الخمس .

ولم ينكح غيرَها حتى ماتت ، وكانت تُنفق عليه ، وكان يكرمها بعد موتها كثيراً ، ويُهْدى إلى صدائقها .

ودخلت عليه أم أزفر ، ماشطة خديجة ، فأكرَمها وقال :

(هذه كانت تَغْشانا فى عهد خديجة ، وإنّ حُسْن العهد من الإيمان) .

● عن عبد الرحمن بن زيد قال : إن آدَم عليه السلام ذكَرَ محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ ما فُضِّل به علىَّ ابنى صاحبُ البعير ، أن زوجته كانت عَوْناً له فى دِينه ، وكانت زوجتى عَوْناً لى على الخطيئة .

قال المصنف : يشير إلى خديجة عليها السلام .

وسيأتى هذا الحديث(١) مرفوعاً فى فضله على الأنبياء .

● سَوْدَة بنت زَمْعة . كانت تحت السّكران بن عمرو ، فأسلما

---

(١) بل سبق ذلك ص ٢٧١

وهاجرا إلى أرض الحبشة ، فمات زوجُها ، فتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهاجَر بها ، فلما كبرت ، أراد طلاقها ، فسألته أن لا يفعل ، وجعلت ليلتها لعائشة .

• عائشة بنت أبى بكر . تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى بنت ست سنين ، وبنَى بها وهى بنت تِسْع ، ولم ينكح بِكْراً غيرَها . وبقيت معه تسعَ سنين .

• حفصة بنت عمر . كانت عند خُنَيس بن حُذَافة ، وهاجرت معه إلى المدينة ، فمات عنها ، فتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم طلقها تطليقةً ، فقال له جبريل :

(إن الله يأمرك أن تراجِع حفصة ، فإنها صوّامة قوّامة) فراجَعها .

وقيل : إنما هَمَّ بطلاقها ولم يفعل .

• أم سَلَمَة ، واسمها هند بنت أبى أمية ، واسمه سهل ، كانت عند أبى سلمة ، فهاجر بها إلى أرض الحبشة ، وتوفى سنة أربع ، فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• أم حَبيبة : واسمها : رَمْلة بنت أبى سفيان ، كانت عند عُبيد الله ابن جحش ، هاجرا إلى الحبشة ، فتنصّرَ عُبيدُ الله ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرى إلى النجاشى ليزوجها إياه ، فوكّلَت خالدَ بن سعيد بن العاص ، فزوّجها إياه .

• زينب بنت جحش : كانت عند زيد بن حارثة فطلقها ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• زينب بنت خزيمة : كانت عند الطفيل بن الحارث فطلّقها ، فتزوجها أخوه عَبدة بن الحارث ، فقُتل عنها يوم بَدْر شهيداً ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• جُوَيْرِيَة بنت الحارث : أصابها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المُصْطَلق .

وكانت قد وقعت فى سَهم ثابت بن قيس ، فكاتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى كتابتَها وتزوجها .

• صفية بنت حُيَى . قُتل زوجها كِنانة بن الربيع يومَ خيبر .

فسباها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصطفاها لنفسه ، فأسلمت فأعتقها ، وجعل عِتقها صداقها .

• ريحانة بنت زيد : سَباها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى النضير ، فأعتقها وتزوّجها .

ويقال : كان يطأها بِملك اليمين ، ولم يعتقها .

• ميمونة بنت الحارث : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَرِف(١) ، وقدّر الله تعالى أنها ماتت فى المكان الذى بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

• وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من النساء ، ولم يدخل بهن .

---

(١) سرف : موضع قريب من التنعيم . و « التنعيم » موضع قريب من مكة ، وهو أقرب أطراف الحل إلى مكة ، ويقال : بينه وبين مكة أربعة أميال ويعرف بمساجد عائشة اهـ من المصباح .

منهن : الكِلاَبية . فمنهم من يسميها ، فاطمة ، ومنهم من يسميها ، عَمْرة ، ومنهم من يقول : العالية .

ومنهن : أسماء بنت النعمان ، وقَتيلة بنت قيس ، ومليكة بنت كعب ، وأم شريك ، وخَوْلة ، وشَراف ، وليلى بنت الحطيم ، والغِفَارية .

وقد خطب جماعةً ، فلم يتم النكاح .

وفيما ذكرنا خلاف وقد ذكرته فى كتاب « التَّلْقيح »(١) .

وقد عُرِض عليه نسوة فأبَى .

(١) هو كتابه : « تلقيح فهوم أهل الأثر » المطبوع بحيدر آباد .

الباب الثالث

فى ذكر سراريه

• مارية القبطية : بعث بها المُقَوقس ، وريحانة بنت زيد ، التى ذكرناها فى أزواجه . وقد قيل : إنها كانت سُرِّيَّة .

وقال أبو عُبيدة : كانت له أربع سَرارى ، مارية ، وريحانة ، وأخرى جميلة ، أصابها فى السَّبْى ، وجارية ، وهبتها له زينبُ بنت جحش .

قال أبو الوفاء بن عقيل : استكثارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء وزيادته على ما أبيح لأمته ، دليل على أنه لم يَبْنِ لنفسه ناموساً ، ولو أراد الناموسَ ، لاشتغل بالتعبد عن النساء .

الباب الرابع

فى ذكر قوته على الجماع

• عن جابر بن عبد الله قال : أعطِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكفيت .

قلت للحسن : ما الكفيت ؟ قال : الجماع .

الباب الخامس

فى استتاره وغض بصره عند الجماع

• عن مولى لعائشة قال : قالت عائشة : ما رأيت عورةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَطّ .

• عن أنس قال : ما رأيت عورةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَطّ .

• عن عائشة قالت : ما أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحداً من نسائه إلا مُقنَّعا ، يُرْخى الثوبَ على رأسه ، وما رأيتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآه منِّى .

• عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى امرأةً من نسائه ، غمض عينيه ، وقنَّع رأسَه وقال للتى تكون تحته : عليكِ بالسَّكينة والوقار .

الباب السادس

في ذكر طوافه على نسائه في ساعة

● عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه جميعاً في يوم واحد .

● عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل أو النهار ، وهن إحدى عشرة امرأة .

قلت لأنس : وهل كان يُطيق ذلك ؟ قال : كنا نتحدث أنه أُعطي قوةّ ثلاثين .

الباب السابع

في أنه كان يطوف على نسائه بغسل واحد

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل واحد .

الباب الثامن

في اغتساله في كل وطء

● عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه في يوم ، فجعل يغتسل عند هذه وعند هذه .

فقيل : يا رسول الله ، لو جعلتَه غسلا واحداً ؟

قال : هذا أزكَى وأطيبُ وأطهر .

الباب التاسع

في مداراته نساءه

● عن عائشة قالت : جاء جيشٌ يزفنون[1] يوم عيدٍ في المسجد ، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فوضعتُ رأسي على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم ، حتى كنت أنا الذي أنصرف عن النظر إليهم .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحَلْواء ، والعسل ، وكان إذا صلى العصر ، دار على نسائه ، فيدنو منهن .

فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما يحتبس ، فسألتُ عن ذلك فقيل لي : أهدَت لها امرأةٌ من قومها عُكَّةً من عسل ، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شَرْبة . قلت : أما والله لنحتالنَّ له .

فذكرتُ ذلك لسَوْدَة وقلت : إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولى له : يا رسول الله ، أكلتَ مَغَافير ؟ فإنه يقول لك : لا .

فقولى له : ما هذه الريح ؟

فإنه سيقول : لك سَقَتْني حفصةُ عسلاً .

فقولى : جرست نَحْلُه العُرفط[2] وسأقول ذلك له وقولى له ، أنت ياصفية.

فلما دخل على سَوْدة قالت : تقول سَوْدة : والذى لا إله إلا هو لقد

---

(١) يزفنون : يرقصون .

(٢) جرست : أكلت ، والعرفط : شجرة من العضاه .

كِذْتُ أن أباديه بالذى قلتِ ، وإنه على الباب فَرقاً منكِ ، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، أكلتَ مَغَافير ؟

قال : لا . قلت : فما هذه الريح ؟

قال : سقتنى حفصةُ شربةَ عسل قلت : جرست نحله العُرْفط .

فلما دخل علىّ قلت له مثل ذلك .

ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك .

فلما دخل على حفصة قالت : يا رسول الله ألا أسقيك منه ؟

قال : (لا حاجة لى به) . قالت مولاة سودة : والله لقد حرَمْناه .

قالت : قلت لها : اسكتى .

● عن عائشة قالت : كان بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامٌ فقال : مَنْ ترضَيْن أن يكون بينى وبينك ؟ أترضين أبا عبيدة ابن الجراح ؟

قلت : لا ، ذاك رجل لن يقضى لك علىّ .

قال : أترضين بعمر ؟ قلت : لا ، إنى أفرَق(١) من عمر . قال : فالشيطان يَفْرَقُه .

أترضين بأبى بكر ؟ قلت : نعم .

فبعث إليه فجاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقض بينى وبين هذه . قال : أنا يا رسول الله ؟

قال : نعم .

---

(١) أفرق . أى : أخاف .

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : اقْصِدْ يا رسول الله .

قالت : فرفع أبو بكر يده فلطم وجهى لطمةً بدرَ منها أنفى ومِنْخراى دماً وقال : لا أبالِك ! فمن يَقْصُد إذا لم يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أرَدْنا هذا . وقام فغسل الدمَ عن وجهى وثوبى بيده .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا غضبتُ وضع يده على منكبى وقال :

(اللهم اغفر لها ذَنْبهاَ وأذهبْ غيظَ قلبها ، وأعِذْها من الفتن) .

الباب العاشر

فى تأديبه أزواجه

بالهجر للخطأ والإيلاء منهن شهراً واعتزالهن

وفى سبب ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : أنهن سألنه من النفقة ما ليس عنده .

والثانى : أنه خلا بمارية فى بيت حفصة ، فلما علمت قال : اُكتمى علىّ . فأخبرت عائشة .

والثالث : أنه أهديت إليه هدية فبعث إلى زينب نصيبها فردّته ، فزادها فردّته ، فقالت : لقد أقمأت وجهك حيث تُرَدُّ هديتك .

فقال : (أنتن أهونُ على الله من أن تُنْقِمْننى ، لا أَدْخل عليكن شهراً) .

• عن عمر بن الخطاب قال : تغضّبتُ يوماً على امرأتى ، فإذا هى تراجعنى ، فأنكرتُ أن تراجعنى ، فقالت : ما تُنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواجَ النبى صلى الله عليه وسلم لَيراجعْنه ، وتهجره إحداهن إلى الليل .

فانطلقتُ فدخلتُ على حفصة ، فقلت :

أتراجعن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم .

قلت : وتَهجره إحداكن اليومَ إلى الليل ؟ قالت : نعم .

قلت : قد خاب مَنْ فعل ذلك منكن وخسر ، أفتأمنُ إحداكن

أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هي قد هلكت !

ثم دخلتُ على حفصة وهي تبكي ، فقلت :

أطلّقكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : لا أدري ، هو معتزلٌ في هذه المشربة(١) . وكان أقسَم أن لا يدخل عليهن شهراً ، من شدة مَوْجدته(٢) عليهن .

أخرجاه .

● عن جابر قال : أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والناسُ ببابه جلوسٌ . فلم يُؤْذَن له .

ثم أقبل عمر فاستأذن ، فلم يؤذن له .

ثم أَذِن لأبي بكر وعمر ، فدخلا والنبيُّ صلى الله عليه وسلم جالسٌ ، وحَوْله نساؤه وهو ساكت .

فقال عمر : لأكلمنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لعلّه يضحك .

فقال : يا رسول الله ، لو رأيتَ ابنة زيد ، يعني امرأة عمر ، سألتني النفقةَ آنفاً فوجَأْتُ(٣) عُنقها !

فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بَدَتْ نَوَاجِذُه وقال : (هن حَوْلي كما ترى يسألنني النفقة) .

---

(١) المشربة — بفتح الميم — المشرعة . وهي الموضع الذي يقصده من يريد الشرب .

(٢) موجدته . أي : غضبه .

(٣) فوجأت . أي : ضربت .

فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة ، كلاهما يقول تسألين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده !

فنهاهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

فقال نساؤه : والله لا نَسْأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعدَ هذا المجلس ما ليس عنده .

فأنزل الله تعالى آية التخيير .

فبدأ بعائشة فقال : (إنى ذاكرٌ لك أمراً ، ولا أحبُّ أن تَعجلى فيه حتى تستأمرى أبَويْك) .

فقالت : ما هو ؟

فتلا عليها : « يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ »(١) الآية .

فقالت عائشة : أفيكَ أستَأمِر أبوىَّ ؟ ! إنّى أختار الله ورسوله ، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترتُ .

فقال : (إنّ الله لم يبعثنى مُتَعَنِّتاً ، ولكن بعثنى معلماً ميسِّراً ، لا تسألنى امرأةٌ منهن عما اخترتِ إلا أخبرتها) .

انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٨

الباب الحادي عشر

في ذكر أولاده وعددهم

● عن ابن عباس قال : كان أولَ من ولد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة قَبل النبوة : القاسمُ ، وبه يُكَنى .

ثم ولد له زينب ، ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم .

ثم ولد له في الإسلام : عبدُ الله ، فَسُمي الطيب ، والطاهر .

وأمهم جميعاً ، خديجة بنت خُويلد .

وكان أول من مات مِنْ ولده : القاسمُ ، ثم مات عبد الله .

فقال العاصُ ابن وائل : قد انقطع ولده فهو أبْتَر .

فأنزل الله تعالى : « إنَّ شانِئَكَ هو الأبْتَر »(١) .

● عن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : مات القاسم وهو ابن سنتين .

وقال محمد بن عمر : كانت سُليمى مولاة صفية بنت عبد المطلب ، وكانت تقبل خديجة في أولادها ، وكانت تَعقُّ عن الغلام شاتين ، وعن الجارية شاة ، وكان بين كل ولدين لها سنة ، وكانت تَسْتَرْضِع لهم ، وَيُعَدُّ ذلك قبلَ ولادتها .

---

(١) سورة الكوثر الآية ٣

قال أبو بكر البَرَقى(١) :

يقال : إن الطَّيب والمطيَّب وُلِدا فى بطن ، والطاهر والمُطَهَّر ، ولدا فى بطن .

والصحيح أن هذه الألقاب لـ « عبد الله » ، لأنه ولد فى الإسلام .

وأما إبراهيم ، فمن مارية ، عاش ستة عشر شهراً : وقيل : ثمانية عشر .

وأما زينب ، فهى أكبر ولده ، توفيت سنة ثمان من الهجرة .

وأما رُقَيَّة ، فتزوَّجها عثمان ، وتوفيت على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة ، وتزوج بعدها أم كلثوم ، وتوفيت سنة تسع من الهجرة .

وأمَّا فاطمة فولدت قبلَ النبوة بخمس سنين . والصحيح أنها أصغر بناته . وقد ذكر الزبير بن بكَّار أن أصغر بناته ، رقيَّة .

---

(١) نسبة إلى برق ، وهو بيت كبير من خوارزم ، والبرق بالفارسية بره ، ولد الشاة ، اللباب ١/١١٤

أبواب سفره

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى ذكر اليوم الذى كان يسافر فيه

● عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه ، قال : قلَّ ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفَراً أن يخرج إلا يوم الخميس .

● عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحب يومَ الخميس ، ويستحب أن يسافر فيه .

● عن عائشة قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يسافر يوم الاثنين والخميس .

الباب الثانى

فى ذكر ما كان يقوله إذا خرج للسفر

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد أن يخرج إلى سفر قال :

(اللهم أنت الصاحبُ فى السَّفَر والخليفةُ فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من الفتنة فى السَّفَر والكآبة فى المُنقَلَب ، اللهم اقبض لنا الأرض ، وهوِّن علينا السفَر) .

• عن عبد الله بن سَرْجِس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج في سفر قال :

(اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفَر ، وكَآبة المُنقَلب ، والحَوْر بعد الكَوْر(١)، ودعوة المظلوم ، وسوء المَنظر في الأهل والمال) يبدأ بالأهل .

انفرد بإخراج هذا مسلم .

• عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا ركب راحلته ، يعني إلى السفر ، كبَّر ثلاثاً ثم قال :

« سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنا له مُقْرنين(٢) . وإنا إلى ربنا لَمُنْقلبون » .

ثم يقول (اللهم إني أسألك في سفَري هذا ، البِرّ والتقوى ، ومن العمل ما تَرْضَى ، اللهم هوِّن علينا السَّفَر ، واطْوِ لنا البعيد ، اللهم أنت الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل ، اللهم اصحَبْنا في سَفرنا ، واخْلُفنا في أهلنا) .

• عن على بن ربيعة قال : رأيت عليًا أُتِيَ بدابّة ليركبها ، فلما وضع رجله في الرِّكاب قال : « بسم الله » .

فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحان الذى سَخَّر لنا هذا وما كُنَّا له مُقْرِنين ، وإنّا إلى ربنا لَمُنْقلبون .

ثم حمد الله ثلاثاً ، وكبّر ثلاثاً ، ثم قال :

سبحانك ، لا إله إلا أنت ، قد ظَلمتُ نفسى فاغفر لي .

---

(١) الحور : النقصان . والكور : الزيادة .

(٢) مقرنين . أى : مطيقين وقادرين .

ثم ضحك فقلت : مم تضحك يا أمير المؤمنين ؟

قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلَ ما فعلتُ ، ثم ضحك. فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : يعجب الربُّ مِن عبده إذا قال : ربِّ اغفر لى . يقول الله تعالى : (عَلِم عبدى أنه لا يغفر الذنوبَ غيرى) .

الباب الثالث

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودِّع المسافر

● عن سالم أن ابن عمر كان يقول للرجل إذا أراد سَفَراً : أُدْنُ منّى أودِّعك ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودِّعنا فيقول :

(أستودعُ الله دِينَك ، وأمانتك ، وخواتيمَ عملك) .

● عن ابن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا ودَّع رجلا من أصحابه قال : (زوّدك الله التقوى وغفر ذنبَك ولَقَّاك الخيرَ حيث توجَّهت).

الباب الرابع

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في السَّفَر

• عن أسامة أنه سُئل عن سَيْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وأنا شاهد[١] ، قال : كان سيره العَنَق[٢] ، فإذا وجد فجوةً نَصَّ ، والنَّصُّ : فَوْق العَنق .

أخرجاه .

الباب الخامس

فيما كان يقول إذا نزل منزلا من الليل

• عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا أو سافر فأدركه الليل بأرضٍ قال :

(رَبِّي وربُّكِ الله ، أعوذ بالله من شَرِّكِ وشرِّ ما فيكِ ، وشرِّ ما دَبَّ عليكِ ، أعوذ بالله من شرِّ كل أَسَدٍ وأَسْوَد ، وحيَّةٍ وعقرب ، ومن شرِّ ساكِنِ البلد ، ومن شرِّ والدٍ وما وَلَد) .

---

(١) القائل هو عروة والحديث فى البخارى : عن هشام بن عروة ، عن أبيه أنه قال : سئل أسامة الخ صحيح البخارى ٢٣٥/١ .

(٢) العنق : نوع من سير الإبل ، فيه إسراع .

الباب السادس

فيما كان يقوله في السحر

• عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا كان في سَفَرٍ وأسْحَرَ يقول . (سمع سامعٌ بحمد الله وحُسْنِ بلائه علينا ، ربّنا صاحبنا وأفضِلْ علينا ، عائذاً بالله من النار) .

البَاب السابع

في تنفله على الراحلة

• عن أنس قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد أن يصلّيَ على راحلته ، استقبل القِبلَة ، وكبّر للصلاة ، ثم خلّى عن راحلته ، فصلّى حيث ما توجّهت به .

الباب الثامن

فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من السّفر

● عن ابن عمر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، كان إذا قَفَلَ من غَزْوٍ، أو حَجٍّ، أو عُمْرة، يكبِّر على كل شَرَف(١) من الأرض ثلاثَ تكبيرات، ثم يقول:

(لا إله إلا الله وَحده لا شريك له، له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون، لربِّنا حامدون، صدق الله وَعْدَه، ونَصر عَبْدَه وهَزم الأحزابَ وحده).

أخرجاه.

● عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الرجوعَ من السفر قال: (آيبون تائبون لربِّنا حامدون).

فإذا دخل على أهله قال: (أَوْباً أَوْباً، لربنا تَوْباً، لا يغادِر علينا حَوْباً(٢)).

---

(١) شرف: أى: مرتفع من الأرض.
(٢) حوبا: أى: ذنبا.

الباب التاسع

فيما كان يصنع إذا قدم من السفر

● عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال :
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يَقْدَم من سفر إلا نهاراً في الضُّحا . فإذا قدم ، بدأ بالمسجد ، فصلَّى فيه ركعتين ، ثم جلس .

● عن كعب بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم يقعد ما قدَّر له في مسائل الناسِ وسلامهم .

الباب العاشر

في أنه كان لا يطرق أهله ليلا

● عن أنس بن مالك أن رسول لله صلى الله عليه وسلم كان لا يَطْرُق أهلَه ليلا ، كان يدخل عليهم غُدْوَةً أو عِشاء .

أبوابُ آلاتِ حربِه

صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم

الباب الأول

فى ذكر سيفه

● عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفَّلَ سيفَه ذا الفِقَار يومَ بَدْر ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يومَ أحد(١) .

● عن على قال : كان اسمُ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفِقَار .

● عن ابن عاصم قال : أخرج إلينا علىُّ بن الحسين سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قَبِيعته(٢) والحلقتان اللتان فيهما الحمائلُ ، من فضة . قال : فسَأَلْته ، فإذا هو قد نحل(٣)، كان سيفاً لمنبِّه بن الحجاج السَّهمى، اتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بَدْر .

● عن أنس قال : كانت قَبِيعة سيفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة .

---

(١) فى صحيح البخارى : « ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين » .

(٢) القبيعة : ما على رأس مقبض السيف ، من فضة ، أو حديد ، أو غيرهما .

(٣) نحل : رق .

الباب الثانى

فى ذكر درعه

• عن على قال : كان اسم درع النبى صلى الله عليه وسلم ، ذا الفُضول .

• عن جابر بن عبد الله قال : أخرج علىُّ بن الحسين لنا درعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هى يَمانية رقيقة ، ذات زَرَافين(١) ، فإذا علقت بزرافينها ، شمرت ، فإذا أرسلت ، مَسَّت الأرضَ .

• عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : كانت فى درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حلقتان من فضة .

• عن السائب بن زيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه يومَ أحد ، دِرعان ، قد ظاهَر بينهما .

الباب الثالث

فى ذكر مغفره

• عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعلى رأسه مِغفَر من حديد .

---

(١) الزرافين جمع زرفين وهى : الحلقة .

الباب الرابع

فى ذكر قوسه

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبهم يوم الجمعة فى السَّفَر ، متوكئاً على قوسٍ قائماً .

الباب الخامس

فى ذكر رمحه

● عن أنس قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم رمح أو عصا ، تُرْكَزُ له ، فيصلِّى إليها .

الباب السادس

فى ذكر حربته

● عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان تُرْكَز له الحَرْبة . فتوضع بين يديه ، فيصلى إليها والناسُ وراءه .

وكان يفعل ذلك فى السفَر ، فمن ثَمَّ ، اتخذَها الامراء .

● عن ابن يزيد قال : بعثنى نجدة الحَرُورى إلى ابن عباس أسأله : هل [كان] يُسْتَر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرْبة ؟ قال : نعم . فى خيبر .

الباب السابع

في ذكر رايته ولوائه

● عن عبد الله بن بُرَيدةَ ، عن أبيه ، أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء ولواؤه أبيض .

● عن عائشة قالت : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض ، وكانت رايته سوداء من مِرْط لعائشة مُرَحَّل(١) .

● عن يونس بن عُبيد مولَى محمد بن القاسم قال : بعثنى محمد بن القاسم إلى البراء بن عازِب أسأله عن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت ؟ قال : كانت سوداء مربَّعة من نَمِرة(٢) .

● عن ابن عباس قال : كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ، ولواؤه أبيض مكتوب فيه : « لا إله إلا الله محمد رسولُ الله » .

● عن الحسن قال : كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسمَّى العُقاب .

---

(١) المرط : كساء من صوف أو خز . والمرحل : الذى فيه صور الرحال .
(٢) النمرة : بردة من صوف .

الباب الثامن

في ذكر قضيبه

• عن أبي سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحبُّ العراجينَ ، فلا يزال في يده منها شيء ، فدخل يوماً المسجدَ وفي يده عرجون، فرأى نخامةً في القبلة فحكّها بالعرجون .

• عن أبي الزبير أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كان يخطب وفي يده مِخْصَرة(١) .

• عن علي بن أبي طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقيع الغَرْقَد ، فقعد ومعه مِخْصرة ، فنكس ، وجعل ينكت بيده .

قال المصنف : كان له قضيب ، وهو اليومَ عندَ الخلفاء .

الباب التاسع

في ذكر عصاه

• عن ابن عباس قال : التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء ، كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكأ عليها ، ويأمر بالتوكؤ على العصا .

(١) المخصرة : ما يتوكأ عليه ، وما يشير به الخطيب إذا خطب .

أبوابُ غزواته

عليه الصلاة والسلام

● غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً وعشرين غزاةً قاتل منها في تسع : بَدْر ، وأُحد ، والمُرَيْسيع ، والخَندق ، وقُرَيظة ، وخَيبر ، والفتح ، وحُنين ، والطائف .

وقد قيل : إنه قاتل في بنى النضير ، وفى غزاة وادى القُرى ، وفى الغابَة .

ونحن نشير إلى غزواته إشارة لطيفة ، إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

فى ذكر ما كان يقوله إذا غزا

● عن أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال : (اللهم أنت عَضُدى ، وأنت نصيرى ، وبك أُقاتِل) .

الباب الثانى

فى ذكر غزاة الأبواء

وهى غزاة وَدان وهى أولُ غزاة غزاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وذلك على رأس اثنى عشر شهرا من الهجرة .

وحمل اللواء حمزةُ ، وخرج فى المهاجرين ، ليس فيهم أنصارىّ ، حتى بلغ الأبواء ، يعترضُ عِيرًا لقريش ، فلم يَلْقَ كيداً(١) .

وواعَدَ مَخْشِىَّ بن عمرو الضَّمرى وهو سيدهم ، على أن لا يغزو بنى ضَمْرة ولا يَغزونه . وكتب بينه وبينهم كتابا .

وانصرف إلى المدينة ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

(١) كيداً . أى : حرباً . قال فى الصحاح : وربما سمى الحرب كيداً . يقال : غزا فلان فلم يلق كيداً (أى حرباً) وكل شىء تعالجه فأنت تكيده . اهـ المراد منه .

الباب الثالث

فى غزاة بواط

● وكانت فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مُهاجره ، وحمل اللواء ، سعدُ بن أبى وقّاص ، واستخلَف على المدينة ، سعدَ ابن معاذ(١) .

وخرج فى مائتين من أصحابه ، يعترضُ عِيرَ قريش ، وكان أمية بن خلَف فيها ، ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير .

فبلغ بُوَاطًا ، وهى جبال هيّنَة ، من ناحية رُضْوى . وبين بواط والمدينة ، نحوٌ من أربعة بُرُدٍ ، فلم يَلْقَ كيداً ، فرجع إلى المدينة .

الباب الرابع

فى غزاة طلب كرز بن جابر

على رأس ثلاثة عشر شهرا . وكان كُرْز قد أغار على سَرْح(٢) المدينة فاستاقه ، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ وادى سَفْوان(٣) من ناحية بدر ، ففاته كُرْز ، فرجع .

---

(١) قال ابن هشام : واستخلف على المدينة ، السائب بن عثمان بن مظعون .

(٢) السرح : ما يرعى من النعم .

(٣) الأصل : شقران . وهو تحريف .

الباب الخامس

فى غزاة ذى العشيرة(١)

على رأس ستة عشر شهراً من مُهاجره . واستخلف على المدينة أبا سَلَمة وخرج هو وأصحابه على ثلاثين بعيرا يَعتَقبونها(٢) ، خرج يعترض عير(٣) قريش فيها أموالهم ، فبلغ ذا العُشَيرة ، وبينها وبين المدينة ، تسعة بُرُد ، ففاتوه .

وهى العير التى رجعت من الشام ، وخرجت قريش للدّفع عنها ، فكانت وقعة بدر .

(١) الذى فى المراجع كلها : غزوة العشيرة ، نسبت إلى المكان الذى وصلوا إليه ، وهو موضع لبنى مدلج بـ « ينبع » .
(٢) يعتقبونها . أى يركبونها مناوبة .
(٣) الأصل : بعير . محرفة .

الباب السادس

فى غزاة بدر

كان مع أبى سفيان أموالٌ لقريش يتَّجر لهم بها ، وهو فى قلة من العدد .

فندب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ، فخرجوا لطلب الأموال .

فبلغَ أبا سفيان ، فبعث إلى مكة ضَمْضم بن عمرو ، يَسْتَنْفر قريشا لأجل أموالهم ، فجاء وقد جدع بعيره ، وشقّ قميصَه وهو يقول :

يا معشر قريش . اللطيمة(١) ! أموالُكم مع أبى سفيان ، قد عَرض لها محمدٌ وأصحابُه ، لا أرى أن تُدْركوها ، الغوثَ الغوث .

فتجهزوا سراعاً ، وخرجوا .

● عن ابن عباس قال : رأت عاتكةُ بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضَمْضَم مكة بثلاثِ ليالٍ ، رؤيا أفزعتها ، فأخبرت بها العباس وقالت : قد تخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرٌّ .

رأيتُ راكباً أقبلَ على بعير له ، حتى وقف بالأبطَح ، ثم صرخ بأعلى صوته :

انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم فى ثلاث . فاجتمع له الناسُ .

ثم دخل المسجد ، والناس يتبعونه ، فمَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة ، فصرخ :

---

(١) قال فى المختار من الصحاح : اللطيمة : العير (قافلة الجمال) التى تحمل الطيب وبز التجار .

ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث .

ثم مثل به بعيرُه على جبل أبي قُبَيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً ، ثم أرسلها ، فأقبلت تهوى .

حتى [إذا][(١)] كانت بأسفل الجبل ، ارْفَضَّتْ[(٢)] فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ، ولا دارٌ ، إلا دخلتها منه فَلْقة[(٣)] .

فقال العباس : رؤيا ، فاكتميها[(٤)] .

ثم خرج العباسُ فلقي أبا جهل فقال : يا بني عبد المطلب ، متى حدَثت هذه النبيَّةُ فيكم ؟ ! قلت : وما ذاك ؟

قال : رؤيا عاتكة ، أما رضيتم أن يتنبَّأ رجالكم ، حتى تتنبَّأ نساؤكم ؟ ! فإن مضت الثلاثُ ، ولم يكن من ذلك شيء ، كتبنا عليكم كتاباً ، أنكم أكْذَبُ أهل بيت في العرب :

قال العباس : فأنكرْتُ أن تكون رأت شيئاً ...

قال : فلم تبق امرأة[(٥)] من بني عبد المطلب إلا جاءت فقالت :

أقررتم لهذا الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناوَلَ النساء ؟

فخرجتُ لأتعرَّض له ، فرآني فاستتر فقلت :

هذا قد فَرِق[(٦)] أن شاتمته . وإذا هو قد سمع صوتَ ضَمضم .

---

(١) من ابن هشام . (٢) ارفضت . أي : تفتتت وتفرقت .

(٣) فلقة . أي : قطعة .

(٤) ابن هشام : والله إنها لرؤيا فاكتميها ، لا تذكريها لأحد .

(٥) الأصل : إلا امرأة ، وما أثبته عن ابن هشام .

(٦) فرق . أي : خاف .

• قال أهل التفسير : لمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيء أهل مكة ، استشار أصحابه . فقال أبو بكر فأحْسَن . وقال عمر [فأحْسَن] .

وقال المِقْدَاد : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك .

والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنَّا هيهنا قاعدون .

والذى بعثك بالحق ، لو سِرْت بنا إلى بَرْك الغماد ، يعنى مدينة بالحبشة(١) ، لجالَدْنا مَنْ دونه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

ثم قال : أشيروا علَيَّ . وإنما يريد الأنصار .

فقال سعدُ بن مُعاذ : امض لما أردتَ ، فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضْتَ بنا هذا البحر فخُضْته ، لخَضناه معك ، إنا لصُبُر عند الحرب ، فسِرْ بنا على بركة الله .

فقال : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله ، لكأنى أنظر إلى مَصَارع القوم .

ثم سار حتى نزل قريباً من بدر .

ونجا أبو سفيان بالعير ، ثم بعث إلى القوم : إن الله قد نجَّى أموالكم فارجعوا .

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بَدْراً .

---

(١) برك الغماد : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن ، وقيل : هى أقاصى هجر ، أو أقصى اليمن .

وكانت بدر موضعاً من مواسم العرب ، يجتمع لها سوقٌ كل عام .

فنُقيم هناك ثلاثاً ، ونَنْحَر الجزُر ، ونطعم الطعامَ ، ونشرب الخمور ، وتضرب علينا القيانُ(١) ، وتسمع بنا العربُ ، فلا يزالون يهابوننا أبداً .

فبلغ ذلك أبا سفيان فقال : واقوماه ، هذا عملُ عمرو(٢) بن هشام . يعني : أبا جهل . ثم لحق بالمشركين فمضى معهم .

وبُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ فكان فيه .

ونظر عُمَير بن وَهْب إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه : أرى نَوَاضح يثرب تحملُ الموتَ الناقع ، ما لهم مَلْجأ إلا سيوفُهم .

والله ما أرى [أن] يُقْتَل رجلٌ منهم حتى يَقتل رجلاً منكم .

فإذا أصابوا منكم مثل عددهم ، فلا خير فى العيش بعد ذلك .

فهَمَّ عُتبة بالرجوع ، فقال له أبو جهل : انتفخَ سَحْرك(٣) .

وعقد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الألوية ، واستقبل القبلة ومدَّ يديه وقال :

« اللهم إنْ تَهلك هذه العصابة ، لا تُعْبَد فى الأرض » .

فما زال يستغيث حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فردَّاه ، ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبى الله كفاك(٤) مُنَاشدتك(٥) ربك ، فإنه سيُنْجِز لك ما وعدك .

---

(١) القيان : المغنيات . (٢) الأصل : عروة . وهو تحريف .

(٣) انتفخ سحره : جبن . والسحر : الرئة .

(٤) الأصل : كذلك . وهو تحريف .

(٥) مناشدتك . أى : إلحاحك عليه ومطالبتك له .

وخرج عُتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد ، فدعا إلى المبارزة .

فخرج فِتية من الأنصار فقالوا : مالنا بكم من حاجة .

ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرِج إلينا أكفاءنا من قومنا .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا حمزة قُمْ ، يا عبيدة قُمْ ، يا علىّ قم . فقالوا : أكفاء كرام .

فبارز عبيدةُ عتبة ، وبارز حمزةُ شيبة ، وبارز علىٌّ الوليد .

فقتل حمزةُ عُتْبة ، وقَتل علىٌّ الوليد ، واختلفَ عبيدةُ وعقبة ضربتين ، كلاهما أثبتَ صاحبَه ، فكرَّ حمزةُ وعلىّ على عُتْبة ، فقتلاه .

ثم زَحف بعضُ الناس إلى بعض ، فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حفنةً من الحصباء ، فاستقبلَ بها قريشاً وقال : شاهَتِ الوجوه .

ثم قال لأصحابه : شُدُّوا .

ونزلت الملائكةُ ، فجاءت ريحٌ ثم ذهبت ، ثم جاءت ريحٌ أخرى ثم أخرى .

فكان فى الأولى ، جبريل فى ألف .

وفى الثانية ، ميكائيل فى ألف .

وفى الثالثة ، إسرافيل فى ألف .

وكان سِيما الملائكةِ ، عمائمُ خُضْر ، وصفر ، وحمر من نور ، وهم على خيلٍ بُلْقٍ .

وسمع المشركون حَمْحَمة الخيل ، وكان المسلم يَتْبعُ الكافرَ ليقتله ، فيقع رأسُه قبلَ أن يصل إليه .

فكانت الهزيمةُ .

فقُتل مِن صَنَاديد القوم ِسبعون ، وأُسِر سبعون ، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الأسارى .

فقال أبو بكر : هؤلاء بنو العم والعشيرة .

وإنى أرى أن نأخذ منهم الفِدْية ، فتكون قوة لنا على الكفار .

وعسى أن يَهْدِيهم [الله] .

فقال عمر : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أنْ تمكِّننى من فلان — قريب لعمر — فأضربَ عنقه ، وتمكن عليًا من عَقِيل فيضربَ عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه ، فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هَوادَةٌ للمشركين ، هؤلاء صَناديدهم وأئمتهم .

فمالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى قول أبى بكر ، فأخذ منهم الفِداء .

- عن عبد الرحمن قال : إنى لواقفٌ يومَ بدر فى الصف .

فنظرتُ عن يمينى وشمالى ، وإذا أنا بَيْنَ غلامين من الأنصار ، حديثةٌ أسنانهما فتمنَّيتُ أنْ لو كنت بينَ أضلَع(١) منهما .

فغمزنى أحدهما ، فقال لى : يا عم ، هل تَعرف أبا جهل ؟

قلت : نعم ، وما حاجتُك إليه يابن أخى ؟

قال : بلغنى أنه سبَّ(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نفسى

---

(١) أضلع : أقوى .

(٢) وتروى : يسب .

بيده ، لو رأيتهُ لم يفارقْ سوادى[١] سوادَه ، حتى يموتَ الأعْجل .

قال : فغمزنى الآخر فقال لى مثلها . فتعجّبتُ لذلك .

ثم لم أنشب أنْ نظرت إلى أبى جهل يزول[٢] فى الناس ، فقلت لهم :

ألا تَريان ؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه .

فاستقبلهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، وقال كلٌّ واحد منهما : أنا قتلته .

فنظر فى سيفيهما وقال : كلا كما قتله ، وقضى بسَلَبه ، لمعاذ بن عمرو ابن الجموح .

وهما : معاذ بن عمرو ، ومعاذ بن عَفْراء .

أخرجاه فى الصحيحين .

● عن أبى عبيدة قال : قال عبد الله : انتهيتُ إلى أبى جهل يومئذ ، وقد ضُربت رجله وهو صريع ، وهو يذبُّ الناسَ عنه بسيفٍ له ، فأخذْته فضربته حتى قتلته ، فقلت :

الحمد لله الذى أخزاك الله يا عدوَّ الله .

قال [إنْ] هو إلا رجلٌ قتَله قومُه .

فجعلت أتناوله بسيفٍ لى غير طائل ، فأصبتُ يدَه فندر سيفُه[٣] فأخذْته فضربتُه حتى قتلته .

---

(١) سوادى . المراد : جسمى .
والمعنى : لم يفارق جسمه جسمى حتى يموت الأعجل .

(٢) وتروى : يجول . (٣) ندر . أى : سقط .

قال : ثم خرجتُ حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، كأنما أُقَلُّ من الأرض فأخبرته فقال : آلله الذى لا إله إلا هو ؟ فردَّدها ثلاثا .

فقلت : الله الذى لا إله إلا هو .

فخرج يمشى حتى قام عليه فقال :

الحمد لله الذى أخزاك يا عدوَّ الله ، هذا كان فرعونَ هذه الأمة !

• عن عطية بن قيس قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتال بدر ، جاءه جبريل عليه السلام على فرس عليه درعه ورمحه ، وقد عصَّب الغبارُ رأسَه فقال :

يا محمد إن الله عز وجل بعثنى إليك ، وأمرنى أن لا أفارقك ، حتى ترْضى . أرضيتَ ؟

قال : نعم رضِيتُ . فانصرف .

الباب السابع

فى إلقاء رءوس المشركين فى القليب

● عن طلحة أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم أمر بأربعة وعشرين رجلًا من صَنادِيد قريش يوم بدر ، خبيث مُخْبِث .

وكان إذا ظهر على قوم ، أقام بالعَرْصة ثلاثة أيام .

فلما كان ببدر اليومَ الثالث ، أمر براحلته فشُدَّ عليها رَحْلُها ، ثم [مشى و][1] اتبعه أصحابه ، فقالوا[2] : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرَّكِى[3] ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم :

يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان ، أيسرُّكم أنكم أطعتم الله ورسولَه ،فإنا قد وجدْنا ماوعَدنا ربّنا حقًّا ، فهل وجدتم ماوَعد ربُّكم حقا ؟

فقال عمر : يا رسول الله ، ما تُكلِّم من أجسادٍ ، لا أرواح لها فيها .

فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم :

والذى نفسُ محمد بيده ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم .

قال قتادة : أحياهم اللهحتى أسْمَعهم قولَه ، توبيخاًوتصغيراً ، ونِقْمةًوندماً .

أخرجاه .

(١) من البخارى .   (٢) الأصل : وقال . وما أثبته من البخارى .

(٣) شفة الركى : طرف البئر .

الباب الثامن

فى غزوة بنى قينقاع

• وكانت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً . وكانوا يهوداً. فحمل لواءه حمزة ، واستخلف أبا لُبابة .

وكانوا وادَعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غدَروا .

فحاصرهم ، فنزلوا على حكمه ، وأن له أموالهم ولهم النساء والذُّرية .

الباب التاسع

غزاة السويق

• على رأس اثنين وعشرين شهراً . واستخلَف أبا لُبَابة .

وذلك أن أبا سفيان ، حرَّم الدَّسم حتى يَأخذ بثأره من محمد وأصحابه .

فوصل إلى نحو المدينة ، فقتل رجلين ، وحرق أبياتاً ، ورأى أنّ يمينه قد حلّت ، فهرب .

فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى إثرهم .

وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون ، حتى يُلقون جُرُب السَّويق ، فيأخذها المسلمون ، فلم يلحقوه ، فرجع النبى صلى الله عليه وسلم .

الباب العاشر

غزاة قرقرة الكدر

● على رأس ثلاثة وعشرين شهراً .

حمل لواءه عليُّ ابن أبي طالب ، واستخلفَ ابنَ أم مكتوم ، فظفر بِنَعَمٍ ، تبلغ خمسمائة بعير ، ورجع .

الباب الحادي عشر

غزوة غطفان

● على رأس خمسة وعشرين شهراً ، واستخلف عثمانَ بن عفان .

وذلك أنه بلغه أن جَمْعاً قد تجمعوا فخرج ، فهربوا منه .

وجاء غَوْرث بن الحارث ، والنبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، وبيده سيف فقال :

من يَمْنعك مني ؟ فقال : « الله » فأسلم(١) .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الذى فى الروايات أنه لم يسلم ، وقال : ولكنى لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

الباب الثانى عشر

غزاة بنى سليم

• على رأس سبعة وعشرين شهراً ، بناحية الفُرع(١) .

وذلك أنه بلغه أن بها جَمْعاً من بني سُلَيم ، فخرج فتفرقوا .

الباب الثالث عشر

غزاة أحد

• لمّا رجع مَنْ حضر بدراً من المشركين إلى مكة ، وجدوا العِيرَ التى قدِم بها أبو سفيان موقوفةً على دار الندوة ، فمَشَتْ أشرافُ قريش إلى أبى سفيان وقالوا : نحن طَيِّبو الأنفُس بأن نجهِّز بربح هذه العير ، جيشاً إلى محمد .

قال أبوسفيان : أنا أولُ من أجابَ إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معى . فباعوها . فصارت ذهباً ، وكانت ألفَ بعير ، وكان المالُ خمسين ألف دينار ، فسلّم إلى أهل العير رءوسَ أموالهم ، وعُزلت الأرباح ، وبعثوا إلى العرب

(١) قال فى المصباح : والفُرع وزان «قُفْل» عمل من أعمال المدينة ، والصفراء وأعمالها من الفُرع، وكانت من ديار «عاد» .

وفى القاموس ، الفرع موضع من أضخم أعراض المدينة .

يَسْتنفرونهم ، وأجمعوا على إخراج الظُّعُن(١) معهم ، ليذكروا بهم بدراً ، فيكون أشدَّ لهم فى القتال .

وخرجت قريش ، ومعهم أبو عامر الراهب ، وهم ثلاثة آلاف ، فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، وكانت الظُّعُن معهم : خمس عشرة امرأة .

فساروا حتى نزلوا ذا الْحُلَيفة .

وكان سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وأُسَيْد بن حُضَير ، بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدة من الناس ، وحُرِست المدينة .

وكان رَأْيُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج من المدينة .

فطلب فتيانٌ أحداثٌ ، لم يشهدوا بدراً ، أن يخرجوا ، حرصاً على الشهادة .

فصلّى الجمعة ثم وعظهم ، وأَمَرهم بالجد والاجتهاد ، ثم صلى العصر ، ودخل بيته ومعه أبو بكر وعمر ، فعَمَّماه وأَلْبَساه ، وصُفَّ له الناسُ .

فخرج وقد لبس لَأْمته وتقلّد السيفَ ، وألقى التُّرْسَ من وراء ظهره ، وعقد ثلاثةَ ألوية ، واستخلف على المدينة ابنَ أم مكتوم .

ثم ركب فرسه ، وتقلّد القوسَ ، وأخذ قِبلته(٢) بيده ، وفى المسلمين مائة دارع .

---

(١) الظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة ما دامت فى الهودج ، والمراد : النساء .

(٢) القبلة : صدر القوس .

واعتزَل ابنُ أُبيّ فى ثلاثمائة ، فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة ، وأقبل يسوِّى الصفوف وخلّف « أُحداً » وراء ظهره ، واستقبلَ القبلة ، وأقام خمسين من الرماة .

[وأقام المشركون] على الميمنة ، خالدَ بن الوليد ، وعلى الميسرة ، عكرمة ، وعلى الخيل ، صفوان بن أمية .

وجعل نساء المشركين يضربْنَ الدفوفَ ويقلن :

نَحْنُ بَنَـــاتُ طَارِقْ   نَمْشِى عَلَى النَّمَارِقْ
وَالْمِسْكُ فِى الْمَفَارِقْ   إِنْ تُقْبِــلُوا نُعَانِقْ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ   فِرَاقَ غَيْرَ وَامِقْ

فأقبلوا وانكشف المشركون ، وأقبل المسلمون يأخذون الغنائم ، وأقبل جماعة من الرماة .

فنظر خالد بن الوليد إلى خَلَل ، فكَرّ(١) بالخيل ، وتبعه عكرمة ، وانتقضت صفوفُ المسلمين ونادى إبليس لعنه الله : قُتِلَ محمد .

وثبَت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصابة من أصحابه فأصيبت رُبَاعيّته ورماه ابنُ قَمِئة بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشَجّه فى وجهه .

ورمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُبيَّ بن خلف بحَرْبة ، فمات منها .

• عن سعد بن أبى وقاص قال :

---

(١) كرّ . أى هجم .

لقد رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويساره ، رجلين عليهما ثياب بيضٌ ، يقاتلان عنه أشدَّ القتال ، ما رأيتهما قبلُ ، ولا بعدُ .

أخرجاه .

● عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كُسِرت رُباعيته يومَ أُحد ، وشُجَّ في وجهه ، جعل يمسح الدم عن وجهه ويقول :

كيف يفلح قومٌ خَضَبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى ؟!!.

فنزلت هذه الآية : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ(١) » .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن أبي بشر المازني قال : حضرتُ يومَ « أحد » وأنا غلام .

فرأيت ابن قَمِئة ، علا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف .

فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وقع على كتفيه في حفرة أمامه ، حتى توارَى .

فجعلتُ أصيح وأنا غلام ، حتى رأيت الناسَ يأتون إليه ، فأنظر إلى طلحة ابن عبيد الله ، أخذ بحضنه ، حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن أبي يوسف الفِرْيابي قال: لقد بلغني أن الذين كسروا رُباعية النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يولد لهم صبي ، فنبتت له رُباعية !

● عن الزبير بن بَكّار قال : قُتل أُميةُ بن خَلَف ببَدْر ، وكان أخوه أُبيّ بن خلف قد أُسر يومئذ .

فلما فُدِي ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .

إن عندي فَرَساً أعلفه كلّ يوم فَرَقاً(١) من ذُرَة ، أقتلك عليه :

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بل أنا أقتلك إن شاء الله) .

فلما كان يومُ أُحُد ، وانحاز المسلمون إلى شِعْب أُحُد ، أبصرَ أُبَيّ ابن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمل عليه فشدَّ ، فحمل عليه الزبير ابن العوام ، ومع الزبير الحربة .

فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطعنه بها في تَرْقوته فخرّ صريعاً .

فأدركه المشركون فأرسوه(٢) وله خوار ، فجعلوا يقولون: ما بك بأسٌ .

قال : أليس قال لي : أنا أقتلك .

فحملوه حتى مات بمرّ الظَّهْران ، على أميال من مكة .

● عن سعد بن معاذ أنه قال لأمية : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه قاتلُك .

قلت : يحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أُمية يوم بدر ، وقتل أُبَيّ بن خلَف يوم أُحد .

ويحتمل أن يكون المعنى : يقتلك أصحابي .

● عن البَراء بن عارب قال : جَعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الرُّماة يومَ أُحد ، وكانوا خمسين رجلًا ، عبدَ الله بن جُبير ، وقال :

إن رأيتمونا تخطفنا الطيرُ ، فلا تَبرحوا حتى أُرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظَهرنا على القوم ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم .

فهزموهم ، فأنا والله ، رأيت النساء يشتَدِدْن على الجبل ، وقد بدَتْ أسْوقتهن وخلاخيلهن ، رافعات ثيابهن .

---

(١) قال في المصباح : والفرق بفتحتين (فتح الفاء والراء) مكيال . يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . (٢) أرسوه : أقاموه .

فقال أصحابُ عبد الله بن جبير : الغنيمةَ ، ظَهَر أصحابكم فما تنتظرون ؟

قال ابنُ جُبَير : أنسيتم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا : لَنأتينَّ الناسَ ، فَلَنُصيبنَّ من الغنيمة .

فلما أتوهم ، صُرفت وجوههم(١) فأقبلوا منهزمين ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غير اثنى عشر رجلا ، فأصابوا منهم سبعين رجلا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يومَ بدرٍ أربعين ومائة : سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلا .

فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ ثلاثاً .

فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه .

ثم قال: أفى القوم ابن [أبى] قحافة: ثلاثاً. أفى القوم ابن الخطّاب ؟ ثلاثاً :

ثم أقبل على أصحابه فقال : هؤلاء قد قُتلوا ، وقد كُفيتوهم .

فما ملَكَ عمر نفسه أنْ قال : كذبتَ والله يا عدوّ الله ، إنّ الذين عددْتَ لأحياء كلهم ، وقد بَقِى لك ما يسوؤك .

قال : ولم يَسُوؤنى ؟ ثم أخذ يرتجز : أُعْلُ هُبَلْ ، أُعْلُ هُبَلْ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟

فقالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا : « الله مولانا ، ولا مَوْلى لكم » .

---

(١) صرفت وجوههم : تحيروا ، فلم يدروا أين يذهبون .

الباب الرابع عشر

في غزاة حمراء الأسد

• على رأس اثنين وثلاثين شهراً ، وذلك أنهم لما انصرفوا من « أحد » بات الناسُ يُداوون جراحاتهم .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، أمر بلالاً ، فنادى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ، فلا يخرج معنا ، إلا من شهدَ القتال بالأمس .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجهه مشجوج ، وشفته قد كُلمت ، فعسكرَ بـ « حمراء الأسد » ، وذهب العدوُّ ، فرجع إلى المدينة .

الباب الخامس عشر

فى غزاة [بنى] النضير

● على رأس سبعة وثلاثين شهراً . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فـكلّمهم أن يُعينوه فى دية رجلين كان قد أمّنهما ، فقتلهما عمرو ابن أمية ، فقالوا : نفعل .

فقال عمرو بن جحاش : أنا أظهر على البيت ، فأطرح عليه صخرةً .

فقال سَلاّم بن مِشْكم : لا تفعلوا ، فوالله ليُخبَرَنَّ بما هممتم به .

فجاءه الخبر ، فتربّض(١) سريعاً إلى المدينة ، وبعث إليهم :

أن اخرجوا من بلدى ، وقد أجّلتكم عشرةَ أيام . فتجهّزوا .

فأرسلَ إليهم ابنُ أبىّ : لا تخرجوا ، فإن معى ألفين من قومى وغيرهم ، وتُمدكم قُرَيظةُ وحلفاؤكم من غَطفان .

فطمع حُيَيّ فقال : ما نخرج .

[فخرج] إليهم ، وعلىٌّ يحمل رايته ، واستخلَف على المدينة ابنَ أم مكتوم .

فقاموا على حصنهم يضربون بالنَّبل والحجارة .

واعتزلتْهم قريظة ، وخذلهم ابنُ أبىّ وحلفاؤهم ، من غطفان .

فحاصرهم ، وقطع نخلهم .

---

(١) تربض : أوى وعاد .

فقالوا : نخرج من بلادك . فتحمّلوا على ستمائة بعير .

فقال : اخرجوا ، ولكم دماؤكم وما حملت الإبلُ إلا الحَلْقة(١) .

فأخذ منهم خمسين درعاً ، وخمسين بَيْضة ، وثلاثمائة وأربعين سيفاً .

وكان ذلك خالصاً له ، لم يُسْهم منه أحداً .

الباب السادس عشر

فى غزاة بدر الموعد

● وذلك أن أبا سفيان قال — لمَّا انصرف عن أحد — : الموعدُ بيننا وبينكم بدرٌ الصغرى ، رأسَ الحول .

فلما دنا الموعدُ ، كره أبو سفيان الخروجَ .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف وخمسمائة ، وحمل لواءه على بن أبى طالب . وخرجوا ببضائع لهم ، وكانت بدو الصغرى ، سُوقاً يقوم لهلال ذى القعدة ، فانتهوا إليها هلالَ ذى القعدة ، فباعوا وربحوا .

وخرج أبو سفيان حتى بلغ مَرَّ الظَّهران ، ثم رجع ، وقال : هذا عامُ جَدْب .

قال مجاهد : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ »(٢) قال : هذا أبو سفيان ، قال : يا محمد موعدكم بَدْر ، حيث قَتلتم أصحابنا .

---

(١) الحلقة . أى : السلاح بجميع أنواعه .
(٢) سورة آل عمران . الآية ١٧٣

فانطلق النبيُّ صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزلوا بدراً فوافَوا السوقَ ،
فذلك قوله تعالى : « فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ »(١)
والفضل : ما أُصابوا من التجارة . وهي بدرٌ الصغرى .

الباب السابع عشر

غزاة ذات الرقاع

● على رأس سبعة عشر شهراً . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُخبِرَ بأن أ[illegible] قد جمعوا له الجموعَ .

فاستَخْلف عثْمانَ بن عفان ، وخرج حتى أتى محالَّم ، بذات الرِّقَاع ، وهو جبل فيه بُقَع حُمر ، وسواد وبياض .

فرقِيَ الجبل ، فلم يجد إلا نسوةً فأخذهن ورجع .

وقيل : إن بها جاء غَوْرَث بن الحارث وقال : من يمنعك منّي ؟(٢)

---

(١) سورة آل عمران ١٧٤

(٢) سبق ذكر هذا الخبر في الجزء الأول ص ٤٩٤ من هذا الكتاب .

الباب الثامن عشر

في غزوة دومة الجندل

● على رأس تسعة وأربعين شهراً . بلغَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن بها جمعاً كثيراً ، يظلمون مَنْ مرَّ بهم .

فخرج في ألف ، واستخلف سِبَاع بن عُرْفطة .

فهجم على ماشيتهم ، ورِعائهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب ، ورجع إلى المدينة .

الباب التاسع عشر

فى ذكر غزاة المريسيع

• وهو اسم بئر لبنى المُصطَلِق ، وكان سيدهم ، الحارث بن أبى ضِرار ، وكان جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وترامَوا بالنَّبْل ساعةً .

ثم أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ، فحملوا حملةً واحدة .

فقُتل عشرة من العدوّ ، وأُسر الباقون .

ولم يُقتل من المسلمين ، إلا رجل واحد .

وسَبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الرجالَ والنساء ، والذرية والنَّعم .

وكانت الإبل ، ألفَىْ بعير ، والشاء خمسة آلاف ، والسَّبى مائتى أهل بيت .

وجُعلت جُوَيرية بنت الحارث ، فى سهم ثابت بن قيس ، وابن عم له ، فكاتَباها .

وقيل : فى سهم ثابت بن قيس وحده .

فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها ، فأدّى عنها وتزوّجها .

فقال الناس : أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُسْتَرقُّون !

فأعتقوا ما كان فى أيديهم .

الباب العشرون

فى ذكر غزاة الخندق

وهى غزاة الأحزاب .

لمّا أجلَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى النَّضِير ، خرج نفر من أشرافهم إلى مكة ، فألّبوا قريشاً ودعَوْهم إلى الخروج ، واجتمعوا معهم على قتاله ، ثم خرجوا ، فأتوا غطفان و [بنى] سُلَيم ، ففارقوهم على مثل ذلك .

وتجهزت قريش وجمعوا ، فكانوا أربعة آلاف .

وعقدوا اللواء فى دار الندوة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وألفاً وخمسمائة بعير ، وخرجوا[1] يقودهم أبو سفيان .

ووافتهم بنو سُلَيم بمَرّ الظَّهران وهم سبعمائة ، وخرجت معهم بنو أسد .

وخرجت فَزَارةُ وهم ألفٌ ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة .

وخرجت بنو مُرّة ، وهم أربعمائة أيضاً . وكان جميع مَن وافَى الخندقَ من القبائل ، عشرةُ آلاف ، وهم الأحزاب .

فلما بلغَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وصولُهم من مكة ، ندَب الناسَ ، فأشار سَلْمانُ بالخندق ، وعسكرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، إلى سفح سَلْع[2] ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف . وفرغوا من الخندق فى ستة أيام .

---

(١) فى الأصل «وخرجوا» وهو تحريف . (٢) سلع . اسم جبل بالمدينة .

وعمل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده .

• عن البَراء بن عازب قال : لمّا أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، عَرضت لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاولُ .

فشكَوْنا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رآها ، ألقى ثوبَه ، وأخذ المِعْول وقال : « بسم الله » .

ثم ضَرَب ضربةً ، فكسر ثلثها ، وقال :

(الله أكبر أُعطيتُ مفاتيحَ الشام ، والله إني لأُبصر قصورَها الحُمْر الساعة) .

ثم ضرب الثانية ، فقطع ثلثها الآخر . وقال : (الله أكبر أُعطيتُ مفاتيحَ فارس ، والله إني لأُبصر القصرَ الأبيض من المدائن) .

ثم ضرب الثالثة وقال : « بسم الله » فقطع بقية الحجر ، وقال :

(الله أكبر أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن . والله إني لأُبْصِرُ أبواب صنعاء ، من مكاني هذه الساعة) .

قال علماء السِّيَر : كان اشتدّ الخوفُ يومَ الخندق ، وفشل الناسُ ، وخِيفَ على الذَّرارى والأموال ، وطَلَب المشركون مَضِيقاً من الخندق ، يُقْحِمون فيه خيلَهم .

فعبرَ منهم جماعةٌ ، منهم : عمرو بن عبد ودّ . فجعل يدعو إلى البِراز وهو ابن سبعين سنة ، فبارزه عليٌّ فقتله .

فأصبحوا ، فجمعوا كَتيبةً غليظةً ، فيها خالد بن الوليد ، وقاتلوا

إلى الليل . ولم يصلِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، ظهراً ، ولا عصراً وقال :

(شَغلونا عن الصلاة الوسطى ، صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم أو قبورهم ناراً) .

وحُصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بضع عشرة ليلة .

وقيل : أربعا وعشرين !

وكان نُعَيْمُ بن مسعود قد أسلم ، فمشى بين قريش وقريظة ، فخذّل(١) بينهم ، وهبّتْ ريحٌ شديدة .

فقال أبو سفيان لأصحابه : إنكم لستم بدار مُقَام ، قد هلك الخفُّ والحافر ، واختلفت قريظة ، ولقينا من الريح ما ترون ، فارتحلوا ، إلى مرتحل .

وقتل من المشركين يومئذ ، ثلاثة ، ومن المسلمين ، ستة .

---

(١) خذل . أى : فرق بينهم وأحدث فيهم الاختلاف .

الباب الحادى والعشرون

فى ذكر غزاة بنى قريظة

● لمّا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، جاءه جبريل فقال : (إن الله يأمرك أن تسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامدٌ إليهم ، فأزلزل بهم حصونهم) .

● عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا فرغ من الأحزاب ، دخل المغتَسل ليغتسل ، فجاءه جبريل عليه السلام فقال : (أَوَضَعْتُمُ السلاح ؟! ما وضعت الملائكةُ أسلحتها ، وها أنا أَنْهَدُ(١) إلى بنى قريظة) .

قالت عائشة : كأنى أنظر إلى جبريل من خلل الباب ، قد عصّب رأسه العَنان(٢) .

قال علماء السِّيَر : [فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً] يُؤَذِّنُ فى الناس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن لا تصلّوا العصرَ إلا فى بنى قريظة . واستخلَف ابنَ أم مكتوم .

ثم سارَ فى ثلاثة آلاف ، فحاصرهم أشدَّ الحصار ، فأرسَلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أرسلْ إلينا أبا لُبابة ابن عبد المنذر . فأرسلَه ، فشاوروه .

فأشار إليهم بيده : إنه الذبح ، ثم ندم وقال : خُنْتُ الله ورسوله .

---

(١) أنهد : أنهض . (٢) العنان : الغبار .

فربط نفسه فى المسجد ، ولم يأت حتى أنزل الله توبته .

ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم محمدَ بن مَسْلمة ، فَكُتِّفُوا ونُحُّوا ناحيةً ، وعَزَل النساءَ والذرية ، وجُمعت أمتعتهم ، فكانت ألفاً وخَمسمائة سيف ، وثلاثمائة درع ، وألْفَىْ رمح ، وخَمسمائة تُرْس وجُحَفة ، وجِمَالاً(١) كانت نواضح .

وكلَّمت الأوسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَهَبَهم لهم ، وكانوا حُلفاءهم ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحُكْمَ بينهم إلى سعد ابن معاذ ، فحَكَمَ فيهم أن يُقتل كلُّ من حَزَّب عليه ، [وتُغنَم] المواشى ، وتُسْبى النساء والذرارى ، وتُقسم الأموالُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعة)(٢) .

---

(١) الأصل وحماة . وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن سعد .

(٢) الأرقعة : السماوات .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر غزاة بنى لحيان

• وكانوا بناحية غِفَار ، وذلك فى ربيع الأول ، سنة ستٍّ .
فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهربوا فى الجبال .
ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث والعشرون

فى غزاة الغابة

• فى ربيع الأول سنة ست أيضاً . وذلك أن عُيَيْنة بن حصن أغار على لِقَاح(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستاقها وقتل راعيها وجاء الصَّرِيخُ .

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف ابنَ أم مكتوم ، وخلّف سعدَ بن عبادة فى ثلاثمائة ، يحرسون المدينة .

وعقد لواء للمقداد ، وقال : (امض ، فأنا فى أثرك) .

ومضى وراءهم(٢) سلمة بن الأكوع ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له سلمة : يا رسول الله ، إن القوم عِطاش .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَلَكْتَ فأسْجِح(٣) . ورجع .

---

(١) اللقاح : الإبل ذوات اللبن ، القريبة العهد بالولادة .

(٢) أى وراء عيينة بن حصن وقومه .

(٣) أى ارفق وارحم ، وكان سلمة يريد قتلهم .

الباب الرابع والعشرون

فى غزاة الحديبية

● فى سنة ست ، استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا ، وخرج واستخلف ابنَ أم مكتوم ، ولم يخرج بسلاح إلا السيوف فى القُرب ، وساق بُدْناً هو وأصحابه ، فصلى الظهر بذى الحُلَيفة .

ثم دعا بالبُدْن مُجللات(١) ثم أشْعَرها(٢) فى الشق الأيمن ، ثم قلّدها(٣) ، وأشْعَر أصحابهُ ، وهى سبعون بَدنة ، فيها جمل لأبى جهل الذى غنمه يومَ بدر ، وأحرمَ ولبّى .

وبلغ المشركين خروجُه ، فأجمعوا على صَدِّه ، وعسكروا ببَلْدَح(٤) وقدّموا مائتى فارس إلى كِراع الغَميم ، وتقاربوا .

فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ، ثم دنا من [مكةَ(٥)] فبركت به راحلته. فقال المسلمون: حَلْ حَلْ(٦). فزجروها فأبَتْ .

---

(١) جللت : ألبست الجلال جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

(٢) أشعرها : ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة ، فلطخها بالدم ، إشعارا بأنه هدى .

(٣) قلدها : علق فى أعناقها شيئا ، ليعلم أنها هدى .

(٤) بلدح : موضع خارج مكة .

(٥) للمواهب : حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها ، بركت به راحلته .

(٦) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير .

فقالوا : خَلأَت(١) القَصْواء .

قال : ما خلأت وإنما حَبسها حابسُ الفيل ! أما والله لا يَسألونى اليومَ خُطةً فيها تعظيمُ حُرماتِ الله ، إلا أعطيتهم إياها .

ثم زجرها فقامت ، فولّى راجعاً عَوْداً على بَدْء ، حتى نزل بالناس على ثَمَد(٢) من أثماد الحديبية ، قليل الماء ، فانتزَع سهماً من كنانته ، فغرَزه فيها ، فجاشَتْ لهم بالرِّواء ، حتى اغترفوا بأيديهم من البئر .

وجاء بُدَيل بن وَرْقاء فقال : قد جئتك مِن عند قومك ، قد استنفروا لك الأحابيشَ ومَن أطاعهم ، معهم العُوذ المَطَافيل(٣) والنساء والصبيان ، يُقسمون بالله ، لا يُخلون بينك وبين البيت حتى تَستَبيد خضراءهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نأت لقتال أحد ، وإنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صَدّنا عنه قاتلناه .

فرجع بُدَيل فأخبر قريشاً . فبعثوا عروةَ بن مسعود ، فكلمه بنحوٍ من ذلك فأخبر قريشاً ، فقالوا : نَرُدُّه عن البيت فى عامنا هذا ، ويرجع مِن قابل فيدخل ويطوف .

فأرسل عثمانَ بن عفان إلى أهل مكة ، فأخبر أنه قد قُتل ، فبايَع الناسَ بَيعة الرِّضوان تحت الشجرة .

---

(١) خلأت : أى حرنت وبركت من غير علة .

(٢) الثمد : حفرة فيها ماء قليل .

(٣) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن ، معها أولادها . وهى كناية عن النساء معها الأطفال ، ولكنه عطف عليها هنا النساء والأطفال ، فقد يكون أراد بها الحقيقة .

ثم أجمعوا على الصلح وكتبوا :

(هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله وسهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين ، يَأمن فيها الناسُ ، ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه لا سلاسل[1] ولا أغلال ، وأن بيننا عَيْبة[2] مكفوفةً .

وأنه من أحبَّ أن يدخل فى عقد قريش وعَهْدها فعل .

وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه ، ردَّه إليه .

وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمدٍ لم يردُّوه .

وأن محمداً يرجع عامَه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا مِن قابلٍ فى أصحابه فيقيم بها .

ولا يَدْخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر : السيوف فى القُرُب .

شَهد أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبد الرحمن ، وسعد ، وأبو عبيدة ، وابن مَسْلمة ، وحُوَيطب ، وكتَب علىٌّ) .

وكان هذا الكتاب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونُسْخته عند سُهيل بن عمرو .

وخرج أبو جَنْدل بن سُهيل يَرْسُف فى قيوده .

فقال سُهيل : هذا أولُ ما أقاضيك عليه . فردَّه .

ثم نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم هَدْيه ونزل عليه :

« إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً » .

---

(١) ابن هشام : لا إسلال ولا إغلال . والإسلال : السرقة الخفية . فلعل ما هنا تحريف .

(٢) العيبة : موضع السر .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر غزاة خيبر

● خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، فلما وصل دخلوا حصونهم وقاتلوه ، فقتل منهم ثلاثة وتسعين رجلا .

واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلا ، وفتحها حِصْناً حصناً .

وخرج مَرْحَب ، فقتله علىّ . وكان الفتح على يديه .

الباب السادس والعشرون

فى ذكر غزاة الفتح

لمّا تجهّز رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لغزاة الفتح ، أخفَى أمره وقال : (اللهم خُذْ على أبصارهم ، فلا يرونى إلا بَغْتَةً) .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من العرب ، أسْلم وغِفَار ، ومُزَينة ، وجُهينة ، وأشْجع ، وسُلَيم ، وكان المسلمون عشرة آلاف.

واستخلف على المدينة ابنَ أم مكتوم .

وخرج يوم الأربعاء ، لعشر ليال خلَوْن من رمضان ، وعقَد الألوية والرايات بقُدَيد .

ولم يبلغ قريشاً مسيرُه ، فبعثوا أبا سفيان يَجْتَسُّ الأخبارَ ، وقالوا : إنْ لقيتَ محمداً فخذ لنا منه أماناً .

فخرج أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيل بن ورقاء ، فلما رأوا العسكرَ ، فزعوا .

فسمع العباسُ صوت أبى سفيان ، فقال : أبا حنظلة . قال : لبَّيك .

قال : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف .

فأسلَمَ وأجارَه ، ودخل به وبصاحبيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلَما .

وجعل لأبى سفيان : من دخل داره فهو آمن ، ومن أغلَق بابه فهو آمن .

فقال أبو سفيان للعباس : لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيما .

قال : ويحك ! إنه ليس بمُلْكٍ ، ولكنها نُبوّة .

ونَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال .

غير أنه أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة : عِكْرِمة بن أبى جهل فهرب ، ثم استأمنتْ له امرأته ، أمُّ حكيم بنت الحارث ، فأمّنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهَبّار بن الأسود .

وعبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، فاستأمنَ له عثمانُ ، وكان أخاه من الرضاعة .

ومقِيس بن صُبَابة ، قتله نُمَيلة بن عبد الله الليثى .

والحُوَيْرِث بن نُقَيد ، قتله علىٌّ بن أبى طالب .

وأبو عبد الله بن هلال بن خَطَل ، قتله أبو بَرْزة .

وهند بنت عتبة ، فأسلمت .

وسارّة ، مولاة عمرو بن هاشم ، قُتلت ، وقُرَيْبة ، قُتلت .

وفَرْتَنَى ، آمنتْ(١) حتى ماتت فى خلافة عثمان .

وكل جنود رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَلْقَوْا جمعاً غير خالد .

فإنه لقيه صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة ، فى جمع

---

(١) ذكر الزرقانى الخلاف فى ذلك . انظر شرح المواهب ٢/٣١٤ .

من قريش بالخَنْدَمة(١)، فمنعوه من الدخول ، وشَهروا السلاح ، ورمَوْا بالنَّبل.

فصاح خالد فى أصحابه ، وقاتلهم ، فقتل أربعة وعشرين من قريش ، وأربعة من هُذَيل .

فلما ظهر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم أنه عن القتال ؟

فقيل : خالد قوتل فقتل .

وضُربت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبة بالحَجُون، ودخل مكة عَنْوة .

فأسلموا طائعين وكارهين .

فطاف بالبيت على راحلته ، وحول الكعبة ، ثلاثمائة وستون صنماً .

فجعل كلما مرَّ بصنم منها ، يشير إليه بقضيب فى يده ويقول :

(جاء الحق وزهق الباطل) فيقع الصنم لوجهه .

وكان أعظمها ، هُبَل ، وهو تجاه الكعبة .

فجاء إلى المقام ، فصلَّى خلفه ركعتين ، ثم جلس ناحية .

ثم أرسل بلالا إلى عثمان بن أبى طلحة ، أن يأتى بمفتاح الكعبة ، فجاء به ، فقبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفتح الباب ودخل الكعبة ، فصلى فيها ركعتين .

ودعا عثمانَ بن أبى طلحة ، فدفع إليه المفتاح وقال :

خذوها يا بنى أبى طلحة ، خالدةً تالدةً ، لا ينزعها منكم إلا ظالم .

ودفع السِّقَاية ، إلى العباس .

---

(١) الخندمة : جبل بمكة .

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى يومئذ ، ثمانى ركعات ، وأذّن بلال للظهر فوق الكعبة ، وكُسرت الأصنام .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى الكعبة ، صعد الصفا فخطب الناسَ ، فقالت الأنصار بعضهم لبعض :

أمّا الرجلُ ، فأخذته الرأفةُ بقومه والرغبة فى قَرْيته .

فأنزل الله الوحىَ بما قالت الأنصار ، فقال :

يا معشر الأنصار ، تقولون : أما الرجلُ فقد أدركته رأفةٌ بقومه ، ورغبةٌ فى قَرْيته . فمن أنا إذن ! كلا والله إنى عبدُ الله ورسولُه ، معاذ [الله] المحيَا مَحْياكم ، والمماتُ مماتكم .

قالوا : والله يا رسول الله ما قلنا ذلك ، إلا مخافة أن تفارقنا . فقال :

(أنتم صادقون عند الله وعند رسوله) .

قال : فوالله ما منهم إلا من بَلّ نَحْرَه بدموعه .

قال المصنف : لما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ، بايع الناسَ على الإسلام ، ثم تتابع الناسُ .

وكان الفتحُ يومَ الجمعة لعشر بقين من رمضان .

وأقام بها ، خمس عشرة ليلة ، وخرج إلى حُنين ، واستعمل على مكة ، عَتّاب بن أسيد ، يصلى بهم ، ومعاذ بن جبل ، يعلمهم السنن والفقه .

الباب السابع والعشرون

فى غزوة حنين

● وهى غزاة هَوَازن . وحنينٌ وَادٍ بينه وبين مكة ثلاث ليال .

وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا فتح مكة ، مشت هوازن وثقيف ، بعضها إلى بعض ، وحشدوا ، وجمع أمرَهم ، مالكُ ابن عوف النَّصْرى .

فَحلُّوا بأموالهم ونسائهم وإمائهم ، حتى نزلوا أوطاس ، وجعلت الأمدادُ تأتيهم .

وأخرجوا معهم ، دُرَيد بن الصِّمة ، وهو أعمى ، وهو ابن سبعين ومائة سنة يُقَادُ فى شِجَار ، وهو مركب من أعواد يُهيأ للنساء .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فى اثنى عشر ألفاً .

فلما وصل إليهم ، صَفَّ أصحابه صفوفاً ، وركب بغلته الدُّلدل ، ولبسَ درعين ، المِغفَرَ والبَيْضة .

فاستقبلتهم هوازن وحملت حملة واحدة ، فانهزم الناسُ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يا أنصار الله وأنصار رسوله ، أنا عبدُ الله ورسوله) .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العسكر ، وثبت معه أبو بكر وعمر وعلىّ والعباس ، والفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة ابن الحارث وأسامة .

● عن عبد الله بن مسعود قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ حُنين ، فولى عنه [الناسُ](١) وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار .

فنكَصْنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ، ولم نولِّهم الدُّبُر .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، لم يمض قدماً .

فحادت به بغلته ، فمال على السَّرْج ، فقلت له : ارتفع ، رفعك الله .

فقال : ناولنى كفًّا من تراب .

فضرب به وجوههم ، فملأ أعينهم تراباً .

ثم قال : أين المهاجرون والأنصار ؟ قلت : هم أولاء .

قال : اهتف بهم .

فهتفتُ بهم ، فجاءوا وسيوفهم فى أيمانهم ، كأنها الشهب ، وولّى المشركون أدبارهم .

● عن العباس قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حُنَيناً .

فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما معه إلا أنا وأبو سفيان ابن الحارث ، فلزمنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نفارقه ، وهو على بغلة شهباء ، أهداها له فَرْوَة بن نُفَاثة الجذامىّ .

فلما التقى المسلمون والكفار ، وَلّى المسلمون مُدْبِرين .

وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يُركض بغلته قِبَل الكفّار .

قال العباس : وأنا آخِذٌ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكُفّها .

---

(١) من مسند أحمد .

وهو لا يألوُ ما أسرع نحو المشركين ، وأبو سفيان بن الحارث آخذٌ بغَرْز(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس نادِ : يا أصحاب الشجرة .

قال : وكنت رجلا صَيِّتاً فقلت بأعلى صوتى : أين أصحابُ الشجرة ؟

فوالله لكأن عَطْفَتهم حين سمعوا صوتى ، عطفةَ البقر على الأولاد ، فقالوا : يا لبَّيك يا لبَّيك !

وأقبل المسلمون واقتتلوا هم والكفّار .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا حين حَمِيَ الوطيسُ .

ثم أخذ حصيات ، فرمى بهن فى وجوه الكفار وقال : انهزموا وربِّ الكعبة .

فوالله ما هو إلا [أن] رماهم بحصياته ، فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً حتى هزمهم الله تعالى .

وكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته .

• عن أبى عبد الرحمن الفهرى قال :

كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة حنين .

فكنا نسير فى يوم قائظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال الشجر .

فلما زالت الشمس ، لبستُ لَأْمَتى ، وركبت فرسى وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فسطاطه فقلت :

السلام عليك يا رسول الله ، حان الرَّوَاح ؟ فقال : أجل .

---

(١) الغرز : ركاب من جلد .

فقال : « يا بلال » . فثار من تحت سَمُرة كأن ظله ظلُّ طائر ، فقال : لبَّيك وسعديك ، وأنا فداؤك . قال : « أسرجْ فرسى » .

فأخرج سرجاً ، دَفَّتاه من ليف ، ليس فيهما أشر ولا بطر ، فأسرج ، فركب وركبنا .

فصافقناهم عشيَّتنا وليلتنا .

فولّى المسلمون مدبرين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباد الله ، أنا عبدُ الله ورسوله .

ثم اقتحم عن فرسه ، فأخذ كفًّا من تراب :

فأخبرنى الذى كان أدنى إليه منى ، أنه ضَرَب به وجوههم وقال : شاهت الوجوه ؛ فهزمهم الله تعالى .

قال يعلى بن عطاء : فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا :

لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً ؛ وسمعنا صلصلة بين السماء والأرض ، كإمرار الحديد على الطَّسْت الحديد(١) .

• عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ حنين ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، آخذٌ بغَرْز النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

أنا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ   أنا ابنُ عَبدِ الْمُطَّلِبْ

• عن يزيد بن عامر قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

---

(١) رواه الطيالسى فى مسنده ، وأبو داود فى سننه .

حنين قبضة من الأرض ، ثم أقبل بها على المشركين فرمى بها في وجوههم وقال : « ارجعوا » .

فما بقي أحد يلقى أخاه ، إلا وهو يشكو القذى ، ويمسح عينيه .

● عن جُبَير بن مُطْعم قال : لقد رأيتُ قبلَ هزيمة القوم والناس يقتتلون ، مِثْلَ البِجَاد(١) الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فإذا نَمْلٌ أسود مبثوث قد ملأ الوادي ، لم أشكّ أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم .

● قال علماء السِّيَر : نزلت الملائكة يومئذ ، عليها عمائم حمر .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاء وفدُ هَوازن فسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَمُنَّ عليهم فيما أخذ منهم .

وقال رجل منهم من بني سعد بن بكر ، وبنو سعد ، هم الذين أرضعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إنَّا لو مَلَحْنا(٢) للحارث بن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ، لَرجونا عطفه . ثم أنشد :

أُمْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللهِ فِي كَرَمٍ ... فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَدَّخِرُ

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(أيُّما أحبُّ إليكم ؟ أبناؤكم ونساؤكم أم أموالكم ؟) .

فقالوا : نساؤنا وأبناؤنا .

فقال : (أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب ، فهو لكم ، فإذا صلّيتُ بالناس فقولوا :

---

(١) البجاد : كساء مخطط .   (٢) ملحنا : أرضعنا .

إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا .

فسأعطيكم ، وأسألُ لكم) .

فقاموا ، فقال : (أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم) .

فقال المهاجرون : أمّا ما كان لنا ، فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت الأنصار كذلك .

ثم أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجُمعت .

فكان السّبى ستة آلاف رأس ، وكانت الإبل ، أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أربعين ألفاً ، وأربعة آلاف أوقية فضة .

فأعطى أبا سفيان بن حرب ، أربعين أوقية ، ومائةً من الإبل .

فقال : [ابنى معاوية . فأعطاه كذلك] . فقال : ابنى يزيد . فأعطاه كذلك .

وأعطى حكيمَ بن حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مرة أخرى . وأعطى جماعة .

فقال ذو الخُوَيصرة : اعدِلْ ، فإنك لم تعدل .

قال : (ويلك ، إذا لم أعْدل فمن يَعْدل ؟ !) .

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر غزاة الطائف

● خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائفَ ، وكانت ثَقِيف قد حصَّنت حصنها ، وأدخلت فيه ما يُصْلحها لسنَة ، وتهيأت للقتال .

فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريباً من الحصن ، فرمَوا المسلمين بالنَّبل ، فحاصرهم ثمانيةَ عشر يوماً ، ونصَب عليهم المِنْجَنيق ، ونادَى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيّمَا عبد نزل إلينا فهو حُرٌّ) فخرج بضعة عشر رجلا ، ونزل أبو بَكْرة فى بكرة .

ولم يُؤْذَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف ، فرجع .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر غزاة تبوك

● كانت فى رجب سنة تسع .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة وأجلبت معه جُذام ولخم وعاملة وغسّان ، وقدّموا مقدّماتهم إلى البَلْقاء .

فندب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ وأعلمهم المكانَ الذى يريد ليتأهّبوا لذلك ، وبعث إلى مكة وقبائل العرب يستنفرهم وذلك فى حَرٍّ شديد .

وجاء البكّاءون يستحملونه فقال : (لا أجد ما أحملكم عليه) .

وجاء المعذِّرون فاعتذَروا .

واستخلَف على المدينة ، محمدَ بن مَسْلمة .

فتخلّف ابنُ أُبَىّ وأصحابُه ، وتخلّف الثلاثة .

فقدِم تبوكاً فى ثلاثين ألفاً ، ومعه عشرة آلاف فرس ، وأقام بها عشرين ليلة ، ثم انصرف ولم يلْق كيداً ، صلى الله عليه وسلم .

الباب الثلاثون

فى ذكر شعاره فى حروبه

● عن سلمة بن الأكوع قال : كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم : أَمِتْ أَمِتْ .

وقال زيد بن على : كان شعاره : يا منصور أَمِتْ .

● عن المهلّب بن أبى صُفْرة عمن سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (إنْ لقيتم العدو فإنّ شِعاركم : حَم لا يُنْصَرون) .

أبواب سراياه

عليه الصلاة والسلام

• كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يخرج ، بعث السَّرايا .

البابُ الأول

فى عذره عن تخلفه عن السرايا

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لولا أنْ أشُقَّ على المسلمين ، ما قعدتُ خِلَافَ سَرِيَّة تغزو فى سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعَةً فيتّبعونى ، ولا تطيبُ أنفُسهم فيَتخلفون بَعْدى ، والذى نفسى بيده لَوَدِدْتُ أن أغزو فى سبيل الله فأُقتَل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » . أخرجاه .

البابُ الثانى

فى عدد سراياه

• بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستًّا وخمسين سَرِيّة ، فلم نر أن نطيل بذكرها ، وإنما ذكرنا الغزوات لأنه أمرٌ باشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

قال أبو الوفاء بن عَقيل : يقول جُهّال الملحدة : إنّ محمداً بُعِثَ بالسيف . وهذا مُحال ، إنما بُعث بالبراهين والحجج ، فلمّا لم يَقْبلوا ، قُتلوا بالسيف مكانَ عذابِ الله للأمم السالفة .

الباب الثالث

فى وصاياه السرايا

• عن سليمان بن بُرَيدة عن أبيه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميراً على جيش أو سَرِيَة ، أوصاه فى خاصتّه ، بتقوى الله عز وجل ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال :

(اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا مَنْ كفَر بالله ، اغزوا ولا تغلّوا ، ولا تَغْدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا واحداً .

فإذا لقيت عدوّك من المشركين ، فادعهم إلى ثلاث خصال ، فأيّتهن ما أجابوك ، فاقبَلْ منهم ، وكُفّ عنهم .

ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك ، فاقبَلْ منهم ، وكُفّ عنهم .

وادعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم [إن] فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين .

فإن أبَوْا أن يتحوّلوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة أو الفَىْء شىء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين .

فإن هم أبَوْا ، فسَلْهم الجزية ، فإن هم أجابوك ، فاقبَلْ منهم ، وكُفّ عنهم .

فإن هم أبَوْا ، فاستعِنْ بالله عز وجل ، وقاتِلْهم .

وإذا حاصَرْتَ أهلَ حصن ، فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيّه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمةَ أصحابك ، فإنكم أنْ تَخفِرُوا ذمتكم وذمة أصحابكم ، أهْوَنَ من أن تَخفروا ذمة الله عز وجل وذمة رسوله .

وإذا حاصرتَ أهلَ حصن ، فأرادوك أن تُنزِلَهُمْ على حُكْمْ الله ، فلا تُنزِلْهُمْ على حكم الله ، وَلكن أنْزِلْهُمْ على حُكْمك ، فإنك لا تدرى ، أتصيبُ حكم الله فيهم أوْ لا ؟

الباب الرابع

فى إنكاره مالا يصلح من فعل أمير السرايا

● عن سالم عن أبيه قال : بَعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ ابن الوليد إلى بنى جُذَيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يُحْسِنوا أن يقولوا : أسلمنا . فجعلوا يقولون : صَبَأْنا صبأنا .

فجعل خالد يقتل ويَأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيراً .

حتى إذا كان يومٌ ، أمرَ خالدٌ أن يَقتل كلُّ رجل منا أسيره .

فقلت : والله لا أقتل أسيرى ، ولا يقتل رجلٌ من أصحابى أسيره ، حتى قَدِمْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له .

فرفع يده وقال :

(اللهم إنى أبْرَأُ إليك ممَّا صَنع خالد) مرتين .

أبواب مكاتبته الملوك

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه

● بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطِب بن أبى بَلْتعة إلى المقوقس .

فلما وصل ، أكرمه ، وأخذ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب فى جوابه : قد علمتُ أن نبيًّا قد بقى ، وقد أكرمتُ رسولَك .

وأهدى إليه أربع جوارٍ ، منهن : مارية ، وحماراً يقال له عفير ، وبغلةً يقال لها ، الدلدل . ولم يُسْلِم :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ضَنَّ الخبيث بمُلْكه ولا بقاء لملكه .

فقبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته ، واصطفى مارية لنفسه ، فولدت إبراهيم ، ونفق الحمار(١) مُنْصَرَفه من حجة الوداع ، وبقيت البغلة إلى زمن معاوية .

● عن ابن جعفر قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحُدَيبية فى ذى القعدة ، سنة ست من الهجرة ، بعث حاطبَ ابن أبى بَلْتَعة إلى المقوقس ، صاحب إسكندرية ، وكتب معه كتابا يدعوه إلى الإسلام .

فلما قرأ الكتابَ ، قال له خيراً ، وأخذ الكتاب ، وكان مختوماً .

---

(١) نفق . أى : مات الحمار وقت انصرافه من حجة الوداع .

فجعله فى حقّ من عاج ، ودفعه إلى جارية له .

وكتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم جوابَ كتابه ، ولم يُسْلم .

وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مارية ، وحماره يَعفور ، وبغلته دُلْدل ، وكانت بيضاء ، ولم يكن فى العرب يومئذ ، غيرها .

وقد كان المقوقس يعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم حق ، بما سمع من صفاته من أهل الكتاب ، ولكنه لم يؤمن .

وخرج إليه المغيرةُ قَبْل إسلام المغيرة ، فحدّثه بذلك .

• قال المغيرة فى خروجه إلى المقوقس مع بنى مالك ، وأنهم لمّا دخلوا على المقوقس قال : كيف خلَصْتُم إلىّ ، ومحمدٌ وأصحابُه بينى وبينكم ؟

قالوا : لَصِقْنا بالبحر ، وقد خِفناه على ذلك .

قال : كيف صنعتم فيما دعاكم إليه ؟

قالوا : ما تبعه منا رجلٌ واحد .

قال : ولم ؟ قالوا : جاءنا بدينٍ مُحْدَث ، لا تَدِين به الآباء ، ولا يدين به الملِك ، ونحن على ما كان عليه آباؤنا .

قال : كيف صنَع قومُه ؟ قالوا : تَبعه أحداثهم ، وقد لاقاه مَنْ خالفَه مِن قومه وغيرهم من العرب فى مواطن كثيرة ، تكون عليهم الدائرةُ مرّة ، وتكون لهم .

قال أمَا(١) تُخْبرونى ، وتَصْدُقونى إلى ماذا يدعو ؟

قال : يدعو إلى أن نَعْبد الله وحده لا شريك له ، ونَخْلع ما كان يعبد الآباء ، ويدعو إلى الصلاة والزكاة .

---

(١) دلائل النبوة : ألا تخبرونى .

قال : وما الصلاة والزكاة؟[١] أله[٢] وقت يُعرف ، وعدد ينتهي إليه ؟

قال : يُصلُّون في اليوم والليلة خمس صلوات كلُّها لمواقيت وعددٍ قد سموه له ، ويؤدون من كل ما بلغ عشرين مثقالا . ثم أخبروه بصدقة الأموال .

قال : فإذا أخذها أين يضعها ؟

قال[٣] : على الفقراء يردُّها على فقرائهم ، ويأمر بصلَة الرحم ، وإدامة الوفاء بالعهد ، ويحرِّم الربا والزنا والخمر ، ولا يأكل ما ذُبح لغير الله .

قال : هو نبيٌّ مرسَل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبطُ والروم تبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى بن مريم .

وهذا الذي تصفون منه ، بُعث به الأنبياء من قبله .

وستكون له العاقبة ، حتى لا ينازعه أحد ، ويظهر دينُه إلى مُنْتَهى الخُفّ والحافر ، ومنقطَع البحار ، ويوشك قومه يدفعونه[٤] بالرِّماح .

فقلنا : لو دخل الناسُ كلُّهم معه ما دخلنا . فأنغض[٥] رأسَه ، وقال : أنتم في اللعب .

[ثم] قال : كيف نَسَبُه في قومه .

قلنا : هو أوسطُهم نَسباً . .

---

(١) من دلائل النبوة لأبي نعيم ٤٨

(٢) دلائل النبوة : ألها .

(٣) دلائل النبوة : قال : يردها على فقرائهم .

(٤) الدلائل : يدافعونه .

(٥) أنغض رأسه : حركه .

قال : كذلك المسيحُ والأنبياء عليهم السلام ، تُبْعث فى نسَب قومها .

قال : فكيف صِدْقُ حديثه ؟ قلنا : ما يُسمَّى إلا الأمينُ مِنْ صِدْقه .

قال : انظروا فى أمركم ، أترونه يَصْدُق فيما بَينكم وبَينْه ، ويكْذب على الله !

قال : فمن تَبعه ؟ قلنا : الأحداث .

قال : هم ـ والمسيح ـ أتباعُ الأنبياء قبلَه .

قال : فما فعلتْ به يهودُ يثرب ، فهم أهلُ التوراة ؟

قلنا : خالَفوه ، فأوقع بها فقتلهم وسبَاهم ، وتفرقوا فى كل وجه .

قال : هم حَسَدةٌ حسَدوه ، أما إنهم يعرفون من أمره مثلَ ما نعرف .

قال المغيرة : فقمنا مِن عنده ، وقد سمعنا كلاماً ، ذللنا لمحمد وخضعنا .

وقلنا : ملوكُ العجم يصدِّقونه ويخافونه فى بُعْد أرحامهم منه ، ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه ، وقد جاءنا داعياً إلى منازلنا !

الباب الثانى

فى ذكر إرساله إلى قيصر وكتابه إليه

● قالوا : أصبح قيصر يوماً مهموماً ، فقالت له بطارقته : ما هذا الهمُّ ؟

قال : رأيت فى هذه الليلة أن مُلْك الختان قد ظَهر .

قالوا : ما نعلم أنه تختتن إلا يهود ، وهم فى سلطانك فاقتلهم .

فبَيْنا هم فى ذلك من رأيهم ، أتاهم رسولُ صاحب بُصرى برجل من العرب يقوده ، فقال : يا أيها الملك إن هذا من العرب ، يحدِّث عن أمرٍ حدَث ببلاده ، عجيب .

فقال هرقل لترجمانه : سَلْه ما هذا الحدث الذى كان ببلاده .

فقال : خرج من بين أظهُرنا رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ ، فاتبعَه ناسٌ وخالفه آخرون ، وكانت بينهم مَلاحمُ ، فتركتهم على ذلك .

فقال : جرِّدوه . فجرَّدوه فإذا هو مختون .

فقال هرقل : هذا أوانه الذى رأيتُ ، أعطوه ثوبَه . انطلق .

ثم دعا صاحبَ شرطته ، فقال له : قلِّب لى الشام ظهراً وبطناً ، حتى تأتينى برجل من قومِ هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى .

قال أبو سفيان : وكنت قد خرجت فى تجارة ، فهجم علينا صاحبُ شرطته ، فقال : أنتم من قوم هذا الرجل ؟ قلنا : نعم . فدعانا .

• عن عبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام ، وبعث بكتابه مع دِحْية الكلبي ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعه إلى عظيم بُصْرى ، ليدفعه إلى قيصر .

وكان قيصر لمّا كشف الله عنه جنودَ فارس ، مشى من حِمْص إلى إيلياء(١) تُبْسط له الزَّرابى(٢) .

قال ابن عباس : فلما جاء قيصر كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين قرأه : التمسوا لى رجلا من قومه ، أسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عباس : فأخبرنى أبو سفيان بن حرب ، أنه كان بالشام فى رجال من قريش ، قَدِموا تُجَّارًا ، وذلك فى المدة(٣) التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش .

قال أبو سفيان : فأتانى رسولُ قيصر ، فانطلق بى وبأصحابى ، وأدخلَنا عليه ، فإذا هو جالس فى مجلس مُلْكه ، عليه التاج ، وإذا حوله عظماء الروم .

فقال لترجمانه : سَلْهم أيُّهم ، أقربُ نسباً من هذا الرجل ؟ قلت : أنا .

قال : وما قرابتُك منه ؟ قلت ابنُ عمى .

---

(١) إيلياء : مدينة القدس .

(٢) الزرابى : البسط .

(٣) قوله : فى المدة الخ . أى : فى صلح الحديبية حيث اتفق الطرفان – النبى ، وقريش – على الهدنة ووقف القتال مدة عشر سنوات .

قال أبو سفيان : وليس فى الرَّكْب رجلٌ من بنى عبد مناف غيرى .

فقال قيصر : أُدْنُهْ . ثم أمر بأصحابى ، فجعلوا خلفَ ظهرى ، ثم قال لترجمانه :

قل لأصحابه : إنى سائلٌ هذا عن هذا الرجل ، فإنْ كذَبنى ، فكذّبوه .

قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء يومئذ أن يَأْثِر(١) أصحابى عنى الكذب ، لكذَبْتُه حين سألنى ولكنى ، استحيَيْت أن يَأْثروا عنى الكذب ، فصدَقْته عنه .

ثم قال لترجمانه : قل له : كيف نَسَبُ هذا الرجل فيكم ؟

قلت : هو فينا ذو نسب .

قال : فهل قال هذا القول أحدٌ قبله ؟ قلت : لا .

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا .

قال : فهل كان من آبائه مَنْ مَلَك ؟ قلت : لا .

قال : فأشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم .

قال : فيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : لا ، بل يزيدون .

قال : فهل يرتدُّ أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا .

قال : فهل يَغْدر . قلت : لا ، ونحن الآن منه فى مدة(٢) ونحن نخاف ذلك .

---

(١) يأثر . أى : يتحدث أصحابى ويذيعوا أنى كذبت .

(٢) قوله : فى مدة . يعنى : أن قريشا فى هدنة مع النبى .

قال أبو سفيان : ولم تمكنى كلمة أدْخل فيها شيئاً أنتقصه به غيرها ، لأنى أخاف أن يُؤْثَر(١) عنى .

قال : فهل قاتلتموه وقاتلكم ؟ قلت : نعم .

قال : فكيف كانت حربُه وحربكم ؟ قلت : كانت دُوَلاً سِجَالا ، يُدَال(٢) علينا المرّة ، ونُدَال عليه الأخرى .

قال : فيم يأمركم ؟

قلت : يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا .

ويأمرنا بالصلاة والصدق ، والعفاف ، والصِّلة والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة .

قال : فقال لترجمانه : قل له : إنى سألتك عن نسَبه فيكم ، فزعمت أنه فيكم ذو نَسب ، وكذلك الرسل تُبعث فى أنساب قومها .

وسألتك : هل قال هذا القول أحدٌ قبله . فزعمت أنْ لا . فقلتُ :

لو كان أحدٌ قال هذا القولَ قبله لقلت : رجلٌ يتأسّى بقول قيل قبلَه .

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبلَ أن يقول ما قال ؟

فزعمت ، أن لا .

فقد عرفت أنه لم يكن ليَذَر الكذبَ على الناس ، ويكذب على الله .

وسألتك : هل كان مِنْ آبائه من ملَك ؟ فزعمت ، أنْ لا .

---

(١) يؤثر . أى : ينقل عنى .

(٢) قوله : يدال الخ أى : ينتصر علينا مرة وننتصر عليه مرة .

[فقلت : لو كان من آبائه ملِك](١) قلت رجلٌ يطلب مُلْك آبائه .

وسألتك : أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

فزعمتَ أنَّ ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل .

وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟

فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم .

وسألتك : أيرتدّ أحدٌ سَخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فزعمت ، أنْ لا .

وكذلك [الإيمانُ] حين تخالطُ بَشَاشتُه القلوبَ .

وسألتك : هل يَغْدر ؟ فزعمتَ ، أنْ لا . وكذلك الرسل لا تَغْدر .

وسألتك : هل قاتلتموه وقاتلكم ؟ فزعمتَ أنْ قد فعل ، وأنّ حربَه وحربكم تكون دُوَلاً ، يُدَالُ عليكم مرةً ، وتُدَالون عليه أخرى .

وكذلك الرسل ، تُبْتَلى ، ثم تكون لها العاقبة .

وسألتك : بماذا يأمركم ؟

فزعمتَ أنه يأمركم أنْ تعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً .

وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ، ويأمركم بالصدق والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة .

وهذه صفة نبيٍّ ، قد كنت أعلمُ أنه خارجٌ ، ولكن لم أظن أنه منكم .

وإن يكن ما قلتَ حقًّا ، فيوشك أنْ يملك موضعَ قدميَّ هاتين ، والله لو أعلم أنيّ أخْلُص إليه ، لتجشَّمتُ لقاءه ، ولو كنت عنده ، لغَسلتُ عن قدميه .

---

(١) من دلائل النبوة لأبي نعيم .

قال أبو سفيان : ثم دعا بكتاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به فقرئ فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمدٍ عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدَى .

أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، اسْلم تَسْلم ، يُؤتك الله أجرَك مرتين ، فإن تولَّيت ، فعليك إثمُ الأريسيين .

و « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

قال أبو سفيان : فلما قضَى مقالته ، علَت الأصواتُ حوله من عظماء الروم ، وكَثُر لغَطهم ، فلا أدرى ما قالوا ، وأمر بنا فأُخرِجْنا .

قال أبو سفيان : فلما خرجت مع أصحابى وخلصْت قلت لهم :

أَمِرَ(١) أمْرُ ابن أبى كَبْشة ! إنه ليخافه مَلِكُ بنى الأصفر .

قال أبو سفيان : فوالله ما زلتُ ذليلاً مُستَيقناً أن أمره سيظهر : حتى أدخلَ الله فى قلبى الإسلامَ ، وأنا كارِهٌ .

وقد روينا عن الزُّهرى قال : حدثنى أسقفٌ من النصارى ، أن هرقل قدم عليه كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله بين فخذه وخاصرته .

ثم كتب إلى رجل برومية ، وكان يقرأ الكِتابَ العِبْرانىّ ، يخبره الخبر .

فكتب إليه صاحبُ روميّة ، أنه النبى الذى ننتظره لاشك فيه ، فاتّبعه وصدِّقه .

---

(١) أمر : ظهر وارتفع . وابن أبى كبشة : يريد به : الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكان المشركون يسخرون منه بذلك .

فأمر ببطارقة الروم فجُمِعُوا له فى دَسْكَرَة(١) ، وأغلقت أبوابها .

ثم اطّلع عليهم من عُلّيِّة(٢) له وخافهم على نفسه . فقال :

يا معشر الروم ، إنه أتانى كتابُ هذا الرجل ، يدعونى إلى دينه ، وإنه ـ والله ـ لَلنّبى الذى كنا ننتظره ونجده فى كتابنا ، فهَلُمَّ فلنتبعه ، فَنَسْلم لنا دُنْيانا وآخرتنا .

فنَخروا نَخْرَة(٣) رجلٍ واحد ، ثم ابتدروا أبوابَ الدَّسْكرة، فوجدوها قد أغلقت ، فقال ردُّوهم . فقال : يا معشر الروم ، إنما قلت لكم ، لأنظر كيف صَلابتكم فى دِينكم ، فقد رأيتُ الذى أُسَرُّ به .

فوقعوا سُجَّداً له وانطلقوا .

● عن دِحْية بن خليفة قال :

وجّهنى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى ملك الروم وهو بدمشق .

فناولته كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقبّل خاتمه ، ووضَعه تحت شيء كان عليه قاعداً ، ثم نادَى فاجتمع البطارقة وقومُه ، فقام على وسائد ثُبِّتَت له وكذلك كانت فارس والروم ، لم تكن لها منابر .

ثم خطب أصحابَه فقال : هذا كتابُ النبي الذى بشّرنا به المسيح عيسى ، من ولد إسماعيل بن إبراهيم . فنَخَروا نَخْرَةً ، فأومأ بيده : أن اسكتوا .

ثم قال : إنما جرَّبتكم ، لأنظر كيف نُصْرتكم للنصرانية .

---

(١) الدسكرة : بناء كالقصر ،حوله بيوت ، أو بيوت الأعاجم .

(٢) العلية : الغرفة المرتفعة العالية .

(٣) نخروا : مدوا أصواتهم وارتفعت .

قال : فبعث إلىّ من الغد سرًّا ، فأدخلني بيتاً عظيما ، فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر صورة ، فإذا هي صور الأنبياء المرسلين .

قال : انظر أين صاحبُك من هؤلاء .

قال : فرأيت صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، كأنه ينظر ، فقلت : هذا.

قال : صدقت . قال : صورة مَنْ هذا عن يمينه ؟

قلت : رجلٌ من قومه يقال له : أبو بكر الصديق .

قال : فمن ذا عن يساره ؟

قلت : رجلٌ من قومه يقال له : عمر بن الخطاب .

قال : أما إنا نجدُ في الكتاب أنَّ بصاحبيه هذين ، يُتِمُّ الله الدِّين .

فلما قَدِمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرتُه الخبرَ . فقال : صدَق ، بأبي بكر وعمر ، يُتِمُّ الله هذا الدِّين ، ويَفتح(١) .

• وحكى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدِحْية : والله إني لأَعلم أنَّ صاحبك نبيٌّ مُرسل ، وأنه الذي كنا ننتظره : ولكني أخاف على نفسي من الروم ، ولولا ذلك ، لاتبعته .

• وحكى ابن إسحاق عن خالد بن سِنَان ، عن رجل من قدماء الروم ، قال : لما أراد هرقلُ الخروجَ من الشام إلى القُسطنطينيَّة — لما بلغه من أمْر رسول الله صلى الله عليه وسلم — جمعَ الرومَ وقال :

---

(١) لا نستريح إلى هذا الخبر ، في وجود صور للرسول وصاحبيه عند هرقل . والواضح في القرآن ، أن الرسول مذكور عند أهل الكتاب بصفاته فحسب . « يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ » .

إنى عارضٌ عليكم أمراً ، فانظروا . قالوا : ماهو ؟

قال : تعلمون والله [أن] هذا الرجل لنبىٌّ مُرْسلٍ ، نجده فى كتبنا ، نعرفه بصِفته ، فهَلُمَّ نتبعه .

قالوا : تكون تحت أيدى العرب ! قال :

فأعطيه الجزية كل سنة ، أكسر عنّى شوكته ، وأستريح من حربه .

قالوا : نُعْطِى العربَ الذُلَّ والصَّغار ، لا والله .

قال : فأعطيه أرضَ سورِية ، وهى فلسطين والأردن ، ودمشق ، وحمص ، وما دون الدَّرْب .

قالوا : لا نفعل .

قال : أما والله لتَروُنَّ أنكم قد ظَفرتم ، إذا امتنعتم فى مدينتكم .

ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشْرَف على الدَّرْب ، استقبل أرضَ الشام فقال : السلام عليكِ أرضَ سورِيّة ، سلامَ الوداع .

ثم ركض على دخل القسطنطينية .

قال المصنف : وقد بعث أبو بكر ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر .

• عن موسى بن عُقْبة أن هشام بن العاص ونُعَيم بن عبد الله ، ورجلا آخر قد سمّاه ، بُعثوا إلى ملك الروم ، فى زمان أبى بكر ، قال : فدخَلْنا على جَبَلة بن الأيهم ، وهو بالغوطة ، وإذا عليه ثيابٌ سُود ، وإذا كلُّ شىء حوله أسود .

فقال : لبستُ هذه نَذْراً ولا أنزعها ، حتى أخرجكم من الشام كلها .

قلنا : فاتَّئدْ حتى تَمْنع مجلسك ، فوالله لنأخذنّه منك ومن الملِكِ الأعظَمِ ، إن شاء الله تعالى ، أخبرَنا بذلك نبيُّنا صلى الله عليه وسلم .

قال : فأنتم إذاً السُّمراء . قلنا : السُّمراء ؟ قال : لستم بهم .

قلنا : ومن هم ؟ قال : الذين يصومون النهار ويقومون الليل .

قلنا : نحن والله هم . قال : فكيف صَلاتُكم ؟ فوصَفْنا له صَلاتنا .

قال : فوالله لقد غشيه سوادٌ حتى صار وجهه كأنه قطعةُ طابق(١) .

قال : فقوموا ، فأمر بنا إلى الملك ، فانطَلَقْنا .

فلقينا الرسولُ بباب المدينة . فقال : إن شئتم [أتيتكم] ببغال ، وإن شئتم أتيتكم ببرَاذين .

قلنا : لا والله ، لا ندخل عليه إلا كما نحن .

قال : [فأرسل إليه أنهم يأبَوْنَ . قال](٢) فأرسل : أنْ خَلِّ سبيلهم . فدخلنا مُعْتَمِّين متقلدينَ السيوفَ على الرواحل .

فلما كنا بباب الملك ، إذا هو في غرفة له عالية .

فنظر إلينا ، فرفَعْنا رءوسنا وقلنا : لا إله إلا الله .

قال : فالله أعلمُ : لانتقضت الغرفة كلها ، حتى كأنها عِذْقٌ نفضَتْه الريح .

قال : فأرسل إلينا : أنّ هذا ليس لكم أن تجْهروا بدينكم عليّ . وأرسل : أن ادخلوا . فدخلنا .

---

(١) الطابق : ظرف يطبخ فيه .
(٢) من دلائل النبوة : لأبي نعيم .

فإذا هو على فراش إلى السقف ، وإذا عليه ثياب حُمر .

وإذا كل شيء [عنده أحمر وإذا] عنده بطارقة الروم .

وإذا هو يريد أن يكلِّمنا برسول . فقلنا :

لا والله ، لا نكلمه برسول ، وإنما بُعثنا إلى الملك .

فإن كنت تحب أن نكلمك ، فَأْذَنْ لنا ، نُكلِّمْك .

فلما دخلنا عليه ، ضحك ، وإذا هو رجل فصيح يُحْسن العربية .

فقلنا : لا إله إلا الله .

فالله أعلم ، قد انتقض السقفُ حتى رفع رأسه هو وأصحابه . فقال :

ما أَعْظمُ كلامِكم عندكم ؟ قلنا : هذه الكلمة .

قال : التى قلتموها قبلُ ؟ قلنا : نعم .

قال : فإذا قلتموها فى بلاد عدوِّكم ، انتقضت سقوفهم ؟ قلنا : لا .

قال : فإذا قلتموها فى بلادكم ، انتقضت سقوفهم ؟

قلنا : لا ، وما رأيناها فعلَتْ هذا ، وما هو إلا شىء مُيِّزتَ به .

قال : ما أحسنَ الصدق ! فما تقولون إذا افتتحتم المدائن ؟

قلنا نقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر .

قال : تقولون لا إله إلا الله ليس معه شىء ، والله أكبر ، أكبر من كل شىء ؟ قلنا : نعم .

قال : فما يمنعكم أن تحيُّونى تحية نبيكم ؟

قلنا : إن تحية نبينا ، لا تحلُّ لك ، وتحيتك ، لا تحل لنا فنحييك بها .

قال : وما تحيتكم ؟ قلنا : تحية أهل الجنة .

قال : وبها كنتم تحيُّون نبيكم ؟ قلنا : نعم .

قال : فمن كان يورث منكم ؟ قلنا . من كان أقربَ قرابةً .

قال : وكذلك ملوككم ؟ قلنا : نعم .

قال : فأمر لنا بِنُزُل كثير ، ومنزل حسن ، فمكثنا ثلاثاً .

ثم أرسل إلينا ليلا ، فدخلنا عليه ، وليس عنده أحد .

فاستعادَنَا كلامَنا ، فأعَدْنا عليه .

وإذا عنده شِبْه الربعة العظيمة مُذهبة ، وإذا فيها أبواب صغار .

ففتح منها باباً ، فاستخرج منه خرقة حرير سوداء ، فيها صورة بيضاء .

وإذا رجل طِوَالٌ أكثر الناسِ شعراً .

فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا آدم .

ثم أعاده ، وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرةً سوداء ، فإذا فيها صورة بيضاء .

فإذا رجلٌ ضخم الرأس عظيم ، له شعر عظيم كشعر القبط(١) أعظم الناس إليتين أحمر العينين . قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : [لا . قال(٢)] هذا نوح .

ثم أعاده ، وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء . قال : فقلنا : النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الخصائص الكبرى : كشعر القطط .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من دلائل النبوة لأبي نعيم .

قال : والله ، هذا محمد رسول الله . قال : فالله أعلم أنه قام وقعد .

[ثم][١] قال : آلله ، بدينكم ، إنه نبيكم ؟

قلنا : الله بديننا إنه نبينا ، كأنما ننظر إليه حيًّا .

ثم قال : أما إنه كان آخر الأبواب ، ولكني عجلته ، لأنظر ما عندكم .

ثم أعاده وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه خرقة سوداء فيها صورة بيضاء .

فإذا رجل مقلّص الشفتين ، غائر العينين ، مُتراكب الأسنان ، كثُّ اللحية ، عابسٌ .

قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موسى .

وإلى جنبه رجل يشبهه ، غير أن فى عينيه قبلاً[٢] وفى رأسه استدارة .

فقال : هذا هارون .

ثم رفعها ، وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه خرقة سوداء .

فإذا صورة حمراء ، أو بيضاء .

فإذا رجل مَرْبوع أشبه من خَلْق امرأة عجوز[٣] .

قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا داود .

ثم عاد وفتح باباً آخر ، واستخرج منه حريرة سوداء .

---

(١) من دلائل النبوة لأبى نعيم .

(٢) القبل : الحول .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم : أشبه من خلق بامرأة عجيزة ، وخلقاً برجل . وليست فى الخصائص .

وإذا فيها صورة بيضاء .

وإذا رجل راكب على فرس طويل الرجلين [قصير الظهر](١) .

كلُّ شيء منه جناح ، تحفُّه الريح .

قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا سليمان(٢) .

ثم فتح باباً آخر ، واستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء .

فإذا هو شاب ، تعلوه صُفْرَة ، صَلت(٣) الجبين ، حسن اللحية .

قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا عيسى بن مريم .

ثم أعاده وأمر بالربعة فنزعت(٤) .

فقلنا : هذه صورة نبينا قد عرفناها فإنا قد رأيناه ، فهذه الصور التى لم نرها كيف نعرف أنها هى ؟

فقال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه صورة نبىّ [نبىّ](٥) .

فأخرج إليه صورهم فى خِرَق الحرير من الجنة .

فأصابها ذو القرنين فى خزانة آدم ، فى مغرب الشمس :

فلما كان دانيال ، صوّر هذه الصور ، فهى بأعيانها .

---

(١) من دلائل النبوة .

(٢) الأصل : دانيال . وما أثبته عن دلائل النبوة .

(٣) صلت الجبين . أى : الجبين الواضح . اه قاموس . وفى أساس البلاغة : (صلت الجبين : أملس براق) والمراد : جبينه عريض لامع .

(٤) دلائل النبوة : فرفعت .

(٥) من دلائل النبوة : لأبى نعيم ٢٢

فوالله لو تطيب نفسى بالخروج عن مُلكى ، ما باليت أن أكون عبداً [لأشدكم ملكة][(١)] ولكن عسى أن تطيب نفسى .

قال : فأحسن جائزتنا وأخرجنا .

• عن هشام بن العاص قال : بعثنى أبو بكر الصديق ورجل آخر من قريش ، إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام .

فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ، ونزلنا على جبلة بن الأيهم .

فذكر الحديث ، وذكر فيه صفة لوط ، وإسحاق ، ويعقوب ، وإسماعيل ، ويوسف .

فلما قدمنا على أبى بكر ، حدثناه ، فبكى أبو بكر وقال : مسكين ، لو أراد الله به خيراً لفعل .

ثم قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود ، يجدون نَعْتَ محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى : « يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ » .

---

(١) من دلائل النبوة : لأبى نعيم ٣٢

الباب الثالث

فى ذكر إرساله إلى كسرى وكتابه إليه

• عن عبد الله بن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدَ الله بن حُذَافة بكتابه إلى كسرى ، فدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيمُ البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه — يعنى كسرى — مزّقه .

قال ابن شهاب : فحسبت أن المسيَّب قال :

فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يُمزّقوا كل ممزّق .

• عن محمد بن إسحاق قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن حذافة بن قيس إلى كسرى بن هرمز ، ملك فارس ، وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، إلى كسرى عظيم فارس. سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله . أدعوك بدعاية الله . فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافةً ، لأنذر من كان حيًّا ويحقّ القول على الكافرين . فأسلِم تَسْلَمَ ، فإن أبيت ، فإن إثم المجوس عليك » .

فلما قرأ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شقّ كتابه .

ثم كتب كسرى ، إلى باذان ، وهو على اليمن : أن أبعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز من عندك ، رجلين جَلْدَين ، فَلْيأْتيانِى به .

فبعث باذان ، قهرمانه وهو بابويه ، وكان كاتباً حاسباً ، وبعث معه برجل من الفُرْس ، وكتب معهما كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ويلك انظر حال الرجل وكلمه ، وائتنى بخبره .

فخرجا حتى قدما الطائف . فسألا عنه ، فقالوا : هو بالمدينة . واستبشروا وقالوا : قد نصب له كسرى ، كُفيتم الرجل !

فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بابويه وقال : إن شاه شاه ، ملك الملوك ، كسرى ، كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثنى إليك لتنطلق معى .

فإن فعلتَ ، كتبتُ فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ، ويكفُّ عنك به .

وإن أبيت ، فهو من قد علمتَ ، هو مهلكك ، ومهلك قومك ، ومُخرِّب بلادك .

وكانا قد دخلا على رسولِ الله صلى الله علية وسلم ، وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما وقال : ويلكما من أمركما بهذا ؟ ! قالا : أمرنا بهذا ربُّنا . يعنيان : كِسْرى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكن ربى أمرنى ، بإعفاء لحيتى ، وقص شاربى . ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتيانى غداً .

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الله سلّط على كِسرى ، ابنَه شيرويه فقتله فى شهر كذا ، فى ليلة كذا وكذا ، لكذا من الليل .

فلما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما :

إن ربى قتل ربَّكما ليلة كذا وكذا ، لكذا وكذا من الليل .

* سلط عليه ابنه شيرويه فقتله .

فقالا : هل تدرى ما تقول ؟ !

إنا قد نقِمْنا منك ، ما هو أيسر من هذا ، أفنكتب بها ونخبر الملك ؟

قال : نعم ، أخبراه ذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطانى ، سيبلغ ما بلغ مُلْك كسرى ، وينتهى إلى منتهى الخف والحافر ؛ وقولا له :

إنك إن أسلمت ، أعطيتك ما تحت يديك وملّكْتك على قومك من الأبناء(١) .

ثم أعطى رفيقه الآخر مِنْطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك .

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان [فأخبراه] الخبر فقال :

والله ما هذا بكلام مَلك ، إنى لأرى الرجل نبيًّا كما يقول ، ولننظرنّ ما قال .

فلئن كان ما قال حقا ، إنه لنبى مُرْسَل ، وإن لم يكن ، فسنرى فيه رأينا .

فلم يلبث باذانُ ، أن قدم عليه كتابُ شيرويه .

أمّا بعد ، فإنى قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس ، لما كان يستحِلُّ بقتل أشرافهم وَتَجْميرهم فى ثغورهم(٢) .

---

(١) الأبناء : هم بقايا الفرس فى اليمن ؛ الذين كانوا قدموا لإخراج الحبشة منها.

(٢) الأصل : وتجهيزهم فى بنوتهم . وما أثبتنه رواية الطبرى ٢ / ٦٥٦ ومعنى تجميرهم : حبسهم .

فإذا جاءك كتابى هذا ، فخذ لى الطاعة ممّن قِبَلَك ، وانظر الرجلَ الذى كان كسرى كَتِب لك فيه ، فلا تَهِجْه(١) حتى يأتيك أمرى فيه .

فلما انتهى كتابُ ابن كسرى إلى باذان قال : إن هذا الرجل لرسولُ الله. فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس ، من كان منهم [باليمن](٢) .

• عن المقْبُرى قال : جاء فيروز الديلمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إن كِسرى كَتب إلى باذان : أن بلغنى أن فى أرضك رجلا نبيًّا فاربطه وابعث به إلىّ .

فقال : إن ربى غضب على ربك فقتله بنوه(٣) سحر الساعة .

فخرج من عنده فسمع الخبر فأسلم وحَسُن إسلامه .

---

(١) لا تهجه . أى : لا تثره ولا تزعجه .
(٢) عن ابن كثير .
(٣) الأصل : مدمة . وهى تحريف . ولم أجد الخبر .

الباب الرابع

فى ذكر إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى وكتابه إليه

• قال ابن إسحاق : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية ، إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه ، وكَتب معهم :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى النجاشى ملك الحبشة .

إنى أحمد إليكَ الله ، الذى لا إله إلا هو ، الملِك القدُّوس السلام المؤمن المهيمن .

وأشهد أن عيسى بن مريم ، روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتُول الطيبة ، فحملت بعيسى .

وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تتبعنى ، وتؤمن بالذى جاءنى ، فإنى رسول الله .

وقد بعثت إليه إليك ابن عمى جعفراً ، ومعه نفر من المسلمين .

والسلام على من اتبعَ الهدى) .

وكَتب النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشى .

سلامٌ عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، الذى لا إله إلا هو ، الذى هدانى إلى الإسلام .

أما بعد ، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكَرت من أمر عيسى .

فوربِّ السماء والأرض ، إن عيسى عليه السلام ما زاد على ما ذكَرْت ثُفْرُوقاً(١) ، وإنه كما قلت .

وقد عرفنا ما بعثته إلينا ، وقدم ابن عمك أصحابه ، وأشهد أنك رسول الله .

وقد بايعتُك ، وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

وقد بعثت إليك بابنى ، وإن شئت أن آتيك فعلتُ يا رسول الله .

فإنى أشهد ، أن ما تقول حق .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : فذكر لى أنه بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة .

حتى إذا توسطوا البحر ، غرقت بهم سفينتهم ، فهلكوا .

وقال الواقدى عن أشياخه : كَتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابين إلى النجاشى ، يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن .

فأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعه على عينه ، ونزل عن سريره ، وجلس على الأرض تواضعاً ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال : لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته .

وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابته وتصديقه ، وإسلامه على يد جعفر .

(١) الثفروق : قمع التمرة ، أو ما يلتزق به قمعها .

وفى الكتاب الآخر ، يأمره أن يزوجه بأم حبيبة بنت أبى سفيان .

وكانت هاجرت إلى الحبشة ، مع عبيد الله بن جحش الأسدى ، فتنصَّر هناك ومات .

وأمره فى الكتاب ، أن يبعث إليه بمن قِبَله من أصحابه ويحملهم . ففعل ذلك .

● عن أبى قتادة قال : قدم وفدُ النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يخدمهم بنفسه ، فقال له أصحابه : نحن نكفيك .

فقال : إنهم كانوا يُكرمون أصحابى ، فأحبُّ أن أكافئهم .

● عن أبى هريرة قال : نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشى ، اليوم الذى مات فيه ، نخرج إلى المصلى ، فصف أصحابه خلفه ، وكَبَّرَ عليه أرْبعاً .

قالت عائشة رضى الله عنها : لما مات النجاشى ، كُناَّ نتحدث أنه لا يزال يُرَى على قبره نور .

وقد روى لنا أن النجاشى الذى كَتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بالنجاشى الذى صلّى عليه .

● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كَتب إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشى وإلى كل جبار : يدعوهم إلى الله تعالى .

وليس بالنجاشى الذى صلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

الباب الخامس

فى ذكر إرساله إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى، وكتابه إليه

• روى الواقدى عن أشياخه قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاعَ بن وهب الأسدى ، إلى الحارث بن أبى شمر يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً .

قال شجاع : فانتهيت إليه وهو بغوطة دمشق لتهيئة الأنزال والألطاف[١] [لقيصر[٢]] من حمص إلى إيلياء ، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إنى رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا .

وجعل حاجبه — وكان روميًّا — يسألنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكنت أحدّثه عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه ، فيرقّ حتى يَغلبه البكاء ويقول :

إنى قرأت الإنجيل ، فأجد صفة هذا النبى ونَعْتَه ، وأنا أومن به وأصدّقه ، وأخاف من الحارث أن يقتلنى .

---

(١) الأنزال : جمع نزل ، وهو ما يهيأ للضيف . والألطاف : الهدايا .

(٢) من شرح المواهب ٢/٢٥٧

فكان يكرمني ويحسن ضيافتي .

وخرج الحارث يوماً ، فجلس ووضع التاج على رأسه ، فأذن لي عليه ، فدفعت إليه كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقرأه ، ثم رمى به وقال : من ينزع مني مُلكي ؟ ! أنا سائر إليه عليّ بالناس .

فلم يزلْ يعرضُ حتى قام ، وأمر بالخيول [أن] تُنعل[1] .

ثم قال : أخبر صاحبك بما ترى .

[وكتب إلى قيصر يخبره بخبري] فكتب إليه قيصر : أن لا تسرْ إليه والهُ عنه ، ووافِني بإيلياء .

فلما جاء جوابُ كتابه دعاني فقال لي : متى تريد أن تخرج لصاحبك ؟ فقلت غداً .

فأمر لي بمائة دينار ذهباً ، ووصَلني حاجبُه بنفقة وكسوة وقال : اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام .

فقدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : بادَ مُلكه .

ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح .

---

(١) تنعل : تلبس نعالا تبقى حوافرها .

الباب السادس

فى ذكر إرساله إلى هوذة بن على الحنفى وكتابه إليه

● روى الواقدى عن أشياخه قالوا ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَلِيط بن عمرو العامرى إلى هَوْذَة(١) بن على الحنفى ، يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً ، فقدم عليه فأنزله وحبَاه(٢) .

وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب إليه :

ما أحسنَ ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومى وخطيبهم ، والعرب تهاب مكانى ، فاجعل لى بعض الأمر أتبعْكَ .

وأجاز سَلِيط بن عمرو بجائزة ، وكساه ثوباً من نسيج هجر .

فقدم بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره عنه بما قال ، وقرأ كتابه فقال :

لو سألنى سَيَابَةً(٣) من الأرض ما فعلتُ ، بادَ وبادَ ما فى يديه .

فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الفتح ، جاءه جبريل فأخبره أنه مات .

(١) ويروى بضم الهاء ، كما فى الصحاح .
(٢) حباه : أكرمه عند قدمه .
(٣) السيابة : القطعة . وفى القاموس : السيابة : البلح أو البسر ، وهو على تقدير مضاف .

الباب السابع

في ذكر إرساله إلى جبلة بن الأيهم

• كتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم ، ملك غسان يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم لم يزل مسلماً إلى زمن عمر بن الخطاب ، فطاف بالبيت ، فوطئ إزاره رجلٌ من بنى فزارة ، فانحلّ ، فرفع جبلةُ يده فلطمه ، فهشم أنفه .

فاستعدى عليه عمرَ فقال له : إما أن تُرْضِى الرجل ، وإما أن أقيده منك .

قال : إذاً أتنصّر . قال : إن تنصّرْتَ ضربتُ عنقك .

قال : سأنظر فى أمرى الليلة .

فتحمّل فى الليل هو وأصحابه ، حتى أتى القسطنطينية ، فتنصّر ومات على ذلك .

وقد شرحنا قصته فى كتاب « المنتظم » .

الباب الثامن

فى ذكر إرساله إلى ذى الكلاع

● [وكان] ملكا من ملوك الطائف ، واسمه سَمَيْفع(١) بن حَوشب .
وكان قد استعلى حتى ادعى الربوبية .
فكاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على يد جرير بن عبد الله .
ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عَود جرير .
وأقام ذو الكَلَاع على ما هو عليه إلى أيام عمر .
ثم رغِب فى الإسلام ، فوفد على عمر ، ومعه ثمانمائة عبد .
فأسلم هو وعبيده كلهم ، وقال لعمر : لى ذنبٌ ما أظن الله تعالى يغفره .
قال : ما هو ؟ قال : تواريتُ مرةً عمن تعبَّد لى ، ثم أشرفتُ عليهم ، فسجد لى زُهاء مائة ألف .
فقال عمر : التوبة بإخلاص ، يُرْجَى بها الغفران .

● عن علوان بن داود عن رجل من قومه قال : بعثنى قومى بهدية إلى ذى الكَلاع فى الجاهلية ، فمكثت سَنة لا أصِل إليه .
ثم إنه أشرف بعد ذلك ، من القصر ، فلم يره أحد إلاَّ خرَّ له ساجداً .
ثم رأيته بعد ذلك فى الإسلام ، قد اشترى لحماً بدرهم ، فلم يكن معه من يحمله فسَمَطه(٢) على فرسه وأنشأ يقول :

أُفٍّ لِلدُّنيَا إذَا كَانَتْ كَذَا ... كُلَّ يَوْمٍ أَنَا مِنْهَا فِى أَذَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إذَا مَا قِيلَ مَنْ ... أَنْعَمُ النَّاسِ مَعَاشاً قِيلَ ذَا
بَدَّلَتِنى بَعْدَ عِزِّى شَقْوَةً ... حَبَّذَا فِيكَ شَقَاىَ حَبَّذَا

---

(١) فى شرح المواهب : أسميفع ٣/٣٦٧ (٢) سمطه : علقه .

الباب التاسع

في كتاب رسول الله إلى فروة الجذامي

• عن وائل بن عمرو قال : كان فَرْوَة بن عمرو الجذامي عاملا للروم . فأسلم وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه ، وبعث به مع رجل من قومه ، وبعث إليه ببغلة بيضاء ، وفرس ، وحمار ، وأثواب ، وبقَباء سندس محوّص(١) بالذهب .

وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من محمد رسول الله ، إلى فروة بن عمرو ، أما بعد ، فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلتَ به ، وخبَّر عما قِبلك ، وأتانا بإسلامك . قال : وإن الله هداك بهداه) .

وأمر بلالاً فأعطى رسولَه ، اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا(٢) .

وبلغ ملكَ الروم إسلامُ فروة ، فقال له : ارجع عن دينك .

قال : لا أفارق دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنك تعلم أن عيسى بشّر به ، ولكنك تضِنُّ بملكك . فحبسه ثم أخرجه ، فقتله وصلبه .

---

(١) المحوص : المخيط .

(٢) النش : نصف الأوقية .

الباب العاشر

فى ذكر كتاب رسول الله إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى

• كَتَب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما وهما بعُمان ، يدعوهما مع عمرو بن العاص .

قال : فعمدْت إلى عَبْدٍ فقلت : إنى رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك .

قال : أخى المقدَّم علىّ بالسنِّ والملْك ، وأنا أوصلك إليه .

فدخلتُ عليه ، فدفعتُ إليه الـكتابَ مختوماً ، فقرأه فقال :

دعنى يومى هذا وارجع إلىّ غداً .

فرجعت إليه ، فقال : إنى فـكَّرتُ فيما دعوتنى إليه ، فأنا أضعفُ العرب .

إنْ ملَّـكْتُ رجلاً ما فى يدى [وهو لا تبلغ خيله هاهنا ، وإن بلغت خيله ههنا ، ألفتْ قتالاً ليس كقتال من لاقى](١) .

قلت : فإنى خارجٌ غداً .

فلما أصبح ، أرسل إلىّ فأجابَ إلى الإسلام ، هو وأخوه ، وخلّيا بينى وبين الصدقة فأخذتها ، فرددتها فى فقرائهم .

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من شرح المواهب ٣/٣٥٥

الباب الحادي عشر

فى إرساله إلى المنذر

● بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى إلى المنذر ابن ساوَى العبدى بالبحرين .

فكتب المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإسلام والتصديق .

الباب الثانى عشر

فى كتابه إلى ملوك حمير

● عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر قال :

قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مَقْدمه من تبوك ، بإسلام الحارث بن عبد كُلال ، ونُعيم بن عبد كلال ، والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن ، وهَمْدان ، ومعافر .

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، إلى الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن ، وهَمْدان ، ومَعافر .

أما بعد ، فإنى أحمد إليكم الله ، الذى لا إله إلا هو .

فإنه وقع إلينا رسولكم قافلاً من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة .

فبلّغ ما أرسلتم ، وأنبأنا بإسلامكم ، وقتلكم المشركين .

وإن الله تعالى قد هداكم بهدايته ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وأعطيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمس الله ، وخُمس نبيه وصَفيّه ، وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة .

ومن كان على يهوديته ، أو نصرانيته ، فإنه لا يُغَيَّر عنها ، وعليه الجزية .

● وقد كتب وأرسل إلى آخرين ، فاقتصرنا على ما ذكرنا ، والله الموفق .

* * *

قال ابن عقيل : من الدليل على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كاتَبَ كسرى وقيصر وغيرهما ، وأمرُه مع قومه كلهم ما استَتبّ ، فضلاً عن عامة العرب ، ولولا أنه مدفوع إلى المكاتبة ، من جهة مَن إليه حفظُ العاقبة ، لم يفعل ذلك ، فإن ذلك لا يَصْدر عن رأيِ ذى رأيٍ قط .

ثم أفضَى الأمرُ إلى أن قُسمت غنائم كسرى فى مسجده ، وإنما كان يتكلم على ما اطلع عليه من انتشار دعوته وعُلوّها على كل الملْك ، فذاك الذى أطالَ لسانَه(١) على الكل .

فهل يكون فى الاطلاع على الغيب أوْحَى(٢) من هذا ومن الثقة بالمرسِل له .

فهذا الذى لِلعالم أن يستدلّ به على صدقه .

فما أسَخْف عقولَ الشاكِّين فى نبوّته ، مع تَشَعْشُع أنوار صدقه .

---

(١) يريد : أكسبه جرأة وعزة فى الخطاب . (٢) أوحى : أسرع .

أبوابُ ذِكرِ الوفودِ عليهِ

عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

الباب الأول

فى ذكر وفد سعد بن بكر

• عن عبد الله بن عباس قال : بَعَثت بنو سعد بن بَكر ، ضِمَامَ ابن ثعلبة وافداً(١) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقدِم وأناخ بعيره على باب المسجد ، وعقَله .

ثم دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه .

وكان ضمام ، رجلًا جَلْداً ، أَشْعَر ، ذا غَدِيرتين ، فأقبل حتى وقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فقال :

أيُّكم ابنُ عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال : محمد(٢) ؟ قال : نعم .

قال : يا ابن عبد المطلب إنى سائلك ومشدِّد فى المسألة ، فلا تجدَنَّ فى نفسك . قال : (لا أجد فى نفسى سَلْ عما بدا لك) .

قال : أنشدك الله ، إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائنٌ بعدك ، آلله بعثَك إلينا رسولا ؟ قال : (اللهم نعم) .

قال : فأنشدك الله ، إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كانت أوثاناً تُعْبَد من دون الله ؟ قال : (اللهم نعم) .

---

(١) الأصل : وفداً . وما أثبته عن ابن هشام .

(٢) ابن هشام : قال أمحمد ؟

قال : فأنشدك الله ، إلهك وإله من هو كائن قبلك ، وإله من هو كائن بعدك . آلله أمرك أن نُصَلِّىَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال . (اللهم نعم) .

قال : ثم جعل يذكر فرائضَ الإسلام ، فريضةً فريضة ، الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها [يناشده عند كل فريضة منها كما[1]] يناشده فى التى قبلها .

حتى إذا فرغ قال :

فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، لا أزيد ولا أنقص .

ثم انصرف راجعاً إلى بعيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولّى (إن يَصْدُق ذو العَقِيصتيْن[2] يدخل الجنة) .

قال : فأتَى إلى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج ، حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه . فكان أول ما تكلم به أن قال :

بئست اللاتُ والعزّى .

فقالوا : مَهْ[3] ياضمام ، اتق البرصَ والجذام والجنون !

فقال : ويلكم ، إنهما — والله — لا يضران ولا ينفعان .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

(٢) العقيصتين . أى : الضفيرتين . قال فى المختار من الصحاح : عَقْص الشعر : ضفره وليُّه على الرأس وبابه : ضرب (الباب الثانى) اهـ المراد منه .

(٣) مَهْ . أى : اكفف عن هذا الكلام .

إن الله عز وجل قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا ، استنقذكم [به][1] مما كنتم فيه .

وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

وقد جئتكم من عنده ، بما أمركم به ، ونهاكم عنه .

قال : فوالله ما أمسى فى حاضِره رجلٌ ولا امرأة ، إلا مسلما .

قال : يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضلَ من ضِمَام ابن ثعلبة .

(١) من ابن هشام .

الباب الثانى

فى وفد مزينة

• عن كثير بن عبد الله المُزَنى قال : كان أول وفدٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر ، أربعمائة من مُزَينة ، وذلك فى رجب سنة خمس .

فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة فى دارهم وقال :

أنتم مهاجرون حيث كنتم ، فارجعوا إلى أموالكم ، فرجعوا إلى بلادهم .

الباب الثالث

فى ذكر وفد فزارة

● عن أبى وَجْزة السَّعدى قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، قدم عليه وفدُ بنى فَزَارة، بضعة عشر رجلا.

منهم خارجة بن حصن، والحُرُّ بن قيس، على رِكَابٍ عِجافٍ، فجاءوا مُقِرِّين بالإسلام.

وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال أحدهم:

أسْنَتَتْ(١) بلادُنا، وهلكت مواشينا، وأجدبَ جَنابنا(٢) وغَرِثَتْ عيالنا، فادع لنا ربَّك.

فصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر ودعا فقال:

(اللهم اسقِ بلادك وعِبادك، وانشر رحمتك، وأحْيِ بلدك الميت.

اللهم اسقنا غيثاً مُغيثا مَرِيًّا مَرِيعا طَبَقاً(٣)، واسعا، عاجلا غير آجل، نافعاً غير ضار.

اللهم اسقنا سُقْيا رحمة، لا سُقْيا عذاب، ولا هَدْم، ولا غرق، ولا مَحْق.

اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء.

---

(١) أسنتت: أجدبت.

(٢) الجناب: الفناء. وما قرب من محلة القوم وغرثت: جاعت.

(٣) المريع: الخصب. والطبق: الذى يعم الأرض.

فطرت ، فما رأوا السماء سَبْتاً(١) .

فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا وقال :

اللهم حوالَيْنا ولا علينا .

اللهم عَلى الآكام والظِّراب(٢) وبطون الأودية ، ومنابت الشجر .

قال : فانجابَ(٣) السحابُ عن المدينة ، كانجِيَابِ الثوب .

الباب الرابع

فى ذكر وفد تجيب

● عن الحويرث قال : قدم وفدُ تجِيب ، على سول الله صلى الله عليه وسلم ، سنة تسع ، وهم ثلاثة عشر رجلا ، وساقوا معهم صدقات أموالهم .

فَسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقال : مرحباً بكم .

وأكرمَ منزلهم ، وأمر بلالًا ، أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم ، وأعطاهم أكثر مما كان يُجِيزُ به الوفدَ . وقال :

هل بقى منكم أحد ؟

قالوا : غلامٌ خلّفناه على رحالنا ، وهو أحْدَثنا سنًّا .

قال : أرسلوه إلينا .

---

(١) السبت : البرهة .   (٢) الظراب : الجبال الصغار .

(٣) قال فى المصباح : انجاب السحاب : انكشف .

فأقبل الغلامُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى امرؤ من بنى أَبْذَى ، الرهط الذين أتوك آنفا ، فقضيتَ حوائجهم ، فاقض حاجتى .

قال : وما حاجتك ؟

قال : تسأل الله أن يغفر لى ويرحمنى ، ويجعل غِناى فى قلبى .

فقال : اللهم اغفر له ، وارحمه واجعل غناه فى قلبه .

ثم أمَر له بما أمر لرجل من أصحابه .

فانطلقوا راجعين إلى أهليهم ، ثم وافَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم بـ « مِنًى » سنة عشر فسألهم عن الغلام .

فقالوا . ما رأينا مثله ، ولا أقْنَع منه ، بما رزقه الله عز وجل .

الباب الخامس

فى ذكر وفد سعد هذيم وهم من أهل اليمن

• عن فروة بن سعيد عن أبيه عن جده قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه وفدُ أهل اليمن . فقالوا : يارسول الله ، قد أحيانا الله ببيتين من شعر امرىء القيس .

قال : وما هما ؟

قالوا : أقبلنا نريدك ، حتى إذا كنا بموضع كذا وكذا ، أخطأنا الماء فلم نقدر عليه .

فانتهينا إلى موضع طلح وسَمُر .

فانطلق كل رجل منا إلى ظل شجرة ليموت فى أصلها .

فبينا نحن فى آخر رمق ، إذا راكب قد أقبل ، فلما رآه بعضنا ، تمثّل :

وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّهَا　　وَأَنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِى(١)

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ الَّتِى عِنْدَ ضَارِجٍ　　يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِى(٢)

---

(١) الشريعة : مشرعة الماء . والفرائص : جمع فريصة وهما فريصتان ترعدان من الخوف .

(٢) ضارج : موضع ببلاد عبس . والعرمض : الطحلب :

يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء ، خافت على أنفسها من الرماة ، وأن تدمى فرائصها من سهامهم ، عدلت إلى ضارج ، لعدم الرماة على العين التى فيه . اللسان ٣/١٤٩

فقال الراكب : من يقول هذا الشعر ؟ فقال بعضنا : امرؤ القيس .

قال : هذه — والله — ضارج أمامكم ، وقد رأى ما بنا من الجهد .

فرجعنا إليها ، فإذا بيننا وبينها نحواً من خمسين ذراعاً ، وإذا هي كما وصف امرؤ القيس ، عليها العَرْمض ، يَفيء عليها الظلُّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ذاك رجل مشهور في الدنيا ، خامل في الآخرة ، مذكور في الدنيا ، يجيء يوم القيامة ، معه لواء الشعراء ، يقودهم إلى النار)(١) .

الباب السادس

في ذكر وفد محارب

● عن أبي وَجْزة السعدي قال : قدم وفد محارب ، سنة عشر في حجة الوداع وهم عشرة نفر ، منهم سواء بن الحارث ، وابنه خزيمة ، فأسلموا .

ولم يكن أحد أفظَّ ولا أغلظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

وكان في الوفد رجل منهم ، يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الحمد لله الذي أبقاني حتى صدَّقتُ بك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن هذه القلوب بيد الله) ومَسَح وجهَ خزيمة ، فصارت له غرة بيضاء ، وأجازهم كما يجيز الوفدَ ، وانصرفوا .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٢٢٨ . وهو حديث ضعيف جداً .

الباب السابع

فى ذكر وفد بجيلة

● عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قال : قدم جريرُ بن عبد الله البَجَلِىُّ المدينة ، سنة عشر ومعه قومه ، مائة وخمسون رجلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (يَطْلع عليكم من هذا الفجّ ، من خير ذى يمَن ، على وجهه مِسْحة مُلْك) .

فطلع جريرٌ على راحلته ، ومعه قومه ، فأسلموا وبايعوه

قال جرير : وبسط رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده ، فبايعنى وقال : (على أن تشهد أن لا إله إلا الله . وأنِّى رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتنصح للمسلمين ، وتطيع الوالى ، وإن كان عبداً حبشيًّا) قال : نعم ، فبايعته .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسائله عما وراءه ، فقال: يا رسول الله، قد أظهر الله الإسلامَ والأذان وهَدمت القبائل أصنامها، التى كانت تعبدها .

قال : فما فعل ذو الخَلَصة ؟ قال : هو على حاله .

فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هدم ذى الخَلَصة ، وعقد له لواء .

فقال: إنى لا أثبُتُ على الخيل .

فسح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال :

(اللهم ثبِّته ، واجعله هادياً مَهْدِيًّا) .

فخرج فى قومه وهم زُهاء مائتين ، فما أطالَ الغيبة حتى رجع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهدَمْته ؟

قال : نعم، وأحرقته بالنار ، والذى بعثك بالحق، وتركْتُه كما يسوء أهلَه .

فبارَكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على خيل أحمس ورجالها ،

الباب الثامن

فى ذكر وفد نهد

● عن على بن أبى طالب ، أن وفد نَهْدٍ ، قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم طِخْفة بن زهير ، فقالوا :

أتيناك يا رسول الله ، من غَوْرَى تِهامة على أكوار المِيَس ، ترتمى بنا العيسُ ، نستحلب الصَّبير ، ونَستحلب الخبير ، ونَستخيل الرِّهام ، ونَستخيل الجَهام ، من أرض بعيدة المَبْطأ ، غليظة الموْطأ ، قد يبس المُدْهن ، ونَشِف الجِعْثِن ، وسقط الأملوج ، ومات العُسْلوج ، وهلك الهَدَال ، ومادّ الوذى .

بَرِئْنا إليك ، يا رسول الله ، من الوَثَن والعَنَن ، وما يُحْدث الزمَن .

ولنا نَعم همَل أغفال ، ووَقيرٌ قليل الرِّسْل ، كثير الرَّسَل .

أصابتنا سَنة حمراء ، أكْدَى فيها الزرع ، وامتنع فيها الضّرع ، ليس لها عَلل ولا نَهل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم بارك لهم فى مَحْضها ، ومَخْضها ، ومَذْقها ، واحبس الثمر بيانع الثمر ، وافْجُرْ لهم الثَّمَد ، وبارك لهم فى الولد) .

ثم كتب معه كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى نَهْد ، السلام عليكم . من أقام الصلاة ، كان مؤمناً ، ومن آتى الزكاة ، كان مسلما .

ومن شهد أن لا إله إلا الله ، لم يُكتب غافلا .

لكم فى الوظيفة الفَرِيضة ، ولكم الفارض والفَرِيش ، ما لم تُضْمروا إماقاً ، ولم تَقْطعوا رِبَاقًا ، ولم تأكلوا الربا(١) .

فقلت له : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، نحن بنو أب واحد ، ونشأنا فى بلد واحد ، وإنك لتكلم وفودَ العرب بلسانٍ ما يُفهم أكثره .

فقال : (إن الله أدّبنى فأحسنَ أدبى ، ونشأتُ فى بنى سعد) .

• الأكوار : الرِّحَال . والميس : شجر . والصَّبِير : سحاب أبيض متراكب . ونستحلب بمعنى نحصد . والجبير : النبات . وتستخيل السحابة إذا رأيتها فحسبتها ماء مطر ، وتخيّلت السحابة إذا تهيأت للمطر . والرهام : الأمطار الضعاف التى لا تروى الأرض . ونستخيل الجهام فى الموضمين(٢) . والجهام : سحاب لا ماء فيه . والمبطأ : البعد . والمُدْهن : نقرة واسعة تكون فى الجبل تستنقع . والجعثن : أصل النبات . والأملوج : الغصن . والهدال : ضرب من الشجر . وماد : مات . والوذى : الفَسِيل . والممَل : المهمَل بلا راع . والوقير : الشاة براعيها . والرِّسل : اللبن . والرَّسَل : ما يرسل منها إلى المراعى . والسَّنة الحمراء : سنة الجدب . وأكدى : انقطع . والنهل : الشُّرب الأول . والعلل : الثانى . والوظيفة : كل ما يُقدَّر . والفَرِيضة : الهرمة ، وهى الفارض . والفارض : المريضة والقريش : التى وضعت حديثاً كالنفساء من النساء . والإماق : الأنفة . والرباق : جمع ربق ، وهو الحَبْل ، والمعنى : ما لم يقطعوا رباق العهد الذى فى أعناقهم .

---

(١) رواه ابن الجوزى فى العلل ، من وجه ضعيف جادا ، شرح المواهب ٤/ ١٦٢

(٢) كذا . ولعلها : بأحد فى الموضعين .

الباب التاسع

فى ذكر وفد عامر بن صعصعة

● روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ [بنى عامر ، فيهم](١) عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، وجَبَّار بن سلمى(٢) ، وهؤلاء الثلاثة رؤساء القوم [وشياطينهم](٣) . وكان قد قال لعامر قومُه : أَسْلِم ، فإنّ الناس قد أسلموا .

فقال : والله ، لقد كنت آليتُ أن لا أنتهى ، حتى تتبع العرب عَقبى ، فأنا أتبعُ عَقبى هذا الفتى ؟ ! !

ثم قال لأربد : إذا قَدِمنا على هذا الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فاعْلُه بالسيف .

فلما قدموا جعل عامر يكلِّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتظر من أَرْبَد ما أمره ، فلم يُحِرْ شيئاً .

فقال : أمَا والله لَأَمْلَأَنَّها عليك خيلا جُرْداً ، ورجالاً مُرْداً .

فلما ولّى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اللهم اكفنى عامرَ بن الطُّفيل) .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .
(٢) الأصل : وحيان بن سليم ، وهو تحريف .   (٣) من ابن هشام .

فقال عامر لأربد : أين ما أوصيتك به ويلك ؟ قال :

والله ما هممتُ بالأمر ، إلا دخلتَ بيني وبين الرجل ، أفأضربك بالسيف ؟ !

وخرجوا راجعين إلى بلادهم .

فبعث الله الطاعون على عامر فى طريقه ، فقتله الله ، وأرسل على أرْبد صاعقةً ، فأحرقته .

• عن عامر بن الطفيل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَشه وسادة وقال : أَسْلم يا عامر . قال : على أن لى الوبَر ، ولك المدَر .

فأبَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وقام عامر مغضباً وقال :

والله لأملأنّها عليك خيلا جُرْداً ، ورجالا مُرْداً ، ولأربطَنّ بكل نخلة فرساً .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ، لو أسلَمَ وأسلمت بنو عامر ، لزاحمتْ قريشاً على منابرها » .

ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (يا قوم آمنوا) ثم قال : (اللهم اهد بنى عامر ، واشغل عنى عامرَ بن الطفيل بما شئت وأنّى شئت) .

فخرج فأخذته غُدّةٌ(١) مثل غدة البعير ، ومات فى بيت امرأة سَلُولية ، فقال : يا موت ، ابْرز لى .

وأقبل يشتدُّ ويَنْزو(٢) إلى السماء ويقول :

غُدةٌ(٣) كغُدة البعير ، وموتاً(٤) فى بيت سَلُولية !

---

(١) الغدة : طاعون يصيب الإبل . (٢) ينزو : يثب .

(٣) منصوب بعامل مقدر ، أى أغد غدة ، ويجوز رفعه .

(٤) الأصل : ومات ، وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن هشام .

الباب العاشر

فى (ذكر) وفد عبد القيس

● عن ابن عباس قال : إن وفد عبد القيس ، لمّا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرهم بالإيمان بالله ثم قال :

(أتدْرون ما الإيمان بالله ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : (شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتـــاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تُعطُوا الُخمسَ من المغنم) .

أخرجاه .

الباب الحادى عشر

فى (ذكر) وفد بنى حنيفة

• قال ابن إسحاق : حدثنى بعض علمائنا ، أن بنى حنيفة أتوا بمسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترونه بالثياب ، فأقرّ له بالنبوة ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَسِيب(١) من النخل ، فكلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وسأله(٢) فقال : (لو سألتنى هذا العسيبَ ما أعطيتك) .

فلما رجعوا إلى اليمامة ، ارتدّ مسيلمة .

* * *

وقد قدم وفدُ بنى أسد ، ووفد كِلاَب ، ووفد الداريين ، ووفد بنى البكّاء ، ووفد طيىء ، ووفد سُلامان ، ووفد زبيد ، ووفد عبْس ، ووفد خَولان .

وقد ذكر محمد بن سعد فى الطبقات سبعين وفداً ، فلم نُطل ذكرهم ، وإنما ذكرنا من له حديث مُستطرَف .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قدم عليه الوفد ، لبس أحسنَ ثيابه .

---

(١) العسيب : جريدة النخل .

(٢) قوله : وسأله . أى : طلب من الرسول أن يجعل له من الولاية والسلطان ، فأجابه الرسول بما تقدم .

أبوابُ ما جرى بعدَ رجوعه
صلى الله عليه وسلم
من حجة الوداع

الباب الأول

في استغفار رسول الله لأهل البقيع

• قد روينا من حديث أبى مُوَيْهِبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ، فاستغفر لأهل البقيع فى المحرّم ، مَرْجِعَه من حجته .

• عن أبى مُوَيهبة ، مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال :

(يا أبا مُوَيهبة ، إنى قد أُمِرْت أن أستغفر لأهل البقيع ، فانطلق معى) .

فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : (السلام عليكم ، يا أهل المقابر ، لِيَهْنِ لكم ما أصبحتم فيه ، مما أصبح الناسُ فيه ، لو تعلمون ما نجاكم الله منه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخر شرٌّ من الأولى) .

قال : ثم أقبل على أبى مُوَيهبة فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، وخُيِّرت بين ذلك ، وبين لقاء ربى والجنة .

قال فقلت : بأبى أنت وأمى ! فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة .

قال(١) : (يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة) . ثم استغفر لأهل البقيع .

---

(١) الأصل : ثم قال . وما أثبته عن ابن كثير . البداية ٥/٢٢٤

ثم انصرف . فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذى قبضه الله فيه حين أصبح .

• عن أبى مويهبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلّيَ على أهل البقيع ، فصلّى عليهم فى ليلة ، ثلاث مرات ، فلما كانت الليلة الثالثة قال :

(يا أبا مُوَيهبة ، أسرجْ لى دابتى . حتى انتهى إليهم) .

فنزل عن دابته ، وأمسكتُ الدابة ، ووقف عليهم ، أو قام ، ثم قال :

(ليَهْنِكم ما أنتم فيه ، مما فيه الناس . أتت الفتن كقطع الليل المظلم ، يركب بعضها بعضاً ، الآخرةُ شرٌّ من الأولى ، فَلْيَهْنِكُمْ ما أنتم فيه) .

ثم رجع فقال : (يا أبا مويهبة ، إنى قد أعطيت ، أو خُيِّرت ، ما فتح الله على أمتى من بعدى ، والجنة ، أو لقاء ربى) .

قال : قلت : يا رسول ، فاختر . قال : (اخترت لقاء ربى) .

فما لبث بعد ذلك إلا سبعاً أو ثمانياً ، ثم قُبض صلى الله عليه وسلم .

الباب الثاني

في تأميره أسامة بن زيد

قال أهل السِّيَرَ : دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقال : (سِرْ إلى موضع مقتل أبيك ، فأوطئهم الخيل) فعسكر بالجُرُف(١) وخرج في عسكره ، أبو بكر ، وعمر . وسعد ، وسعيد ، وأبو عبيدة ، فتكلم قومٌ وقالوا : يستعمل هذا الغلامَ على المهاجرين الأولين ؟ !

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً .

فخرج وقد عصب رأسه بعصابة ، فصعد المنبر وقال :

أما : بعد . فما مقالةٌ بلغتني عنكم في تأميري أسامة .

ولئن طعنتم في تأميري أسامة ، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله .

وأيم الله ، إنْ كان للإمارة خليقاً(٢) ، وإن ابنه من بعده لخليقٌ للإمارة) .

واشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه .

---

(١) قال في المصباح : الجرف بضم الجيم والراء مخففة : ناحية قريبة من أعمال المدينة على نحو من ثلاثة أميال اهـ ، بتصرف يسير ومثله في لسان العرب والنهاية لابن الأثير .

(٢) خليقا . أي : جديراً وأهلا لها .

الباب الثالث

فى مجىء الخبر بظهور مسيلمة

● قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبى، وقال: إنى أشْرِكتُ معه.

فلما رجع إلى بلدِه كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: سلامٌ عليك.

أما بعد، فإنِّى قد أشْرِكْتُ فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده(١).

(١) فى الأصل زيادة: « وقد أهلكت أهل صنعاء، أقادك الله ومن ضرب معك ». ولم أجدها فى شىء من المراجع، ويبدو أنها مقحمة على الأصل.

الباب الرابع

فى ظهور الأسود العنسى

• كان الأسود يُشَعبذ ، وكان أوّل خروجه ، بعد حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكاتبته مذحج ، وواعده نجران ، وأخرجوا عمرو ابن حزم ، وخالد بن سعيد ، ثم قَوِىَ أمره بمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودانت له سواحل واتقّاه المسلمون ، ثم قتله فيروز .

فأخبر رسولُ الله صلي الله عليه وعلى آله وسلم الناس .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض ، فوضعت فى يدى .

ورأيت فى يدىّ سوارين من ذهب ، فَكَبُرا علىّ ، وأهمنى شأنهما .

فأوحى إلىّ : أن انفخهما . فنفختهما فطارا .

فأوّلتهما ، الكذابَينِ اللذين أنا بينهما : صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة .

الباب الخامس

فى ظهور طليحة بن خويلد بعد الأسود ومسيلمة

• فادعى النبوة ، وتبعه جماعة ، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الموادعة ، ثم تناقض أمره ، ثم أسلم ، وقاتل فى نهاوَنْد ، فقُتل .

أبواب مرضه ووفاته

عليه الصلاة والسلام

الباب الأول

فى أنه سم صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك قال : إن يهوديةً جعلت سمًّا فى لحم ، وأتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكل منه وقال :

(إنها جعلت فيه سمًّا) .

قالوا : يا رسول الله ، ألا نقتلها ؟ قال : لا .

فجعلت أعرف ذلك فى لَهَوَات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرجاه .

• عن أبى هريرة أن امرأة من اليهود ، أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاةً مسمومة ، فقال لأصحابه : (أمسكوا ، فإنها مسمومة) .

ثم قال : ما حملك على ما صنعتِ ؟ قالت :

أردت أن أعلم ، إن كنت نبيًّا فسيطلعك الله على [ذلك] .

وإن كنت كاذباً ، أريح الناس منك .

• عن أبى سلمة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الهدية ولا يقبل الصدقة :

فأهدت له امرأةٌ من يهود خيبر ، شاةً مَصْلية(١) ، فتناول منها ، وتناول بِشْرُ بن البراء .

---

(١) مصلية : مشوية .

فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم : ما حملك على ما صنعت ؟

فقالت : إن كنت نبيًا ، لم يضرك شيء ، وإن كنت ملكا ، أرحتُ الناس منك .

فقال في مرضه : ما زالت الأكلة التي أكلتُ بخيبر ، تُعَادُّني(١) ، فهذا أوان انقطاع أبْهَرِي(٢) .

• عن جابر بن عبد الله قال :

إن يهودية من أهل خيبر ، سَمَّت شاة مَصْلِيَّةً ، ثم أهدتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الذراع ، فأكل منها وأكل الرهطُ من أصحابه معه .

ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : (ارفعوا أيديكم) .

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها فقال لها .

أَسَمَمْتِ هذه الشاة ؟

قالت : نعم ، ومن أخبرك ؟

قال أخبرتني هذه . وفي يده الذراع .

قالت : نعم . قال : فماذا أردتِ إلى ذلك ؟

قالت : قلت إن كان نبيًا ، لم تضره ، وإن لم يكن ، استرحنا منه .

---

(١) تعادني : تراجعني ويعاودني ألم سمها .

(٢) الأبهر . قال في الصحاح : الأبهر : عرق إذا انقطع ، مات صاحبه . وهما أبهران يخرجان من القلب ، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين اهـ .

فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعاقبها .

وتوفى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، الذين أكلوا من الشاة .

واحتجم النبى صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة

حجمه أبو هند ، مولى بنى بيَاضة ، بالقَرْن والشَّفرة .

قال المصنف : اسمُ هذه المرأة التى سَمَّته ، زينب بنت الحارث ، امرأة سلّام ابن مِشكم .

قال محمد بن سعد : والثابت عندنا ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قتلها .

الباب الثانى

فى تقريب أجله له

عن ابن عباس قال : لما نزلت « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال : إنى قد نُعِيتُ إلى نفسى .

فبكت فاطمة .

قال : « لا تبكى ، فإنك أول أهلى بى لحوقاً » . فضحكت .

الباب الثالث

فى عرضه القرآن على جبريل قبل وفاته

عن عبد الله بن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل فى كل رمضان .

فلما كان فى الشهر الذى مات فيه ، عرضه عليه مرتين .

الباب الرابع

فى ابتداء المرض به

● ابتدأ به صُداع فى أواخر صفر ، سنة إحدى عشرة من الهجرة .

قال الواقدى : لليلتين بَقيتا منه . وقال غيره لليلة .

وقيل : بل مُفْتتح ربيع [الأول] .

قالت عائشة : بداية شكواه وهو فى بيت ميمونة ، فخرج فى يومه ، فدخل علىّ فقلت : وارأساه . قال : « بل أنا ، وارأساه » .

ثم رجع إلى بيت ميمونة ، واشتد وجعه ، فاستأذن نساءه أن يُمرّض فى بيت عائشة ؛ فأَذِنّ له فخرج إلى بيتها . تخطُّ رجلاه .

● عن عائشة قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة من البقيع فوجدنى ، وإذا أجد صداعاً وأقول : وارأساه .

قال : وما ضَرَّكِ لو مِتِّ قبلى ؛ فغسلتك ، وكفّنتك ، وصلّيتُ عليك ، ودفنتك .

فقلت : لكأني بك والله ، لو فعلت ذلك ، لرجعتَ إلى بيتي ؛ فعرَّست فيه ببعض نسائك !

قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بدأ به وجعه الذي مات فيه .

• عن عائشة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه : أين أنا غداً ، أين أنا غداً ؟ يريد يوم عائشة .

فأذنَّ له أزواجه ، أن يكون حيث شاء .

فكان في بيت عائشة ، حتى مات عندها ، صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس

في سؤال أبي بكر أن يمرضه

• عن ابن سالم قال : جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ ائذن لي ؛ فأمرّضك : فأكون الذي أقوم عليك .

فقال : « يا أبا بكر ، إني لم أحمّل أزواجي وبناتي علاجي ، إن زادت مصيبتي عليهم عظماً ؛ وقد وقع أجرك على الله تعالى » .

الباب السادس

فى أنه كان يدور على بيوت أزواجه فى مرضه صلى الله عليه وسلم

• عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يُحْمَل فى ثوبه يطاف به على نسائه ، وهو مريض ، يقسم بينهن .

الباب السابع

فى ذكر اشتداد الوجع عليه

• قالت عائشة : جعل يشتكى ويتقلّب على فراشه ، فقلت له : لو فعل هذا بعضُنا ، وجَدْتَ(١) عليه . قال : « إن المؤمنين يُشَدَّد عليهم » .

• عن عبد الله قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعَك ، فمَسَسْته فقلت : يا رسول الله ، إنك لتوعك وعَكاً(٢) شديداً .

قال : « أجَلْ إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم » .

قلت : إن لك أجرين .

---

(١) وجدت . نريد : رقّ قلبك وحزنت عليه .

(٢) وعكا . أى : أذى الحمى ووجعها .

قال : « نعم ، والذى نفسى بيده ، ما على الأرض مُسْلم يصيبه أذًى من مرض فما سواه ، إلا حَطّ الله عنه خطاياه ، كما تحطُّ الشجرةُ ورقَها » .

أخرجاه .

● عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً أشدّ عليه الوجع ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن أبى سعيد الخدرى قال :

جئنا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا عليه صالِبٌ(١) من الحُمّى ، ما تكاد يَدُ أحدنا تقَرّ(٢) عليه من شدة الحُمّى ، فجعلنا نسبّح ، فقال :

« ليس أحدٌ أشدّ بلاء من الأنبياء ، كما يشـدَّدُ علينا البلاء كذلك يُضَاعفُ لنا الأجر » .

فإن قيل : ما وجهُ تشديد البلاء على الأكابر ؟

قال ابنُ عَقِيل : كان له فيهم جواهر مُودَعة ، أحبّ أن يُظْهرها ، ويجعلها حُجَجاً على المتخلّفين عنه ، صبراً على بلائه ، ورضاً بقضائه .

● عن فاطمة عمة أبى عبيدة قالت :

بَيْنا [نحن عند] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نساء نَعُوده ، فإذا سِقاء يَقْطر عليه من شدة ما يجد من الحمى .

فقلنا : يا رسول الله ، لو دعوتَ الله أن يكشف عنك ؟

فقال : « إنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمْثَلُ فالأمْثَلُ » .

---

(١) الصالب : رعدة من الحمى .

(٢) تقر . أى : تثبت .

• عن عائشة أنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت ، وعنده قدح فيه ماء ، فيُدْخل يده فى القدح ، ثم يمسح به وجهه ويقول :

(اللهم أعنِّى على سكرات الموت) .

• عن عائشة أيضاً قالت : رأيتُ(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت ، وعنده قدح فيه ماء ، فيُدْخل يده فى القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ويقول :

« اللهم أعِنِّى على سكرات الموت » .

• عن عائشة قالت : لا أغبط أحداً يُهوّن عليه الموت ، بعدَ الذى رأيتُ من شدة موتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن أنس قال : لما وجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كَرْب الموت ما وجد ، قالت فاطمة : وا كَرْباه لِكَرْبك يا أبتاه .

قال : لا كَرْبَ على أبيك بعدَ اليوم ، إنه قد حضَر من أبيك، ما ليس بتارك منه أحداً إلا الموافاة يومَ القيامة .

(١) الأصل : قال ، وهو تحريف . وما أثبته عن مسند أحمد .

أما بعد ، فإن الأنصار عَيْبَتى[١] التى أويتُ إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم إلا فى حدٍّ .

ألا إن عبداً من عباد الله ، قد خُيِّر بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله) .

فبكى أبو بكر ، وظن أنه يعنى نفسه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : على (رِسْلك[٢] يا أبا بكر) ، سُدُّوا هذه الأبواب الشوارع إلى المسجد ، إلا بابَ أبى بكر ، فإنى لا أعلم امرءاً أفضل عندى غداً فى الصُّحبة ، من أبى بكر .

---

(١) عيبتى . قال فى الصحاح : العيبة : ما يجعل فيه الثياب اهـ .
وفى أساس البلاغة : (ومن المستعار : هو عيبة فلان : إذا كان موضع سره).
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأنصار كرشى وعيبتى » أى : أضع فيهم أسرارى كما تضع البهيمة العلف فى كرشها اهـ المراد منه .

(٢) رسلك . أى : على هينتك . والمراد هنا : تمهل ولا تعجل .

الباب الثامن

فى أمره أن يصب عليه الماء لتقوى نفسه فيعهد إلى الناس

● عن عائشة قالت : لمَّا ثقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدَّ وجعه قال : « هَرِيقوا علىَّ من سَبْع قِرَب ، لم تُحْلَلْ أَوْكِيتهن ، لعلِّى أعهد إلى الناس .

فأجلسناهُ فى مِخْضب(١) لحفصة ، ثم طفقنا نَصُبُّ عليه ، حتى جعل يشير إلينا : أن قد فعلتنَّ . ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم .

● عن عائشة قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه :

(صُبُّوا علىَّ سبعَ قِرَب من سبع آبار شتَّى ، حتى أخرج إلى الناس ، فأعهد إليهم) .

قالت : فأقعدناه فى مِخْضَب لحفصة ، فصبَبْنَا عليه الماء صبًّا أو سَنَنَّا(٢) عليه الماء سَنًّا ، الشك من قِبَل ابن إسحاق .

فوجد راحة ، فخرج وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ، ودعا لهم ، ثم قال :

---

(١) المخضب : المركن وعاء تغسل فيه الثياب .

(٢) سننا : صببنا .

الباب التاسع

فيما يروى أنه اقتص من نفسه

● عن الفضل بن عباس قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرجت إليه ، فوجدته مُوعكا ، قد عصب رأسه ، فقال : (خذ بيدى) . فأخذت بيده ، فانطلق ، حتى جلس على المنبر ، ثم قال : (نادِ فى الناس) .

فلما اجتمعوا ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، إنه قد دنا منى خُلوفٌ من بين أظهركم .

فمن كنت جلَدْتُ له ظهراً ، فهذا ظهرى ، فليستَقِدْ منه .

ومن كنت أخذت له مالاً ، فهذا مالى .

ومن كنت شتمتُ له عِرْضاً [فهذا عرضى][1] فليستقدْ .

ولا يقولن أحد : إنى أخشى الشحناء من رسول الله .

ألا وإنَّ الشَّحْناء ليست من طبيعتى ، ولا من شأنى[2] .

ألا وإن أحبكم إلىَّ ، من أخذ شيئاً كان له ، أو حَلَّلنى فلقيتُ الله ، وأنا طيِّب النفس .

وإنى أرى أن هذا غير مُغْنٍ ، حتى أقومَ فيكم مِرَاراً .

---

(١) عن ابن كثير : البداية والنهاية ٥/٢٣١

(٢) ابن كثير : ليست من شأنى ولا من خلق .

ثم نزل فصلى الظهر ، ثم جلس على المنبر ، فعاد لمقالته الأولى في الشحناء وغيرها .

فقام رجل فقال : إذن ، والله ، لى عندك ثلاثة دراهم .

قال : (يا فضل أعطه) .

ثم قال : أيها الناس ، من كان عليه شيء فليؤدّه ، ولا يقولن رجل : فُضُوح الدنيا ، فإن فضوح الدنيا ، أهْوَنُ من فضوح الآخرة .

فقام رجل فقال : يا رسول الله ، عندى ثلاثة دراهم ، غَلَلتها في سبيل [الله . قال : فلم غلَلْتها ؟ قال :][1] كنت محتاجاً إليها .

قال : خذها منه يا فضل[2] .

● عن عبد الله بن أبى بكر قال :

زحمتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ خيبر ، وفى رجلى نعل كثيفة .

فوطئتُ بها على رِجْل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فنفَحنى نفحةً بسوطٍ في يده وقال : بسم الله ، أوجعْتَنى .

قال فبتُّ لنفسى لائماً أقول : أوجعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فبتُّ بليلةٍ كما يعلم الله .

فلما أصبحوا ، إذا رجل يقول : أين فلان ؟

---

(١) من ابن كثير : البداية والنهاية ٥/٢٣١

(٢) الحديث أخرجه البيهقى في الدلائل . قال ابن كثير : وفى إسناده ومتنه غرابة شديدة .

قلت : هذا والله ، الذى كان منى بالأمس .

فانطلقتُ وأنا متخوِّف ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنك وَطِئتَ بنعلك على رجلى بالأمس ، وأوجعتنى ، فنفَحْتك نَفْحةً شديدة بالسوط ، فهذه ثمانون رأساً من الغنم ، فخذها بها) .

● عن ابن عمر قال : رغَّب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الجهاد ، ذات يوم ، فاجتمعوا عليه حتى غمُّوه وفى يده جريدة قد نزع سِلاها ، وبقيت سلاةٌ لم نرها ؛ فقال : أخِّروا عنى هذا فقد غمَمْتمونى .

فأصاب النبيُّ صلى الله عليه وسلم بطنَ رجل فأدْمَاه .

فخرج الرجل وهو يقول : هذا فِعْل نبيِّك بى .

فسمعه عمر ؛ فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(أحقًّا أنا أصبتُك ؟) قال : نعم .

قال : (فما تريد ؟) . قال : أريد أن أستَقيد منك .

فأمكنه من الجريدة ؛ فكشف عن بطنه .

فألقى الجريدةَ من يده ، وقبَّل سُرَّته وقال :

هذا أردتُ ، كَيْما يَنْقَمِعُ الجبَّارون مِن بعدك !

● عن أبى سعيد الخدرى قال :

كان رجل من المهاجرين ، وكان ضعيفاً .

وكانت له حاجةٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأراد أن يَلقاه على خَلاء فيسأل حاجته .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معسكراً بالبطحاء ،

وكان يجيء من الليل، فيطوف بالبيت.

حتى إذا كان وجهُ السَّحر، صلّى بهم صلاة الغداة.

قال: فحبسه الطوافُ ذات ليلة حتى أصبح.

فلما استوى على راحلته، عَرض له الرجل؛ فأخذ بخطام ناقته؛ فقال:

يا رسول الله، لى إليك حاجة.

قال: إنك ستدرك حاجتك. فأبى.

فلما خشى أن يحبسه؛ خفَقه بالسوط؛ ثم مضى فصلّى بهم صلاة الغداة.

فلما انفتل أقبَل بوجهه على القوم؛ وكان إذا فعل ذلك؛ عرفوا أنه قد حدث أمر؛ فاجتمعوا حوله فقال:

أين الذى جلدتُ آنفاً؟ فأعادها. إنْ كان فى القوم فليقم.

قال: فجعل الرجل يقول: أعوذ بالله؛ ثم برسوله!

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أُدْنُهْ أُدْنُهْ) حتى دنا منه.

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وناوله السوطَ وقال: (خذ بمَجْلدك فاقتصّ).

فقال: أعوذ بالله أن أجْلدَ نبيَّه!

قال: (إلا أن تعفو). قال: فألقَى السوطَ. وقال: قد عفوتُ يا رسول الله.

فقام إليه أبو ذَر فقال: يا رسول الله؛ تذْكر ليلةَ العقبة؛ وقد كنت أسوق بك وأنت نائم.

وكنت إذا سُقْتها أبطأتْ ، وإذا أخذتُ بخطامها اعترضَتْ .

فخفقتُك خَفْقَةً بالسوط وقلتُ : قد أتاك القومُ .

وقلتَ : لا بأس عليك .

خذ يا رسول الله ، فاقتصّ .

قال : قد عفوتُ . قال : اقتصّ ، فإنه أحبُّ إليّ .

فجلَده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلقد رأيته يتضوّر(١) من جَلْد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله ، فوالله لا يَظلم مؤمنٌ مؤمناً إلا انتقم الله منه يومَ القيامة .

● عن محمد بن عمر قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير الطائف إلى الجِعْرانة ، وأبو زُنَيم إلى جنبه ، على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو زُنيم : فوقع حرفُ نعلي على ساقه فأوجعه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أوجعتَني ، أخّر رجلك) .

وقرع رجلي بالسوط ، فأخذني ما قدّم وما أخّر ، وخشيت أن ينزل فيّ قرآنٌ ، لِعظيم ما صنعت .

فلما أصبحنا بالجِعْرانة ، خرجت أرعى الظَّهر ، وما هو يومي ، فرَقاً(٢) أن يأتي للنبيّ صلى الله عليه وسلم رسولٌ يطلبني .

---

(١) يتضور . قال في المختار من الصحاح : التضور : الصياح والتلوى عند الضرب أو الجوع اهـ ومثله في الأساس .

(٢) فرقا . أي : خوفاً .

فلما روَّحت الركاب ، سألت فقالوا : طلبك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فَجئت وأنا أرتقب فقال :

(إنك أوجعتني برجلك ، فقرعتُك بالسوط فأوجعتُك ، فخذ هذه الغنم ، عوضاً من ضربتي) :

قال : فَرِضَاه عني ، كان أحبَّ إليَّ من الدنيا وما فيها .

قال : وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه ، يستَنْفِرهم ، لما أراد تبوكاً .

الباب العاشر

فى مدة مرضه وأمره أبا بكر

أن يصلِّيَ بالناس

• كانت مدة مرضه اثنى عشر يوماً . وقيل : أربعة عشر يوماً . وكان يخرج إلى الصلاة . إلا أنه انقطع ثلاثة أيام ، وقال : مروا أبا بكر ، فَلْيُصَلِّ بالناس .

• عن عائشة قالت : لما ثَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءه بلال يُؤْذِنه(١) بالصلاة ، فقال : مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجلٌ أَسِيف(٢) وإنه متى يقوم مَقامك لا يُسمع الناسَ ، فلو أمرتَ عمرَ ؟

قال : مروا أبا بكر ، فليصلِّ بالناس .

قالت : فقلت لحفصة : قولى له .

فقالت له حفصة : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجلٌ أَسِيف ، وإنه متى يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت عمر ؟

قال : إنكن صواحبُ يوسف ، مروا أبا بكر ، فليصلِّ بالناس .

---

(١) يؤذنه . أى : يعلمه ويخبره بدخول وقت الصلاة .

(٢) أسيف . يعنى : يغلبه البكاء والحزن . قال فى الصحاح : الأسيف والأسوف : السريع الحزن الرقيق اهـ المراد منه .

قالت : فأمروا أبا بكر ، فصلى بالناس .

فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ، خِفّةً لمّا دخل أبو بكر في الصلاة .

فقام يُهادَى بين رَجُلين ، ورِجْلاه تخطّان في الأرض ، حتى دخل المسجد .

[فلما سمع] أبو بكر حسه ، ذهب ليتأخر .

فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن قُمْ كما أنت .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً ، وأبو بكر قائماً .

يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والناسُ يقتدون بصلاة أبي بكر .

أخرجاه .

● عن أنس بن مالك أن أبا بكر كان يصلّي بهم ، في وجع النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي توفي فيه .

حتى إذا كان يوم الاثنين ، وهم صفوف في الصلاة ، كشف النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، سِتر الحجرة ، ينظر إلينا وهو قائم ، كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسّم .

فهمَمْنا أن نَفتتن من الفرح ، برؤية النبي صلى الله عليه وسلم .

فنكص أبو بكر على عَقِبيه ، ليَصلَ الصفَّ .

وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة ، فأشار إليهم : أن أتمّوا صلاتكم .

وأرخَى الستر ، وتوفى من يومه صلى الله عليه وسلم(١) .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

الباب الحادي عشر

في كونه أراد أن يكتب لأبي بكر كتاباً

ثم لم يكتب

● عن عائشة قالت : لمّا ثَقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن أبي بكر : (إيتني بكتف ، أو لوح ، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً ، لا يُخْتلَف عليه .

فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال : يأبى الله ، والمؤمنون ، أن يُخْتلَفَ عليك ، يا أبا بكر(١) .

وقد روى أنه أراد أن يكتب كتاباً ، ولم يذكر أبا بكر .

● عن عبد الله بن عباس قال :

لمّا حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الوفاةُ قال :

هلمَّ أكتُبْ لكم كتاباً ، لن تضلُّوا(٢) بعده . وفي البيت رجال ، منهم عمر بن الخطاب .

فقال عمر(٣) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اشتدَّ عليه الوجعُ ، وعندكم القرآن ، حَسْبُنا كتابُ الله .

---

(١) قال ابن كثير : انفرد به أحمد من هذا الوجه .

(٢) البخاري : لا تضلوا .

(٣) البخاري : فقال بعضهم .

فاختلف أهلُ البيت ، واختصموا .

ومنهم من يقول : يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من قال ، مثلَ ما قال عمر .

فلما أكثَروا اللَّغطَ(١) والاختلافَ ، وغمُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : (قوموا عنى) .

وكان ابن عباس يقول : إن الرزيّة كلّ الرزيّة ، ما حالَ بينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبَيْنَ أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، فى اختلافهم ولغطهم .

الباب الثانى عشر

فى ذكر إخراجه شيئا من المال كان عنده

● عن سهل بن سعد قال : كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير ، وضعها عند عائشة ، فلما كان فى مرضه قال :

يا عائشة ، ابعثى الذهب الذى [عندك إلى] علىّ . ثم أغمِىَ عليه .

وشَغل عائشةَ ما به ، فبعثت به إلى علىّ ، فتصدّق به .

ثم أمسَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين فى جديد الموت .

فأرسلت عائشة إلى امرأة من النساء بمصباحها فقالت :

(١) البخارى : اللغو والاختلاف . واللغط : فيه رفع صوت واختلاف بين المتكلمين .

اقطرى لنا فى مصباحى ، من عُكَّتِك السمن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسَى جديداً(١) .

● عن المطلب بن حَنْطَب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة وهى مُسْنَدتُه إلى صدرها :

يا عائشة ، ما فعلت تلك الذُّهَيْبة ؟ قالت : هى عندى .

قال : أنفقيها . ثم أغمى عليه .

فلما أفاق قال : هل أنفقتِ تلك الذُّهَيْبة ؟ قالت : لا .

فدعا بها فوضعها فى كفه ، ثم عدَّها ، فإذا هى ستة ثم قال :

(ما ظنُّ محمدٍ بربه ، أنْ لو لقى الله وهذه عنده !) .

فأنفقها كلها ، ومات فى ذلك اليوم ، صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث عشر

فى عتقه عبيده عند الموت

● عن سهل بن يوسف ، عن أبيه عن جده ، قال :

أعتق النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، أربعين نفساً .

---

(١) جديداً : مشرفا على الموت .

الباب الرابع عشر

فى إعلامه ابنته فاطمة بموته

● عن عائشة قالت : أقبلت فاطمةُ عليها السلام تمشى ، كأن مشيتها مِشْيةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مرحباً بابنتى .

ثم أجلَسها ، ثم إنه أسرَّ إليها حديثا ، فبكت .

فقلت لها : استخصَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه ، ثم تبكين !

ثم إنه أسرَّ إليها حديثا ، فضحكت ، فقلت :

ما رأيتُ كاليوم فرحاً ، أقرب من حزن !

فسألتها عما قال ، فقالت :

ما كنت لأفشى سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى [إذا] قُبض سألتها ، فقالت :

إنه أسرَّ إلىَّ فقال : (إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة ، وإنه عارضنى مرتين ، ولا أراه إلا قد حضر أجَلى ، وإنك أولُ أهل بيتى لحوقاً بى ، ونعم السَّلفُ أنا لك) .

فبكيت لذلك . ثم قال :

(ألا ترضين أن تكونى سيدةَ نساء هذه الأمة ، أو نساء المؤمنين ؟) .

قالت : فضحكتُ لذلك .

أخرجاه فى الصحيحين .

الباب الخامس عشر

في استعماله السواك قبل موته

● عن عائشة أنها كانت تقول : مِن نِعَم الله عليّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سَحْري ونَحْرَي[1] .

وأن الله جمع بين ريقي وريقه ، عند موته .

دخل عليّ عبدُ الرحمن ، وبيده سواك ، وإني مُسْندته إلى صدري ، فرأيته ينظر .

فعرفتُ أنه يحب السواك .

فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه ، أي : نعم .

فليّنْته ، فأخذه فأمَرّهُ ، وبين يديه رَكْوة أو علبة ، يشك عمرو ، فيها ماء .

فجعل يُدخِلُ يديه في الماء ، فيمسح بهما وجهه ويقول :

(لا إله إلا الله ، إنّ للموت سَكرات) .

ثم نَصب يده فجعل يقول : (في الرّفيق الأعلى) . حتى قُبض .

ومالت يده صلى الله عليه وسلم .

(١) السحر : الرئة . أي : أنه مات مستنداً إلى صدرها .

الباب السادس عشر

فى أنه خير بين البقاء والموت

• عن بشر بن سعيد قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ فقال : (إن الله عز وجل خَيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله) .

فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه ، أن أَخْبَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المخيَّر ، وكان أبو بكر ، أَعْلمنا به .

• عن عائشة قالت : كنت أسمع أن لا يموت نبيٌّ حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة . قالت :

فأصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بُحَّةٌ شديدة فى مرضه ، فسمعته يقول :

(مع الذين أنعمَ الله عليهم من النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً) فعلمت أنه خُيِّر .

الباب السابع عشر

فى جمعه أصحابه وإيصائهم

● عن ابن مسعود قال : نعى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر ، بأبى هو وأمى ، ونفسى له الفِداء .

فلما دنا الفراق ، جمعنا فى بيت أمنا عائشة ، فقال :

(مرحباً بكم ، حيّاكم الله ، رفعكم الله ، حفظكم الله ، جبَرَكم الله ، رزقكم الله ، نفعكم الله ، آواكم الله ، وقاكم الله) .

أوصيكم بتقوى الله، وأوصى الله بكم ، وأستخلفه عليكم ، وأحذّركم الله .

إنى لكم منه نذيرٌ مبين ، أن لا تَعْلُوا على الله فى عباده وبلاده ، فإنه قال لى ولكم :

« تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »(١) وقال : « أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ »(٢) .

قلنا : ، يارسول الله ، متى أجَلُك ؟ قال :

(دنا الفراقُ ، والمُنْقَلبُ إلى الله ، وإلى جنة المأوى ، وإلى سِدْرة المنتهى ، وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ ، والعيش الأهنَى) .

---

(١) سورة القصص ٨٣ . (٢) سورة الزمر ٣١ .

قلنا : رسول الله من يغسلك ؟ قال : رجالُ أهل بيتى ، الأدْنى، فالأدنى.

قلنا : يا رسول الله ، فيم نكفّنك ؟ قال :

(فى ثيابى هذه ، إن شئتم ، أو ثياب مصر ، أو فى حلة يمنية) .

قلنا : يا رسول الله ، من يصَلِّى عليك ؟ فبكى وبكينا ، فقال :

مهلًا ، رحمكم الله ، وجزاكم عن نبيكم خيراً ، فإذا أنتم غسلتمونى وكفنتمونى ، فضَعُونى على سريرى هذا ، على شَفير قبرى فى بيتى هذا ، ثم اخرجوا عنى ساعة ، فإنّ أول من يصلِّى علىّ ، حبيبى ، وخليلى ، جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملَك الموت فى جنود من الملائكة .

ثم ادخلوا علىّ فَوْجاً فوجا ، فصلُّوا علىّ وسلّموا تسليما .

ولا تُؤْذونى بباكية ، ولا مُرِنّة .

وَلْيَبْدَأْ بالصلاة علىّ ، رجالُ أهل بيتى ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم بعدُ .

واقرأوا السلام على من غاب عنى من أصحابى وعلى من يتبعنى على دينى ، إلى يوم القيامة) .

قلنا . يا رسول الله فمن يُدْخلك القبر ؟ قال :

(أهلى مع ملائكة كثير ، يرونكم حيث لا ترونهم) . —

الباب الثامن عشر

فى وصيته بالصلاة عند موته

• عن أنس قال : كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حَضره الموتُ . (الصلاة وما مَلكت أيمانكم) حتى جعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُغَرْغر بها فى صدره، وما يُفيض بها لسانه .

• عن أنس قال : كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُغَرْغر بها فى صدره ، وما يكاد يُفيض بها لسانه :

(اتقوا الله ، الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم) .

الباب التاسع عشر

فى أنه ما أوصى به من الدنيا

● عن طلحة قال : قلت لعبد الله بن أبى أوْفَى :

« أوصَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا .

قلت . كيف أمرَ المؤمنين بالوصية ولم يوصِ ؟

قال : أوْصَى بكتاب الله » أخرجاه .

● عن عائشة قالت : ما تركَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ، ولا درهما ، ولا شاةً ، ولا بعيراً ، ولا أوصى بشىء .

أخرجه مسلم .

الباب العشرون

فى تحذيره أن يتخذ قبره مسجدا

● عن ابن عباس وعائشة قالا : لمّا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، طَفِق يطْرَح خَمِيصَةً له على وجهه فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه .

فقال وهو كذلك : (لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتَّخَذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذّر مثل(١) ما صنعوا .

---

(١) البخارى : يحذر ما صنعوا .

الباب الحادي والعشرون

في تردد جبريل إليه قبل موته بثلاثة أيام برسالة من الله يسأل عن حاله

• عن أبي هريرة، أن جبريل، أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قُبض فيه فقال: إن الله يُقرِئك السلامَ ويقول لك: كيف تجدك؟ قال: (أجدني — يا أمين الله — وَجِعًا).

ثم جاء من الغد فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: كيف تجدك؟ قال: (أجدني — يا أمين الله — وَجِعًا).

ثم جاء اليوم الثالث، ومعه ملَك الموت فقال:

يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك. كيف تجدك؟ قال:

أجدني — يا أمين الله — وَجِعًا، مَنْ هَذا معك؟ قال: ملَك الموت، وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك، وآخر عهدك بها؛ ولن أسأء على هالكٍ بعدك من بني آدم، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك.

فوجد النبي صلى الله عليه وسلم سَكْرةَ الموت، وعنده قدح؛ فيه ماء. وكلما وجد سكرة الموت؛ أخذ من ذلك الماء؛ فمسَّ به وجهه وهو يقول: (اللهم أعنِّي على سكرات الموت)(١).

---

(١) ذكره البيهقي في الدلائل، وأشار إلى ضعفه. شرح المواهب ٥/٣٢٩.

● عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال :

لمّا بقى من أجَل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثٌ ، نزل عليه جبريل فقال :

يامحمد ، إن الله تعالى أرسلنى إليك ، إكرامًا لك ، وتفضيلًا لك وخاصةً .

يسألك عما هو أعلمُ به منك :

كيف تجدك ؟ قال : (أجدنى — يا جبريل — مغمومًا .

وأجدنى — يا جبريل — مكروبًا) .

فلما كان اليوم الثانى ، هبط جبريل فقال :

يا محمد إن الله تعالى أرسلنى إليك ، إكراماً لك ، وتفضيلا لك .

يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟

فقال : أجدنى — يا جبريل — مغمومًا .

وأجدنى — يا جبريل — مكروباً .

فلما كان فى اليوم الثالث ، نزل جبريلُ ، وهبط معه ملَك يقال له إسماعيل يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ، ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض ، وهو على سبعين ألف ملك ، فسبقهم جبريل وقال :

يامحمد إن الله أرسلنى إليك ، إكراماً لك وتفضيلا لك ، وخاصة لك .

يسألك عما هو أعلم به منك ، يقول لك :

كيف تجدك ؟ قال : أجدنى مغموماً ، وأجدنى مكروباً .

ثم استأذنَ ملك الموت ؛ فقال جبريل : يا محمد ، هذا ملك الموت ؛ يستأذن عليك ، ولم يستأذن على آدمى كان قَبلك ، ولا يستأذنُ على آدمى بعدك .

قال : ائذن له .

فدخل ملك الموت ، فوقف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، إن الله أرسلنى إليك ، وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمرنى .

إن أمرتنى أن أقبض نفسك ، قبضتُها .

وإن أمرتنى أن أتركها تركتها .

قال : وتفعل يا ملك الموت ؟

قال : بذلك أمرت أن أطيعك فى كل ما أمرتنى .

قال جبريل : إن الله قد اشتاق إليك .

قال : فامض يا ملك الموت ، لما أُمرتَ به .

فقال جبريل : السلام عليك يا رسول الله ، هذا آخر مَوْطئى الأرضَ ، إنما كنتَ حاجتى من الدنيا . فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

---

(١) الحديث أخرجه البيهقى فى الدلائل ، والطبرانى والشافعى وإسناده معضل . شرح المواهب ٥/٣٢٩ .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر معاتبته نفسه على كراهية الموت

● عن أبى الحُوَيرث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَشْتَكِ شكوى إلا سأل الله العافية ، حتى كان فى مرضه الذى توفى فيه ، فإنه لم يَدْعُ بالشِّفاء ، وطفِق يقول : (يا نفس مالكِ تَلُوذين كلّ مَلَاذ !) .

● عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعوِّذ نفسه بهذه الكلمات (أَذْهِب البأس ربَّ الناس ، اشْفِ أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك لا يغادرُ سَقَمًا) .

قالت : فلما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ، أخذتُ بيده ، فجعلت أمسحه بها وأقولها ، فنزع يده منى ثم قال :

(ربِّ اغفر لى وألحقنى بالرَّفيق) فكان هذا آخر ما سمعتُ من كلامه .

أخرجاه .

الباب الثالث والعشرون

فى صفة خروج روحه الطاهرة

صلى الله عليه وسلم

● عن عائشة قالت : قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ورأسُه بين سَحْرى و نَحْرى ، فلما خرجتْ نفسُه ، لم أجد ريحاً قط ، أطيب منها .

الباب الرابع والعشرون

فى صفة الثياب التى توفى فيها

● عن أبى بُرْدة قال : أخرجتْ إلينا عائشة كِساء مُلبَّداً ، وإزاراً غليظاً فقالت : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين .

أخرجاه .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر وقت موته

• توفى صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين نصف النهار ، وربما قيل : عند اشتداد الضحى ، لاثنتى عشرة خلَتْ من ربيع الأول ، سنة إحدى عشرة .

• عن عائشة قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين .

الباب السادس والعشرون

فى أن الناس شكوا فى موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن أبى سلمة ، أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرَس من مسكنه بالسُّنْحِ حتى نزل فدخل المسجدَ ، فلم يكلِّم الناسَ حتى دخل على عائشة .

فتيمَّمَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو مُغَشًّى بثوب حِبَرَة .
فكشف عن وجهه ، ثم أكبَّ عليه ، فقبَّله وبكى ، ثم قال :
بأبى أنت وأمى ! والله ، لا يجمع الله عليك موتتَيْن .
أمَّا الموتة التى كُتبتْ عليك(١) فقد مِتَّها .

(١) الأصل : عليها . وهو تحريف .

قال : وجعلت أمُّ أيمن تبكي ، وقالت : ما أبكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون أعلم أنه قد ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا .

ولكني أبكي على خبر السماء كيف انقطع !

● عن أنس قال : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين .

فقام عمر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ، ولكن ربَّه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فمكث عن قومه أربعين ليلة .

وإني لأرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدى رجال المنافقين ، وألسنتهم ، يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمات .

● عن أنس قال : [لما] دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أضاء منها كلُّ شيء .

فلما كان اليوم الذى مات فيه ، أظلمَ منها كل شيء .

وما نفضْنا الأيدى من تراب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أنكرْنا قلوبَنا !

الباب السابع والعشرون

فى ذكر مبلغ سنه
صلى الله عليه وسلم

● عن ابن عباس قال : توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاثٍ وستين سَنة .

أخرجاه فى الصحيحين .

● عن أنس بن مالك قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين[1] وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على رأس ستين سنة .

● عن دَغْفَل بن حنظلة أن النبى صلى الله عليه وسلم قُبض ، وهو ابن خمس وستين سنة .

قال المصنف : الصحيح الأول ، ومن قال ستين ، أراد أعشارَ الستين ، فالإنسان قد يقول : سنّى أربعون . ويكون قد زاد عليها ، إلا أن الزيادة لم تبلغ عَشْراً .

(١) الصحيح أنه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس ، أن أبا بكر خرج ، وعمر بن الخطاب يكلمُ الناسَ فقال : اجلس يا عمر . فأبَى عمر أن يجلس.

فأقبلَ الناسُ إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر :

أمّا بعدُ : فمن كان يَعْبد محمداً ، فإن محمداً قد مات .

ومن كان يَعْبد الله ، فإنّ الله حيٌّ لا يموت . قال الله تعالى :

« وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسُل »(١) إلى قوله : « الشاكرين » .

قال : والله ، لَكَأَنّ الناسَ لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية ، حتى تلاها أبو بكر فتلاها الناسُ كلهم ، فما أسمع بَشَراً من الناس إلا يَتْلوها .

وأخبرنى سعيد بن المسيّب أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها ، فعَقِرْتُ ، حتى ما تُقِلُّنِى(٢) رجلاى ، وحتى أهويت(٣) إلى الأرض حين سمعته تلاها أخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

انفرد البخارى بإخراجه .

وأخبرنا أبو محمد الدارمىّ قال : فعُقرتُ(٤) حتى ما تُقلّنى رجلاى ، وحتى أهويتُ إلى الأرض ، حين سمعته تلاها .

● عن ابن عباس قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين . فَحُبس بقيةَ يومه وليلته والغد ، حتى دفن ليلة الأربعاء .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) ما تقلنى . أى : لا تحملنى .

(٣) أهويت . أى : سقطت على الأرض .

(٤) فعقرت . أى : فقدت رجلاى القوة من شدة الدهش فسقطت على الأرض.

وقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمُتْ ، ولكنه عُرج بروحه كما عُرج بروح موسى .

فقام عمر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَمُتْ ، ولكنه عُرج بروحه ، كما عُرج بروح موسى ، والله لا يموت رسول الله ، حتى يقطّع أيدى أقوام وألسنتهم .

فلم يزَل عمر يتكلم ، حتى أزْبد شِدْقاه ، مما يُوعِد(١) ويقول .

فقام العباس فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ، وإنه لبَشر وإنه ليأسن(٢) كما يأسن البشر .

أىْ قوم ، فادفنوا صاحبكم ، فإنه أكرمُ على الله من أن يُميتَه إماتتين .

أيميت أحدَكم إماتةً ، ويميته إماتتين ؟ ! هو أكرمُ على الله من ذلك .

أىْ قوم ، فادفنوا صاحبكم ، فإن يك كما تقولون ، فليس بعزيز على الله أن يبحث(٣) عنه التراب .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، حتى ترك السبيلَ نَهْجاً واضحاً وأحلَّ الحلالَ ، وحرَّمَ الحرامَ ، ونكح ، وطلّق ، وحارب ، وسالم .

ما كان راعى غنم يَتْبع بها رءوسَ الجبال ، يَخْبط عليها العضاه ، ويَمْدُر حَوْضَها(٤) بيده ، بأنصَب ، ولا أدْأبَ من رسول الله كان فيكم .

أى قوم . فادفنوا صاحبكم .

---

(١) يوعد . أى : يهدد . (٢) يأسن : يتغير .

(٣) يبحث : يكشف .

(٤) يمدر الحوض : يسد خصاص حجارته بالمدر . وفى الأصل : يمدر حيضها والتصويب من طبقات ابن سعد ٥٣/٤ ط ليدن .

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر ما خلف وحكمه

صلى الله عليه وسلم

• عن عمرو بن الحارث أخو جُوَيْرِية بنت الحارث ، خَتَن(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ، ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ، ولا أمة ، ولا شاةً ، إلا بغلته البيضاء ، وأرضاً جعلها صدقة .

• عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا نُورَث ، ما تركْنا صدقة) .

• عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تَقْسم ورثتى ديناراً ولا درهماً ، ما تركتُ — بعدَ نفقةِ نسائى ومُؤنة عاملى — فهو صدقة) .

• عن أبى بكر الصديق ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لا نورَث ، ما تركْنا صدقة) .

---

(١) ختن . أى : أخو زوجة النبى ، جويرية .

قال فى المختار من الصحاح : الختن : كل من كان من قبل المرأة ، مثل الأب والأخ . وهم الأختان . هكذا عند العرب .

وأما العامة فختن الرجل — عندهم — زوج ابنته . اهـ .

• عن عمر بن الخطاب أنه قال لسعد ، وعبد الرحمن ، والزبير : أَنْشُدكم(١) بالله ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا نورَث ما تركْنا صدقةٌ)؟ قالوا : نعم .

فقال للعباس وعليّ أيضاً ، فقالا مثل ذلك .

وقد روى محمد بن سعد عن محمد بن سهل بن أبي حَثْمة قال :

كانت صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النَّضير [وهى(٢)] سبعة : الأعراف ، والدلال ، والمِيثَب ، وبُرقة ، وحُسْنَى ، ومَشْربة أم إبراهيم .

[وإنما سميت مشربة أم إبراهيم ، لأن أم إبراهيم مارية(٣)] كانت تنزلها ، وكان ذلك المال لسَلّام بن مِشْكم النَّضِيرى .

وقال عمر بن الخطاب : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صَفَايا ، وكانت بنو النَّضير حبساً لنوائبه ، وكانت (فَدَك) لابن السبيل ، وكانت خيبر لمُؤْنَة أهله ، وكان الخُمُس قد جَزَّأه ثلاثة أجزاء : فجزآن للمسلمين ، وجزء كان ينفق منه على أهله ، فإن فَضَل فَضْلٌ ردّه على فقراء المهاجرين(٤) ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أنشدكم . أى : أسألكم بالله .

(٢) من طبقات ابن سعد ١٨٣/٢ ليدن .

(٣) من طبقات ابن سعد ١٨٣/٢ ليدن .

(٤) الخبر ، فى الطبقات لابن سعد ١٨٣/٢ ليدن .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر غسله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لما اجتمع القومُ لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى البيت إلا أهلُه : عمُّه العباس ، وعلى بن أبى طالب ، والفضل بن العباس ، وقُثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وصالح مولاه ، اجتمعوا لغسله ، نادى من وراء الباب أنسُ بن خَوْلى الأنصارى — وكان بدريًّا — عليًّا بن أبى طالب . فقال :

يا علىّ . أنشدك الله حقّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له علىّ : ادخل .

فدخل ، فحضر غسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَلِ من غسله شيئاً .

قال : فأسنَده علىٌّ إلى صدره وعليه قميصه ، وكان العباس والفضل ، وقُثَم . يَقلبونه مع علىّ .

وكان أسامة ، وصالح ، يصُبَّان الماء ، وجعل علىٌّ يغسله .

ولم يرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، مما يراه من الميت(١) ، وهو يقول : بأبى وأمى ! ما أطيبك ، حيًّا وميتا !!!

• عن عائشة قالت : لما أرادوا غسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) أى : لم ير عورته .

قالوا : والله ما ندرى ، أنجرِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرِّد مَوْتانا أم نغسله وعليه ثيابه ؟

فلما اختلفوا ، أرسل الله عليهم السِّنَة(١) حتى – والله – ما من القوم رجل إلا وذقنه فى صدره نائما .

قالت : ثم كلَّمهم من ناحية البيت هاتفٌ ، لا يَدْرون من هو .

فقال : اغسلوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه ثيابه .

قالت : فقاموا إليه ، فغسلوه وعليه قميصه ، يُفاض(٢) عليه الماء والسِّدْر ، ويدلِّكه الرجال بالقميص .

وكانت تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ، ما غسَل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه .

● عن جعفر بن محمد قال : كان الماء يَسْتنقع(٣) من جفون النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان علىٌّ يَحْسوه(٤)

● عن ابن عباس قال : جعل علىّ عليه السلام يغسل النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يَرَ منه شيئاً مما يراه من الميت ، وهو يقول :

ما أطْيبك حيًّا وميتا !

● عن على ، أنه غسل النبى صلى الله عليه وسلم .

فعصر بطنه فى الوسطى ، فلم يخرج شىء فقال :

---

(١) السنة : النعاس . أى : ألقى عليهم النعاس واستغرقوا فى النوم .
(٢) يفاض . أى : يصب عليه .
(٣) يستنقع : يجتمع .
(٤) يحسوه . أى : يشربه .

بأبى أنت وأمى ، طيِّباً فى الموت ، وطيباً فى الحياة .

● عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال :

غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علىٌّ ، والفضل ، والعباس ، وأسامة بن زيد .

وغُسل ثلاثَ غسلات ، بماء وسِدْر ، من بئر لسعد بن خيثمة ، كان يشرب منها .

وفى رواية : ويقال لتلك البئر : العرس .

● عن الحسن قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدوا فى ثيابه نافِجَة(١) مِسْك ، فطيِّبت بها ثيابُه .

---

(١) النافجة : وعاء المسك .

الباب الثلاثون

فى ذكر كفنه صلى الله عليه وسلم

● عن ابن عباس قال : لما غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جفّفوه ، ثم صُنع به كما يُصْنَع بالميت ، ثم أُدْرِج فى ثلاثة : ثوبين أبيضين ، وبُرْد حِبَرة .

● عن ابن عمر قال : كُفِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب ، ثوبين سُحُولِيّين[1] وبُرْد حِبَرة .

● عن عائشة قالت : كُفِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سُحُولِيّة ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

---

(١) السحولية : منسوبة إلى سحول ، قرية باليمن ، أو إلى السحول وهى الثياب القصار .

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

• عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : صُلِّيَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام ، يدخل المسلمون زُمَرًا(١) يُصَلُّون عليه ويخرجون .

فلما صلّوا عليه ، نادَى عمر : خَلوا الجنازة . وأهلَها .

• عن سهل بن سعد الساعِدى ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أُدْرج في أكفانه ، ووضع على سريره .

فكان الناس يصلون عليه رُفقاً رُفَقاً(٢) ، لا يؤمُّهم عليه أحدٌ .

دخل الرجال ، فصلّوا علية ، ثم النساء .

• عن الحسين قال : غسّلوه صلى الله عليه وسلم وكفّنوه وحنّطوه ، ثم وضع على سريره ، فدخل عليه المسلمون أفواجاً ، يدخلون ، فيصلون عليه ، ثم يخرجون ، ويدخل آخرون حتى صلّوا كلهم عليه .

---

(١) زمراً . أى : جماعات . مفرده : زمرة . أى : جماعة .

(٢) رفقا . أى : جماعات جماعات .

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر موضع قبره
صلى الله عليه وسلم

• عن ابن جُرَيج قال : أخبرني أبي ، أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يَدْروا أين يَقبُرُون النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال أبو بكر :

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم يُقبَرْ نبيٌّ إلا حيث يموت .

فأخّروا فراشه ، وحفروا له تحت فراشه .

• عن عائشة قالت : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختلفوا في دفنه .

فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ما نسيته .

قال : (ما قبض الله نبيًا ، إلا في الموضع الذي يحب أن يُدفن فيه) .

ادفنوه في موضع فراشه .

• عن أبي بكر الصديق قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما قُبض نبيٌّ إلا دُفن حيث يُقبض .

• عن عائشة قالت : لما مات النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : أين ندفنه ؟ فقال أبو بكر : في الموضع الذي مات فيه .

• عن عبد الرحمن بن سعيد بن يَرْبوع، قال :

لمّا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختلفوا فى موضع قبره .

قال قائل : بالبَقِيع ، فقد كان يُكثِرُ الاستغفار لهم .

وقال قائل : عند منبره .

وقال قائل : فى مُصَلّاه .

فجاء أبو بكر فقال :

إن عندى من هذا خَبرا وعلماً ، سمعتُ النّبى صلى الله عليه وسلم يقول :

(ما قُبض نبىٌّ إلا دفن حيث توفى) .

• عن عائشة أنها قالت لأبى بكر : رأيت فى المنام ، كأن ثلاثة أقمار سقطن فى حجرتى .

فقال أبو بكر : خيرٌ .

قال يحيى (١) : فسمعت الناس يتحدثون ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا قُبض ، دفن فى بيتها .

فقال أبو بكر : هذا أحدُ أقمارك .

• عن عائشة قالت : لما قُبض النبى صلى الله عليه وسلم ، اختلفوا فى دفنه .

فقالوا : أين يُدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال علىٌّ : إنه ليس فى الأرض بقعةٌ أكرم على الله من بقعة قُبِضَ فيها نفس نبيه ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هو يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب . طبقات ابن سعد ٧١/٣ ليدن .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر لحده

● عن ابن عباس قال : لمّا اجتمعوا لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا العباسُ رجلين فقال : ليذهبْ أحدكما إلى أبى عبيدة بن الجراح . (وكان أبو عبيدة يَضْرح(١) لأهل مكة) .

ولْيَذْهَبِ ، الآخر إلى أبى طلحة (وكان أبو طلحة يَلْحد(٢) لأهل المدينة) .

قال : ثم قال العباس حين سرّحهما : اللهم خيْر(٣) لنبيك .

فلم يجد صاحبُ أبى عبيدة ، أبا عبيدة .

ووجد صاحبُ أبى طلحة ، أبا طلحة .

فلحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن جرير بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحدوا ولا تشقُّوا ، فإن اللحدَ لنا والشق لغيرنا) .

● عن عامر بن سعد [بن أبى وقاص ، أن سعداً حين حضرته الوفاة قال(٤)] : الحدوا [لى](٤) لحدًا ، وانصبوا علىَّ اللَّبِن نصباً ، كما صُنع برسول الله صلى الله عليه وسلم . انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) يضرح : يحفر الضريح ، وهو الشق ، وسط القبر .

(٢) يلحد : يشق اللحد ، وهو الشق يكون فى عرض القبر .

(٣) قوله (خير) لعلها (خر) بكسر الخاء وحذف الياء من الوسط .
أى : اختر لنبيك خير الرجلين لهذا العمل . هذا ما تدل عليه معاجم اللغة .
وما تقتضيه القواعد النحوية ومنه يعلم أن ما فى الأصل تحريف . والله أعلم .

(٤) من صحيح مسلم ، وطبقات ابن سعد ٢٤/٣

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر ما نزل فى قبره

● عن ابن عباس قال : جُعل فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء . قال وكيع : هذا للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة .

● عن الحسن قال : جُعل فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء كان أصابها يومَ خيبر . قال : جعلوها لأن المدينة ، أرضها سَبِخة .

الباب الخامس والثلاثون

فى ذكر وقت دفنه
صلى الله عليه وسلم

● عن جعفر بن محمد قال : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين .

فمكث ذلك اليومَ وليلة الثلاثاء ، ودُفن من الليل .

● عن عائشة قالت : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوتَ المساحى ليلة الثلاثاء فى السَّحَر .

● عن جابر بن عبد الله قال : رُشَّ على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر الذين نزلوا قبره
صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عمر قال : نزل فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : علىٌّ ، وعباس ، وعَقِيل بن أبى طالب ، والفضل ، وشُقْران :

• عن أبى عَسِيب ، أنه شهد الصلاةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : كانوا يدخلون من هذا الباب ، فيصلون عليه ، ثم يخرجون من الباب الآخر .

فلما وضع فى لحده قال المغيرة : قد بقى من رجليه شىء لم يصلحوه .

قالوا : فادخل فأصلحه .

فدخل ، وأدخل يده ، فمسَّ قدميه ، وقال : أهيلوا علىَّ التراب .

فأهالوا عليه ، حتى بلغ أنصاف ساقيه ، ثم خرج .

فكان يقول : أنا أَحْدَثكم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر قبره صلى الله عليه وسلم وصاحبيه

اعلم أن قبره وقبر صاحبيه ، فى صُفّة بيت عائشة رضى الله عنها .

وقد اختلفت الرواية فى صفة قبورهم ، فَرُوِىَ أنها على هذا الشكل :

رسول الله	عمر
أبو بكر	

ورَوَى آخرون ، أنها على هذا الشكل :

رسول الله
أبو بكر
عمر

وقد اختلفت الرواية هل هو مُسَنَّم(١) أو مسطَّح ، فَرُوِىَ الصُّنعان جميعاً .

---

(١) التسنيم : ضد التسطيح .

الباب الثامن والثلاثون

فى فضل قبره عليه الصلاة والسلام

● عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حَجَّ فزار قبرى بعد موتى ، كان كمن زارنى فى حياتى(١) .

---

(١) هذا الحديث موضوع وأحاديث زيارة قبره صلى الله عليه وسلم كلها ضعيفة جداً لا يعتمد على شىء منها فى الدين ولهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن شيئاً منها . وإنما يرويها من يروى الضعاف كالدارقطنى والبزار وغيرهما .

وهذا الحديث كذبه ظاهر مخالف لدين المسلمين . فإن من زاره فى حياته وكان مؤمنـاً به ، كان من أصحابه . والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة مهما عمل من الواجبات كالحج والصلاة ونحوهما . فـكيف يبلغ مبلغ الصحابة بعمل يعمله ليس بواجب باتفاق المسلمين وهو زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسـلم بل ولا شرع السفر إليه ، بل هو منهى عنه . وأما السفر إلى مسجده للصلاة فيه فهو مستحب ومشروع .

وبالجملة أحاديث زيارة قـبر النبى صلى الله عليه وسلم كلها واهية وبعضها أوهى من بعض فمن أراد أن يتحقق الحق من هذه الأحاديث فليرجع إلى كتاب (الصارم المنسكى فى الرد على ابن السبكى) للحافظ محمد بن عبد الهادى . هذا ما يتعلق بتحقيق الحق من ثبوت هذه الأحاديث . وأما زيارة القبور على وجه العموم — فسنة ثابتة ولـكن ينبغى للمؤمن أن تـكون أعماله جارية على السنة الصحيحة . فالمشروع شد الرحل إلى أحد المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى . فحينما يصل الإنسان إلى المسجد النبوى ويتمتع بالصلاة فى الروضة الشريفة يزور — تبعاً للمسجد — قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وشهداء أحد =

عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من زار قبري وجبت له شفاعتي) .

• عن أنس بن مالك قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : (من زار قبري بالمدينة محتسباً ، كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة) .

• عن ابن أبي مُلَيكة أنه قال : من أحب أن يقوم وِجاه[1] النبي صلى الله عليه وسلم ، فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه .

• عن ابن أبي فُدَيك قال : سمعتُ بعضَ من أدركتُ يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية :

« إنَّ الله وملائكته يُصلون على النبي »

فقال : صلى الله عليك يا محمد ، يقولها سبعين مرة ، ناداه ملك : صلى الله عليك يا فلان ، لم تسقط لك حاجة .

وقال بعض زوّار قبره :

أَتَيْتُكَ رَاجِلًا وَوَدِدْتُ أَنِّي ... مَلَكْتُ سَوَادَ عَيْنِي أَمْتَطِيهِ
وَمَالِي لَاأَسِيرُ عَلَى الْمَآقِي ... إِلَى قَبْرٍ رَسُولُ اللهِ فِيهِ

= فبذلك يكون عمله جارياً على الوجه الشرعي . كما قال الفضيل بن عياض . دين الله أخلصه وأصوبه) فلما سئل عن معنى قوله هذا أجاب : أخلصه أن يكون العمل خالصاً لله . وأصوبه : أن يكون على الصورة التي صحت عن رسول الله وصحابته الكرام .

(١) وجاه : تجاه .

الباب التاسع والثلاثون

في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم

• عن أبي الجَوْزاء قال : قَحِط أهلُ المدينة قحطاً شديداً ، فشكَوْا إلى عائشة فقالت : انظروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كَوًّا(١) إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال : ففعلوا .

فمطروا مطراً ، حتى نبت العشبُ ، وسَمِنت الإبل حتى فُتقت(٢) فسمى عام الفتق .

• عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحَرَّة(٣) لم يؤذَّن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ولم يُقَمْ .

---

(١) الكوة : الخرق . وهذا الأثر عن عائشة ضعيف رواية ودراية والواقع يكذب هذه القصة ، وذلك أنه لم يكن للبيت كوة في زمن عائشة ، لما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها ، لم يظهر الفيء بعد ، ولم تزل الحجرة بعضه مسقوف وبعضه غير مسقوف ، إلى زمن الوليد بن عبد الملك ، حتى إذا كانت إمارته زاد الحجرة النبوية مع بقية الحجرات في المسجد النبوي . ومن رام إرواء غليله في هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) لابن تيمية ، وكتاب (التوسل ، أنواعه وأحكامه) لمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، بارك الله في حياته الغالية ، وأبقاه ذخراً للإسلام وأهله فإنه قد شفى ووفى للموضوع حقه بما لا مزيد لمستزيد ، والعقائد والعبادات لا تبتنى على الأحاديث الضعيفة بالإجماع ، ومبنى الشرع على الاتباع لا الابتداع .

(٢) فتقت : سمنت .

(٣) الحرة : وقعة كانت في أيام يزيد بن معاوية بينه وبين أهل المدينة ، بسبب خلعهم له . .

ولم يَبرح سعيد بن المسيِّب من المسجد، فكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهَمْهمة يسمعها من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

● عن أبى بكر المِنقَريّ قال: كنت أنا والطَّبرانى وأبو الشيخ فى حَرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا على حالة، فأثَّر فينا الجوع!! فواصَلْنا ذلك اليوم.

فلما كان وقت العشاء، حضرتُ قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت:

يا رسول الله: الجوع الجوع!! وانصرفت.

فقال لى أبو الشيخ: اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت.

قال أبو بكر: فنمت أنا وأبو الشيخ، والطبرانىُّ جالسٌ ينظر فى شىء.

فحضر الباب عَلَوِىٌّ، فدقَّ الباب، فإذا معه غلامان، مع كل واحد منهما زنبيل كبير فيه شىء كثير.

فجلسنا وأكلنا، وظننا أن الباقى يأخذه الغلام، فولّى وترك عندنا الباقى.

فلما فرغنا من الطعام قال العلوى:

يا قوم، أشكوتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فإنى رايت رسول الله فى النوم، فأمرنى بحمل شىء إليكم!

الباب الأربعون

في ذكر ندب فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال : لمَّا ثقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشَّاه الكَرْب ، فقالت فاطمة : وا كرب أبتاه .

فقال لها : ليس على أبيك كربٌ بعدَ اليوم .

فلما مات قالت : يا أبتاه ، أجاب ربًّا دعاه ، يا أبتاه ، جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه .

ثم لما دُفن قالت فاطمة : يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تَحثُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الترابَ(١) !

• عن علي عليه السلام قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءت فاطمة عليها السلام ، فأخذت قبضة من تراب القبر ، فوضعته على عينيها ، فبكت وأنشأت تقول :

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ ... أَنْ لَا يَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا

• عن عطاء قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
(إذا أصابت أحدكم مصيبة ، فليذكر مصابه فيّ ، فإنها من أعظم المصائب)

---

(١) الحديث في صحيح البخاري ٢/٢٨٢ .

الباب الحادي والأربعون

في فضل الصلاة عليه

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من صلي عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً) .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من صلى عليّ واحدةً صلى الله [عليه] عشر صلوات ، وحطَّ عنه عشر خطيئات) .

• عن أُبيّ بن كعب قال : قال رجل : يا رسول الله ، إنى جعلت صلاتى كلها عليك . قال :

(إذاً يكفيك الله ما أهمّك من أمر دنياك وآخرتك) .

• عن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم ، والبُشْرَى فى وجهه ، فقال :

(أتانى الملَكُ فقال : يا محمد ، إن ربك عز وجل يقول لك : أما يرضيك أنه لا يُصَلِّى عليك أحدٌ من أُمّتِك إلا صليت عليه عشراً ؟ قال : بلى) .

• عن عامر بن ربيعة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(من صلى عليّ صلاة ، لم تزل الملائكة تصلى عليه ، ما صلَّى عليّ ، فليُقِلّ مِن ذلك أو يُكثر) .

• عن عبد الرحمن بن عوف قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو مسجده ، فدخل فاستقبل القبلة ، فخرّ ساجداً ، فأطال السجود ، حتى ظننا أن الله تعالى قد قبض نفسه فيها . فدنوت منه ثم جلس ، فرفع رأسه فقال :

من هذا ؟ قلت : عبد الرحمن ، قال : ما شأنك ؟

قلت : يا رسول الله ، سجدتَ ، فخشيت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها .

فقال : (إن جبريل أتانى فبشرنى فقال : إن الله تعالى يقول لك :

من صلّى عليك ، صليتُ عليه ، ومن سلّم عليك ، سلمتُ عليه ، فسجدتُ لله شكراً) .

• عن أبى طلحة الأنصارى قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم طيِّبَ النفس يُرى فى وجهه البشر .

فقالوا : يا رسولَ الله ، أصبحت اليوم طيب النفس ، فى وجهك البشر .

قال : (أجل ، أتانى آت من ربِّى فقال :

من صلّى عليك صلاةً ، كتب الله له بها عشرَ حسنات ، ومحا عنه عشرَ سيئات ، ورفعَ له عشر درجات ، وردَّ عليه مثلها) .

• عن أبى طلحة قال : دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيتُ من بشره وطَلاقته ما لم أره على مثل تلك الحال .

فقلت : يا رسول الله ، ما رأيتك على مثل هذه الحال ؟ فقال :

(وما يمنعنى ، يا أبا طلحة ، وقد خرج جبريل من عندى آنفاً ، فأتانى ببشارة من ربى تعالى ، بعثنى يبشِّرك ، أنه ليس أحدٌ من أمتك يصلِّى عليك صلاةً ، إلا صلى الله عليه وملائكته عشراً) .

● عن سهل بن سعد الساعديّ قال : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بأبى طلحة .

فقام فتلقاه ، فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، إنى لأرى السرور فى وجهك .

قال : (أجل ، أتانى جبريل آنفاً فقال :

يا محمد ، من صلى عليك مرة — أو قال واحدة — كتب الله له عشرَ حسنات ، ومحا عشرَ سيئات ، ورفع له عشر درجات .

قال محمد بن حبيب : ولا أعلمه إلا قال : وصلّت عليه الملائكة عشر مرات .

● عن أبى طلحة قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم . فلم أره قط أشدّ فَرَحاً ولا أطيب نفساً منه يومئذ ، فقلت :

يا رسول الله ، صلى الله عليك ، بأبى أنت وأمى ، إنّى لم أرك قط أشدّ فرحاً ولا أطيب نفساً منك اليوم .

قال : (يا أبا طلحة وما يمنعنى ألا أكون كذلك ، وإنما فارقنى جبريلُ آنفاً ، فقال : يا محمد إن ربى بعثنى إليك وهو يقول :

إنه لن يصلِّىَ عليك أحدٌ من أمّتك صلاة إلا ردّ الله مثلَ صلاته عليك وإلا كتب الله له بها عشر حسنات ، وحطّ عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات . ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش .

لاتمر بملَك إلا قال : صلُّوا على قائلها ، كما صلّى على محمد صلى الله عليه وسلم .

• عن أبى طلحة قال : دخلتُ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأساريرُ وجهه تَبْرق(١)، فقلت : يارسول الله ما رأيتك أطيب نفساً منك ولا أظهرَ بِشْراً منك فى يومنا هذا .

قال : (وما لى لا تطيب نفسى ، ويَظْهر بِشْرى ، وإنما فارقنى جبريل الساعة ، فقال : يا محمد ، من صلى عليك من أمتك صلاةً كتب الله له بها عشرَ حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وقال له الملَك ، مثلَ ما قال .

قلت : يا جبريل وما ذلك الملَك ؟ قال :

إن الله تعالى وكّل بك ملكاً من لَدُنْ خَلَقَك ، إلى أن يبعثك ، لا يصلِّى عليك أحدٌ إلا قال : (وأنت صلىّ الله عليك) .

عن أبى بكر الصديق قال : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، أفضل من عِتْق الرِّقاب ، وحُبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفضلُ من ضرب السيف فى سبيل الله . أو كما قال .

---

(١) تبرق : تلمع .

الباب الثاني والأربعون

فى تبليغ الملائكة إليه الصلاة والسلام

● عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى عَلَيَّ صلاة صلى الله بها عليه عشر صلوات ، واسْتَبَق مَلَكان يبلِّغان روحى منه السلام) .

● عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ لله ملائكة سَيَّاحين فى الأرض يبلِّغونى عن أمتى السلام) .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صَلَّى عَلَيَّ عند قبرى وكِّل به ملَكٌ يبلِّغنى ، وكُفِيَ أمر دنياه وآخرته ، وكنت له شهيداً — أو شفيعاً — يوم القيامة) .

● عن عَمَّار بن ياسر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله أعطى ملكا من الملائكة أسماع الخلائق ، فهو قَيِّمٌ على قبرى إلى يوم القيامة .

لا يصلى عَلَيَّ أحد إلا سَمّاه باسمه واسم أبيه ، فقال :

يا محمد صلى عليك فلان بن فلان .

وتكفّل لى الربُّ عز وجل أن يردَّ إليه بكل صلاة عشراً) .

الباب الثالث والأربعون

في كيفية الصلاة عليه

● عن ابن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عُجْرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا :

يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟

قال : (قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم إنك حميد مجيد) .

أخرجاه .

● عن كعب بن عُجْرة قال : لمَّا نزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وسَلِّموا تسليما »(١) قلنا : يا رسول الله قد عَلِمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال :

(قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦

الباب الرابع والأربعون

فى ذم من ذكر عنده فلم يصل عليه

● عن على بن الحسين عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصلِّ علىَّ) .

● عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَعد المنبر فقال :
آمين ، آمين ، آمين .

فلما نزل قيل : يا رسول الله ، إنك حين صعدت المنبر قلت : آمين ، آمين ، آمين .

(قال : إن جبريل أتانى فقال : من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فمات ، فدخل النار ، فأبعدَه الله . قل آمين . فقلت آمين .

ومن أدرك أبَوَيْه أو أحدهما ، فلم يبرّهما فمات ، فدخل النار ، فأبعده الله قل آمين . فقلت آمين .

ومن ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك فمات ، فدخل النار ، فأبعده الله ، قل آمين .

فقلت : آمين) .

● عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(ما جلسَ قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم ، إلا كان عليهم تِرَةً(١) ، فإن شاء عذبهم ، وإن شاء غَفَرَ لهم) .

---

(١) الترة : التبعة والذنب .

الباب الخامس والأربعون

فى ذكر ما سمع من التعزية برسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن على بن أبى طالب قال : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء آتٍ ، يُسْمع صوته ، ولا يُرى شخصُه فقال :

السلام عليكم ورحمة الله ، إن فى الله عِوضاً من كل مصيبة ، وخَلفاً من كل هالك ، ودَرَكاً من كل فائت .

فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المحروم من حُرم الثواب . والسلام .

الباب السادس والأربعون

فى أنه لا يَبلى صلى الله عليه وسلم

• عن أوس بن أوس قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قُبِض ، وفيه النفخة ، وفيه الصَّعْقَة .

فأكثروا من الصلاة عَلَيّ فيه ، فإن صلاتكم معروضةٌ علىّ) .

قالوا : يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْت ، أى : بليت ؟ قال (إن الله حَرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) .

الباب السابع والأربعون

في عرض أعمال أمته عليه

• قد سبق في حديث أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
(إن أعمالكم تُعرض عليّ يومَ القيامة)(١) :

• عن بكر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(حياتي خيرٌ لكم تُحَدِّثون ويُحَدَّثُ لكم ، فإذا أنا مِتُّ ، كانت وفاتي خيراً لكم ، تُعْرَض عليّ أعمالكم ، فإنْ رأيتُ خيراً حمدت الله ، وإن رأيت شرّاً استغفرت لكم) .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(حياتي خير لكم ، يَنْزل عليّ الوحيُ من السماء ، فأخبركم بما يحلُّ لكم وما يَحْرُم عليكم .
وموتِي خير لكم ، تُعرض عليّ أعمالكم كُلّ خميس ، فما كان من حسَن حمدت الله عليه ، وما كان من ذنب ، أستوهِبُ الله ذنوبَكم) .

(١) كذا ، والذي سبق في حديث أوس قريباً : يوم الجمعة .

الباب الثامن والأربعون

فى رؤيته فى المنام

• عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثّل فى صورتى) .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من رآنى فى المنام ، فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثّل بى) .

• عن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من رآنى فقد رأى الحقّ ، فإن الشيطان لا يتكوّن بى) .

انفرد بإخراج هذا ، البخارى ، واتفقا على الذى قبله .

• عن أبى مالك الأشجعى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من رآنى فى المنام فقد رآنى) .

أبواب بعثه وحشره

وما يجري له

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أولُ الناس خروجاً إذا بُعثوا) .

• عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(إن الناس يُصْعَقون يوم القيامة ، فأكون أول من يرفع رأسه من التراب .

فأجد موسى عند العرش ، لا أدرى أكان فيمن صُعق أم لا) .

أخرجاه .

• عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا سيدُ ولد آدم ، وأول من تنشقُّ عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مشفَّع) .

• عن عبد الله بن سلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ولا فخر) .

• عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أنا أولُ من تنشقُّ عنه الأرض ، يوم القيامة ولا فخرَ) .

الباب الثانى

فى حشر عيسى بن مريم مع نبينا
صلى الله عليه وسلم

● عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض ، فيتزوج ويولد له ، ويمكث خمساً وأربعين سنة ، ثم يموت ، فيدفن معى فى قبرى .

فأقوم أنا وعيسى بن مريم ، من قبر واحد ، بين أبى بكر وعمر .

الباب الثالث

فى كيفية حشره
صلى الله عليه وسلم

● عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول من تنشقُّ عنه الأرضُ يوم القيامة ، فأخرج من قبرى وحولى المهاجرون والأنصار ، يَنفضون التراب عن رءوسهم) .

● عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول من تنشقّ عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتى أهل البقيع ، فيُحْشرون معى ، ثم أنتظر أهل مكة) . زاد المطرز : فأحشر بين الحرَمين .

● عن كَعْب الأحبار قال : ما من فجرٍ يطلع ، إلا وينزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفُّوا بالقبر ، يَضْربون بأجنحتهم ، ويصلُّون على النبى صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا أمسَوا عرَجوا ، وهبط مثلُهم ، فصنعوا مثل ذلك .

حتى إذا انشقت الأرض ، خرج فى سبعين ألفاً من الملائكة ، يزفُّونه صلى الله عليه وسلم .

● عن يونس بن سيف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يُحشر الناس رجالاً وأُحشر راكباً على البُراق ، وبلالٌ بين يدىّ على ناقة حمراء .

فإذا بلَغنا مَجْمَع الناس ، نادى بلال بالأذان .

فإذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، صدّقه الأولون والآخرون) .

الباب الرابع

فى ذكر لوائه

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لواء الحَمْد بيدى) .

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لواء الحمد بيدى ولا فخر ، آدمُ ومَن دونه من النبيين ، تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر) .

الباب الخامس

فى أنه أكثر الأنبياء تبعاً

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يجىء النبىُّ يوم القيامة ، ومعه الرجلُ ، ويجىء النبى ، ومعه الرجلان ، وأنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة » .

الباب السادس

فى ذكر حوضه

● عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إن قَدْر حوضى ما بين أَيْـلَة(١) وصنعاء من اليمن .

وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء :

● عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حوضى مسيرةُ شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم(٢) السماء ، من شرب منه لا يظمأ أبداً) .

● عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا فَرَطكم(٣) على الحوض ، من ورَد شَرب ، ومن شرب لم يَظمأ أبداً » .

● عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا فَرَطكم على الحوض وليَختَلِجُنّ(٤) رجالٌ دونى فأقول :

يا رب ، أصحابى فيقال : إنك لا تَدْرى ما أَحْدَثوا بعدكَ) .

● عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) أيلة : جبل بين مكة والمدينة .

(٢) قوله : (كنجوم .. الخ) يريد : كعدد نجوم السماء . بدليل ما بعده .

(٣) الفرط : السابق .

(٤) يختلجن : يجتذبون : ويقتطعون .

(إن أمامكم حوضاً ما بين ناحيتيه كما بين جَرْباء وأذْرح)[١] .

• عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟

قال : (والذى نفسى بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة الظَّلْماء المُصْحية ، آنية الجنة ، من شرب منها لم يظمأ ، آخر ما عليه ، يَشْخب[٢] فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عُمّان إلى أيْلة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل .

• عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن حوضى لأبعد من أيلة إلى[٣] عدن ، والذى نفسى بيده ، إنى لأذُود عنه الرجال ، كما يذود الرجل الإبلَ الغريبة عن حوضه) .

قالوا : يا رسول الله ، وتعرفنا ؟

قال : (نعم ، تَرِدُون علىّ غُرّا مُحَجّلين)[٤] .

انفرد بإخراج هذا الحديث والذى قبله مسلم ، واتفقا على ما قبل هذا من الأحاديث .

---

(١) جرباء : قرية بجنب أذرح .

(٢) يشخب : يسيل .

(٣) الأصل : من ، وهو تحريف وأيلة : مدينة معروفة فى عراف الشام على ساحل البحر .

(٤) غرا : معروفين .

الباب السابع

فى ذكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم

قد سبق فى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(أنا أول شافع وأول مُشفَّع) .

● عن أبى هريرة قال : أُتى النبي صلى الله عليه وسلم بلحم ، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نَهْسَةً(١) ثم قال :

(أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون لم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، يُسْمعهم الداعى ، ويَنْفُذهم البصر ، وتدنو الشمسُ فيبلغ الناس من الغم والكرب ، ما لا يطيقون ، ولا يحتملون .

فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغ بكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم عز وجل ؟!

فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم .

فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خَلَقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمرَ الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك عز وجل ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟!

فيقول آدم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً ، لَمْ يغضب قبلَه مثلَه ،

---

(١) نهس : أخذ بمقدم أسنانه منها .

ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، سَمّاك عبداً شكُوراً ، فاشفع لنا إلى ربنا .

ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟

فيقول نوح : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة ، دعوت على قومى ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون :

يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض .

اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟!

فيقول لهم إبراهيم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله . وذكر كِذباته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله ، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك .

ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟!

فيقول موسى : إن ربى قد غضب اليوم غَضَباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده ، وإنى قتلت نفساً ، لم أُومر بقتلها ، نفسى نفسى .

اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه . [قال : هكذا هو][(١)] وكلمت الناسَ فى المهد .

فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ !

فيقول لهم عيسى : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذَنْباً ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

فيأتونى فيقولون : يا محمد أنت رسولُ الله وخاتم النبيين ، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ !

فأقوم ، فآتى تحت العرش ، فأقع ساجداً لربى عز وجل .

ثم يفتح الله علىّ ويُلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى ، فيقال :

يا محمد ارفع رأسك ، سَلْ تُعْطَه ، واشفع تُشَفَّع .

فأقول : يا رب أمتى أمتى ، يا رب أمتى أمتى .

فيقول : يامحمد أَدْخل من أمتك من لا حساب عليه من البابالأيمن ، من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب .

ثم قال : والذى نفسى بيده لمَا بيْن مصراعين من مصاريع الجنة ، لَكَما بين مكةَ وهَجَر ، وكما بين مكة وبُصْرَى).

• عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) ليست فى الصحيحين .

(يجتمع المؤمنون يوم القيامة فَيُلْهَمون ذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا تبارك وتعالى ، فأراحنا من مكاننا) . قريباً مما فى الحديث قبله .

إلى أن قال :

(فأقوم فأستأذن على ربى فَيُؤْذَن لى ، فإذا رأيت ربى ، وقعتُ ساجداً لربى ، فيدَعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال :

يا محمد ، ارفع رأسك ، وسَلْ تُعْطَه ، واشفع تُشَفَّع .

فأرفع رأسى فأحمده بتحميدٍ يعلِّمنيه ، ثم أشفع فَيَحُدُّ لى حدًّا ، فأدخلهم الجنة(١) .

ثم أعود الرابعة ، فأقول : يا رب ، ما بقى إلا من حبسه القرآن) أى وجب عليه الخلود .

فحدثنا أنس مالك ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

[يُخرج من النار من قال « لا إله إلا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة(٢)] .

ثم يُخْرَج من النار من قال « لا إله إلا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذَرَّةً .

ثم يُخرج من النار من قال « لا إله إلا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن بُرَّة) .

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال .

---

(١) الرواية فى الصحيحين : ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من صحيح مسلم ١/١٢٥ ط استانبول .

(إن لكل نبي دعوة قد دعا بها ، فاستُجِيبت له ، وإنى قد اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة) .

الأحاديث الثلاثة فى الصحيحين(١) .

• عن أُبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا كان يوم القيامة كُنت إمام الناس وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، ولا فخر) .

• عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إنى لقائم أنتظر أمتى تعبر على الصراط ؛ إذ جاءنى عيسى فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك — يا محمد — يسألون .

أو قال : يجتمعون إليك ، ويدعون الله أن يفرق جميعَ الأمم إلى حيث يشاء الله ، لِعظَم ما هم فيه ، فالخلق مُلْجَمون فى العرق .

فأما المؤمن ، فهو عليه كالزكيبة ؛ وأما الكافر ، فيغشاه الموت .

فقال : انتظر حتى أرجع إليك .

فذهب نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقام تحت العرش ، فلقى ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مصطفًى ولا نبى مرسَل .

فأوحى الله إلى جبريل : أن اذهب إلى محمد فقل له :

ارفع رأسك ، سَلْ تُعْطه ، واشفع تشفع .

فشفعت فى أمتى أن أُخرِجَ من كل تسعة وتسعين ، إنساناً واحداً .

---

(١) انظر صحيح مسلم « كتاب الإيمان » ١٢٤/١ — ١٣٢ وصحيح البخارى كتاب « الرقاق والاعتصام » .

فما زلت أردِّد إلى ربى عز وجل ، فلا أقوم منه مقاماً إلا شُفِّعت .

حتى أعطانى الله من ذلك أن قال :

يا محمد أدخل من أمتك من خَلق الله ، من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ، ومات على ذلك .

● عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(يخرج من النار قوم بشفاعة محمد ، فَيُسَمَّوْنَ الجهنميين) .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) .

● عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(خُيِّرت بين الشفاعة ، وبين أن يَدْخل شَطْر أمتى الجنة .

فاخترت الشفاعة لأنها أعمُّ وأكْفَى .

أفترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين) .

● عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن لكل نبى دعوة يُعجِّلها فى الدنيا .

وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأُمتى يوم القيامة ، للمذنبين المتلطِّخين) .

● عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر ، وأنا أول شافع يوم القيامة ، ولا فخر) .

● عن جابر عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إن لكل نبي دعوة دعا بها فى أمته ، وخبأتُ دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة » .

أخرجه البخارى ومسلم .

• عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا كان يوم القيامة ، كنت إمام النبيين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، ولا فخر) .

الباب الثامن

فى ذكر المقام المحمود

• عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(يُبْعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتى على تلّ ، ويكسونى ربى حُلةً خضراء ، ثم يُؤْذَن لى فأقول ما شاء الله أن أقول . فذلك المقام المحمود) .

• عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنى لأقوم المقام المحمود ، قال : ذاك إذا جيء بكم حُفاةً عراة غُرْلاً(١) فأقوم مقاماً محموداً . قال : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى) .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) غرلا : غير مختتنين .

(يقيمنى ربُّ العالمين مقاماً لم يقمه أحد ، فبكى ، ولن يقيمه أحداً بعدى) .

• عن ابن عباس فى قوله تعالى : « عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً »(١) قال : يُقعده على العرش .

فإن قيل : ما معنى قوله « محموداً » ؟

قلنا : إن قلنا يُقعده على العرش ، فذلك مقام يَحْمَدُه هو ، لرفعته على الخلق .

• عن ابن عباس فى قوله تعالى :

« عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً » .

قال : إن لمحمد من ربه مقاماً ، لا يقومه نبىٌّ مرسل ، ولا مَلَكٌ مُقَرَّب ، يبين الله عز وجل للخلائق ، فضلَه على جميع الأولين والآخرين .

• عن على بن حسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا كان يوم القيامة ، مُدَّت الأرض مَدَّ الأديم ، حتى لا يكون للإنسان إلا موضع قدميه) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم :

(فأكون أولَ من يُدْعى ، وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه قبلها .

فأقول : ربِّ إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلىّ .

فيقول الله تبارك وتعالى : صدق .

ثم أشفع فأقول : يا رب ، عبادك فى أطراف الأرض ، فهو المقام المحمود) .

---

(١) سورة الإسراء . الآية : ٧٩

الباب التاسع

في تخليصه المؤمنين على الصراط

● عن أبي هريرة قال : يُضرب الصراط على جسر جهنم .
قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فأكون أول من يجوزه) .
أخرجاه .

وفي أفراد مسلم من حديث حذيفة وأبي هريرة قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (نبيكم قائم على الصراط يقول : ربِّ سَلِّمْ سلم) .

● عن أنس قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يَشفع لي يوم القيامة قال : أنا فاعل .

قلت : فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟

قال : اطلبني أولَ ما تطلبني على الصراط .

قال : قلت : فإن لم أَلْقَكَ على الصراط ؟

قال : فأنا عند الميزان .

قال . قلت فإن لم ألقك عند الميزان ؟

قال : فأنا عند الحوض ، لا أخطئُ هذه الثلاثة المواطنَ .

الباب العاشر

فى ذكر أن نبينا صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة

● عن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(آتى بابَ الجنة يوم القيامة ، فأستفتح فيقول الخازن :

من أنت ؟ فأقول محمد .

فيقول : بك أُمرتُ لا أفتح لأحد قبلَك) .

● عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول من يَقرع بابَ الجنة ، فيقول الخازن :

من أنت ؟ فأقول : أنا محمد .

فيقول : أقوم فأفتح لك ، فلم أقم لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك) .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن حذيفة قال : قال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : إبراهيم خليلُ الله وموسى كلَّمه الله تكليما ، وعيسى كلمة الله وروحه ، فماذا أعطيتَ ؟ قال :

(ولدُ آدم كلهم تحت رايتى يوم القيامة ، وأنا أول من تُفتح له أبواب الجنة) .

• عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إن الجنة حُرِّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرِّمت على الأممِ حتى تدخلها أمتى) .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أنا شافعهم إذا حُبسوا ، وأنا مُبشِّرهم إذا أَبْلَسُوا[١] ، ومفاتيح الجنة بيدى) .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنما أنا أولُ من يدخل الجنة ، ولا فَخْر) .

الباب الحادى عشر

فى ذكر فضل أمته

• عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

(نحن الآخرون السابقون يوم القيامة .

بَيْد أنهم أوتوا الكتابَ مِن قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم .

فهذا يومهم الذى فُرض عليهم ، فاختلَفوا فيه .

فهدانا الله له ، فهم لنا تبَع .

فاليهود غداً ، والنصارى بعد غد) .

(١) أبلسوا : أيسوا .

• عن بَهْز بن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن جده قال :

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

(ألا إنكم تُوفون سبعين أمةً ، أنتم خيرها وأكرمُها على الله تعالى) .

• عن حُذَيفة بن اليمان قال :

سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدةً فظننا أن نفسه قد قُبضت فيها ، فلما رفع رأسه قال :

(إن ربى خيَّرنى فى أمتىَ ، ماذا يَفعل بهم ؟

قلت : ربِّ هم خَلقُك وعِبادك .

فخيَّرنى الثانية ، فقلت له : كذلك .

قال : لا أُخزيك فى أمتك ، يا محمد ، وبشَّرنى أن أولَ من يدخل الجنة من أمتى معى ، سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ، ليس عليهم حساب .

ثم أرسل إلىَّ فقال : أُدْعُ تُجَبْ ، وسَلْ تُعْطَ .

فقلت لرسوله : أَوَ مُعْطِىَّ ربى سُؤْلى ؟

فقال : ما أرسلنى إليك إلا ليعطيك .

ولقد أعطانى ربى ولا فخر ، وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر .

وأعطانى أن لا تَجُوع أمتى ولا تُغْلَب .

وأعطانى الكوثر ، وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى .

وأعطانى العز والنصر والرعب يسير بين يدىْ أمتى شهراً .

وأعطانى أنى أول الأنبياء أدخل الجنة ، وطَيَّبَ لى ولأُمتى الغنيمة .

وأحلَّ لنا كثيرًا مما شدَّد على مَنْ قبلنا ، ولم يجعل علينا من حَرَج) .

الباب الثاني عشر

في ذكر علوّ منزلته على الخلق في الجنة

• عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(الوسيلة درجةٌ عند الله تعالى، ليس فوقها درجة، فَسَلُوا الله أن يؤتيني الوسيلة).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(إذا صليتم عليّ، فاسألوا الله لي الوسيلة).
قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال:
(أعلَى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو).

• وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(صلُّوا عليّ، فإنها زكاة لكم، وسَلُوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة. وهي لرجل، وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل).

• عن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:
(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلَ ما يقول، ثم صلُّوا عليّ، فإنه من صلي عليّ صلاة صلى الله عليه عشرا، ثم سَلُوا الله عز وجل لي الوسيلةَ.
فمن سأل الله لي الوسيلة، حلّت عليه الشفاعة).

• عن رويفع بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(من قال: اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرَّب عندك في الجنة. حلّت له شفاعتي يوم القيامة).

آخر ز(١) : تم الكتاب المبارك ، وهو تأليف الشيخ عبد الرحمن ابن الجوزى الحنبلى رحمه الله تعالى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

آخرت(٢) : آخر الكتاب المسمى بـ « الوفا فى سيرة المصطفى » للشيخ الإمام والحبر الهمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى تغمده الله برحمته ، وأسكنه فراديس جنته ، ولله الحمد والمنة ، وذلك بتاريخ ثالث جمادى الثانية من شهور سنة ١١٨٢ هـ والحمد لله، وصلى الله على محمد النبى، على يد العبد الحقير المعترف بالعجز والتقصير محمد بن أحمد البودرى .

---

(١) حرف (ز) رمز للنسخة المخطوطة فى مكتبة الأزهر .

(٢) حرف (ت) « « « فى المكتبة التيمورية .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ذكر فضله على الأنبيــاء عليه وعليهم الصلاة والسلام	٥
ذكر خصائصه	٢٤
فى إنقاذ قطف له من الجنة	٢٥
فى إنقاذ مقاليد الدنيا إليه	٢٦
فى رفع ذكره	٢٦
فى ذكر مثله ومثل الأنبياء	٢٧
فى ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به	٢٨
فى فضل أمته على الأمم	٢٩
فى ذكر مثله ومثل أمته	٣١
فى ذكر مثل من قبل ما جاء به ومن لم يقبل	٣٣
فى وجوب طاعته	٣٥
فى وجوب تقديم محبته على الوالد والولد والنفس	٣٧
فى وجوب تقديمه فى الذكر	٣٨
أبواب صفات جسده	٣٩
صفة رأسه	٤١
» جبينه	٤١
» حاجبيه	٤٢
» عينيه وأهدابه	٤٣
» خديه	٤٤
» أنفه	٤٤
صفة فمه وأسنانه	٤٥
» نكهته	٤٦
» وجهه	٤٦
ذكر اللحية الكريمة	٤٧
صفة شعره	٤٨
ذكر صفة عنقه	٥٠
بعد ما بين منكبيه	٥٠
غلظ الكتد	٥١
صفة صدره	٥١
» بطنه	٥١
» سرته	٥٢
ذكر أصابعه	٥٣
صفة عنقه	٥٣
» زنديه	٥٤
ذكر ساقيه	٥٥
ذكر صفة عقبه	٥٩
» قدميه	٥٩
ضخامة كراديسه	٦٠
ذكر اعتدال خلقه	٦٠
ذكر طوله	٦١
رقة بشرته	٦٢
صفة لونه	٦٢
ذكر حسنه	٦٣

الموضوع	الصفحة
ذكر عرقه	٦٥
« خاتم النبوة	٦٧
أبواب صفاته المعنوية	٧١
حسن خلقه	٧٣
ذكر حلمه وصفحه	٧٦
نهيه أن يبلغ مالا يصلح	٨٨
ذكر شفقته ومداراته	٨٩
« حيائه	٩٤
« تواضعه	٩٥
أنه بعث رحمة	١٠١
ذكر اشتراطه على ربه سبحانه أن يجعل سبه لمن سب من المسلمين أجرا	١٠٣
ذكر جوده	١٠٤
« شجاعته	١٠٦
« مزاحه وملاعبته وأنه لا ينطق إلا بالحق	١٠٧
﴿أبواب آدابه وسمته﴾	
جعله يده اليمنى للطهور واليسرى لدفع الأذى	١١٥
فعله عند عطسته	١١٥
محبته التيامن فى أفعاله	١١٦
ذكر جلسته	١١٦
« احتبائه	١١٦
« اتكائه	١١٧
« استلقائه	١١٧

الموضوع	الصفحة
صفة منطقه وألفاظه	١١٨
ذكر تحريكه يده حين يتكلم	١١٩
« منبره	١٢٠
« فصاحته	١٢١
تكلمه بالفارسية	١٢٣
ذكر ما تمثل به من الشعر	١٢٤
« ما سمع من الشعر	١٢٥
صفة مشيه	١٢٧
ذكر ضحكه وتبسمه	١٢٩
محبته الفأل والحسن من القول	١٣٢
تغييره الاسم القبيح	١٣٣
قبوله الهدية وإثابته عليها	١٣٣
كثرة مشاورته أصحابه	١٣٤
ذكر فعله فى أول مطر يقع	١٣٤
احتياطه فى نفى التهمة عنه	١٣٥
علامة رضاه وسخطه	١٣٦
مخالطته للناس	١٣٧
ذكر يمينه إذا حلف	١٤١
فيما كان يقوله إذا قام من مجلسه	١٤٢
أبواب زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٤٣
ذكر إعراضه عن الدنيا صلى الله عليه وسلم	١٤٥
اقتناعه باليسير من الدنيا	١٤٦
ذكر أنه كان لا يدخر شيئا صلى الله عليه وسلم	١٤٦

الموضوع	الصفحة
ذكر ماروى أنه كان يدخر	١٤٧
ذكر نفقته صلى الله عليه وسلم	١٤٨
صفة عيشه فى الدنيا صلى الله عليه وسلم	١٥١
أبواب تعبده صلى الله عليه وسلم	
﴿ أبواب طهارته ﴾	١٥٥
ذكر ما كان يقوله إذا دخل الكنيف	١٥٧
ذكر ما كان يقوله إذا خرج منه	١٥٧
ابتلاع الأرض لحدثه	١٥٨
ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم	١٥٩
« أنه كان يتوضأ لكل صلاة	١٥٩
جمعه الصلوات بوضوء واحد	١٦٠
مسحه على الخفين	١٦٠
ذكر سواكه عليه السلام	١٦١
صفة غسله عليه السلام	١٦١
﴿ أبواب صلاته ﴾	
صفة صلاته عليه السلام	١٦٥
مقدار ما كان يقرأ فى الصلوات المفروضات	١٦٧
ذكر ما كان يقوله بعد الفراغ من الصلاة	١٦٨
تنفله بالنهار	١٦٩
ذكر ما كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة	١٧٠

الموضوع	الصفحة
ملازمته للمسجد بعد صلاة الفجر	١٧٠
صلاته الضحى	١٧١
ذكر صلاته بالليل	١٧٢
« طول قيامه بالليل	١٧٧
« قيامه طول الليل بآية	١٧٩
صفة قراءته	١٨٠
ذكر حسن صوته	١٨١
« الزمان الذى كان يختم فيه	١٨١
« دعائه قائماً إذا ختم	١٨١
« وتره صلى الله عليه وسلم	١٨٢
« ما كان يصنع إذا فاته ورده من الليل	١٨٣
« صلاته التراويح وعددها	١٨٣
« قطعه إياها خوف أن تفرض عليهم	١٨٤
« سجوده للشكر	١٨٥
﴿ أبواب صومه ﴾	
ذكر صومه من الشهر وفطره	١٨٩
« صومه ثلاثة أيام من كل شهر	١٩٠
« صومه الاثنين والخميس	١٩١
« صومه شعبان	١٩٢
مواصلته للصيام	١٩٣
ذكر ما كان يفطر عليه	١٩٣
« ما كان يقوله إذا أفطر عند قوم	١٩٤

الموضوع	الصفحة
ذكر جده واجتهاده فى العشر الأخير من رمضان	١٩٤
ذكر اعتكافه فى العشر الأواخر من رمضان	١٩٥
ذكر أكله يوم عيد الفطر قبل الخروج	١٩٥
« حمل الحربة بين يديه يوم العيد	١٩٦
« عدد تكبيراته فى صلاة العيد	١٩٦
مخالفته الطريق يوم العيد	١٩٧
﴿ أبواب حجه وعمرته ﴾	
ذكر إحرامه عليه السلام	٢٠١
« تلبيته عليه السلام	٢٠١
« دعائه يوم عرفة عليه السلام	٢٠٢
« ذبح أضحيته بيده صلى الله عليه وسلم	٢٠٣
« طوافه واستلامه الحجر	٢٠٤
« استلامه الركن اليمانى	٢٠٤
سعيه بين الصفا والمروة	٢٠٥
رميه الجمرة عليه السلام	٢٠٥
دخوله الكعبة عليه السلام	٢٠٦
خطبته فى حجة الوداع	٢٠٧
سياق حجه جملة	٢٠٩
عدد عمره عليه السلام	٢١٥
« أبواب خوفه وتضرعه وحزنه وفكره وبكائه وورعه وقصر أمله واستغفاره وتوبته »	
ذكر خوفه وتضرعه	٢١٩
« انزعاجه من الغيم والريح	٢٢٠
« ما كان يقوله إذا سمع صوت الرعد والصواعق	٢٢٠
« حزنه وفكره عليه السلام	٢٢١
« بكائه عليه السلام	٢٢١
« ورعه عليه السلام	٢٢٥
« قصر أمله عليه السلام	٢٢٦
« استغفاره وتوبته عليه السلام	٢٢٧
﴿ أبواب دعائه ﴾	
ذكر بسط يديه عند الدعاء	٢٣١
« دعائه عند الصباح والمساء	٢٣١
« دعائه عليه السلام عند الكرب	٢٣٣
« دعائه مطلقا عليه السلام	٢٣٤
﴿ أبواب آلات بيته ﴾	
« سريره صلى الله عليه وسلم	٢٤١
« حصيره عليه السلام	٢٤٢
« كرسيه عليه السلام	٢٤٣
« فراشه عليه السلام	٢٤٤
« لحافه عليه السلام	٢٤٦
« وسادته عليه السلام	٢٤٧

الموضوع	الصفحة
ذكر اتكائه على الوسادة	٢٤٧
« قطيفته عليه السلام	٢٤٨
« قبته عليه السلام	٢٤٨
(أبواب لباسه)	
« قميصه	٢٥١
« جبته	٢٥٢
« إزاره وكسائه	٢٥٣
« حلته	٢٥٤
« بردته	٢٥٥
« عمامته	٢٥٦
« قلنسوته	٢٥٧
« ردائه	٢٥٨
« سراويله	٢٥٩
لبسه الصوف	٢٦٠
لبسه ما يتفق من اللباس	٢٦٠
لبسه الثوب المستجد	٢٦١
ذكر ما كان يقوله عند اللبس	٢٦١
« خفه	٢٦١
« نعله عليه السلام	٢٦٢
(أبواب ذكر مراكبه)	
« خيله	٢٦٥
« ناقته	٢٦٦
« بغلته	٢٦٧
« حماره	٢٦٨
« سرجه	٢٦٨
ذكر ما كان يقوله إذا ركب	٢٦٩
صفة سيره	٢٦٩
« أبواب ذكر مواليه وخدمه عليه السلام »	
« ذكر مواليه عليه السلام	٢٧٣
« مولياته عليه السلام	٢٧٤
« من خدمه من الأحرار	٢٧٤
(أبواب زينته)	
« خاتمه	٢٧٧
« خضابه	٢٨٠
« استعماله للمشط	٢٨٣
« فرق رأسه	٢٨٣
« استعماله الدهن	٢٨٤
« المرآة	٢٨٤
« أخذه من اللحية	٢٨٥
« جز شاربه	٢٨٥
« استعماله النورة	٢٨٦
« محبته للطيب وتطيبه	٢٨٧
(أبواب أكله ومأكولاته)	
ذكر مائدته وسفرته	٢٩١
« قصعته	٢٩١
« صفة خبزه	٢٩٢
« اختياره البقل	٢٩٣
« ائتدامه بالخل	٢٩٣

الموضوع	الصفحة
ذكر أكله القثاء	٢٩٤
« أكله الدباء	٢٩٤
« أكله السمن والأقط	٢٩٥
« أكله الحيس	٢٩٥
« حبه الثريد	٢٩٥
« أكله وجمعه بين طعامين	٢٩٦
« أكله اللحم وما يختاره من الأعضاء	٢٩٧
أكله القديد	٢٩٨
أكله الشواء	٢٩٨
أكله لحم الدجاج	٢٩٨
أكله لحم الحبارى	٢٩٩
تركه أكل ما يعافه	٢٩٩
اجتنابه ما يؤذى ريحه	٣٠١
أكله الجمار	٣٠١
حبه الحلواء والعسل	٣٠١
أكله التمر	٣٠٢
« العنب	٣٠٢
« الرطب	٣٠٣
ذكر ما كان يفعل إذا أتى بأول الرطب	٣٠٣
أكله الخبيص	٣٠٤
« بثلاث أصابع ولعقها	٣٠٤
« مما يليه	٣٠٥
« مقعيا من الجوع	٣٠٥
ذكر أنه لم يأكل متكئا	٣٠٦
« أنه لم يذم طعاما	٣٠٦
« أنه كان لا يأكل الصدقة	٣٠٧
حمده لله عند فراغه من الطعام وغسل يديه	٣٠٨
(أبواب شربه ومشروباته)	
ذكر أنه كان يستعذب له الماء	٣١١
اختياره الماء البائت	٣١١
إيثاره الماء البارد	٣١٢
ذكر الآنية التى كان يشرب منها	٣١٢
شربه اللبن	٣١٣
شربه النبيذ وصفة ذلك النبيذ	٣١٤
شربه السويق	٣١٤
كيفية شربه عليه السلام	٣١٤
تنفسه فى الإناء ثلاثا	٣١٥
شربه قائما وقاعدا	٣١٦
شربه وأصحابه إذا سقاهم	٣١٦
مناولته من عن يمينه	٣١٧
(أبواب نومه)	
مسامرته أزواجه بالليل	٣٢١
نزوله وصعوده ليلة الجمعة	٣٢٢
وضوؤه قبل النوم	٣٢٢
اكتحاله عند النوم عليه السلام	٣٢٢
صفة فراشه الذى كان ينام عليه بالليل	٣٢٣

الموضوع	الصفحة
ذكر ما كان يصنع إذا أتى الفراش	٣٢٣
كيفية نومه وما كان يقوله عند النوم	٣٢٤
ذكر ما كان يقوله إذا استيقظ	٣٢٥
« أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه	٣٢٦
« بعض مناماته صلى الله عليه وسلم	٣٢٨
(أبواب طبه)	
« كثرة أمراضه	٣٤١
« أنه سحر	٣٤١
« حجامته	٣٤٣
تداويه بالحناء عليه السلام	٣٤٤
(أبواب نكاحه)	
تحبيب النساء إليه	٣٤٧
ذكر أزواجه وعددهن	٣٤٨
« سراريه	٣٥٢
« قوته على الجماع	٣٥٢
« استتاره وغض بصره عند الجماع	٣٥٣
« طوافه على نسائه في ساعة	٣٥٤
« أنه كان يطوف على نسائه بغسل واحد	٣٥٤
« اغتساله في كل وطء	٣٥٤
« مداراته لنسائه	٣٥٥
« تأديبه أزواجه بالهجر	٣٥٨

الموضوع	الصفحة
ذكر أولاده وعددهم	٣٦١
(أبواب سفره)	
« اليوم الذي كان يسافر فيه	٣٦٥
« ما كان يقوله إذا خرج للسفر	٣٦٥
كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودع المسافر	٣٦٧
كيف كان سير رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر	٣٦٨
ذكر فيما كان يقوله إذا نزل من الليل منزلا	٣٦٨
« ما كان يقوله في السحر	٣٦٩
« تنفله على الراحلة	٣٦٩
« ما كان يقوله إذا رجع من السفر	٣٧٠
« ما كان يصنع إذا قدم من السفر	٣٧١
« أنه كان لا يطرق أهله ليلا	٣٧١
(أبواب آلات حربه)	
« سيفه	٣٧٥
« درعه	٣٧٦
« مغفره	٣٧٦
« قوسه	٣٧٧
« رمحه	٣٧٧
« حربته	٣٧٧

الموضوع	الصفحة
ذكر رايته ولوائه	٣٧٨
« قضيبه	٣٧٩
« عصاته صلى الله عليه وسلم	٣٧٩
(أبواب غزواته)	
« ما كان يقوله إذا غزا	٣٨٣
« غزوة الأبواء	٣٨٤
« غزوة بواط	٣٨٥
« غزوة طلب كرز بن جابر	٣٨٥
« غزوة ذى العشيرة	٣٨٦
« غزاة بدر	٣٨٧
« إلقاء رءوس المشركين فى القليب	٣٩٥
« غزاة بنى قينقاع	٣٩٦
« غزاة السويق	٣٩٦
« غزاة قرقرة الكدر	٣٩٧
« غزاة غطفان	٣٩٧
« غزاة بنى سليم	٣٩٨
« غزاة أحد	٣٩٨
« غزاة حمراء الأسد	٤٠٤
« بنى النضير	٤٠٥
« غزاة بدر للوعد	٤٠٦
« غزاة ذات الرقاع	٤٠٧
« غزاة دومة الجندل	٤٠٨
« غزاة المريسيع	٤٠٩
« غزاة الخندق	٤١٠
« غزاة بنى قريظة	٤١٣
« « بنى لحيان	٤١٥

الموضوع	الصفحة
ذكر غزاة الغابة	٤١٥
« « الحديبية	٤١٦
« « خيبر	٤١٩
« « الفتح	٤٢٠
« « حنين	٤٢٤
« « الطائف	٤٣٠
« « تبوك	٤٣١
« شعاره فى حروبه	٤٣٢
(أبواب سراياه)	
عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخلفه عن السرايا	٤٣٥
عدد سراياه صلى الله عليه وسلم	٤٣٥
ذكر وصاياه السرايا	٤٣٦
« إنكاره ما لا يصلح من فعل أمير السرايا	٤٣٨
(أبواب مكاتبته للملوك)	
« إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه	٤٤١
« إرساله إلى قيصر	٤٤٥
« إرساله إلى كسرى وكتابه إليه	٤٦٠
« إرساله إلى النجاشي وكتابه إليه	٤٦٤
« إرساله إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى	٤٦٧
« إرساله إلى هوذة بن على الحنفى وكتابه إليه	٤٦٩

الموضوع	الصفحة
ذكر إرساله إلى جبلة بن الأيهم وكتابه إليه	٤٧٠
« إرساله إلى ذى الكلاع	٤٧١
كتابه إلى فروة الجذامى	٤٧٢
« كتابه إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى	٤٧٣
« إرساله إلى المنذر	٤٧٤
« كتابه إلى ملوك حمير	٤٧٤
دلالة مكاتبته صلى الله عليه وسلم للملوك على صدقه	٤٧٥
(أبواب ذكر الوفود عليه)	
ذكر وفد سعد بن بكر	٤٧٩
ذكر وفد مزينة	٤٨٢
« وفد فزارة	٤٨٣
« وفد تجيب	٤٨٤
« سعد هذيم وهم أهل اليمن	٤٨٦
« وفد محارب	٤٨٧
« وفد بجيلة	٤٨٨
« وفد نهد	٤٨٩
« وفد عامر بن صعصعة	٤٩١
« وفد عبد القيس	٤٩٣
« وفد بنى حنيفة	٣٩٤
﴿أبواب ما جرى بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع﴾	
استغفار رسول الله لأهل البقيع	٤٩٧
تأميره أسامة بن زيد	٤٩٩
مجىء الخبر بظهور مسيلمة	٥٠٠
ظهور الأسود العنسى	٥٠١
ظهور طليحة بن خويلد	٥٠١
(أبواب مرضه ووفاته)	
ذكر أنه سم صلى الله عليه وسلم	٥٠٥
« تقريب أجله له	٥٠٧
عرضه القرآن على جبريل قبل وفاته	٥٠٨
« ابتداء المرض به	٥٠٨
سؤال أبى بكر أن يمرضه	٥٠٩
ذكر أنه كان يدور على بيوت أزواجه فى مرضه	٥١٠
اشتداد الوجع عليه	٥١٠
ذكر أمره أن يصب عليه الماء لتقوى نفسه فيعهد	٥١٣
ما روى أنه اقتص من نفسه	٥١٥
مدة مرضه وأمره أبا بكر أن يصلى بالناس	٥٢١
كونه أراد أن يكتب كتابا لأبى بكر ثم لم يكتب	٥٢٣
إخراجه شيئاً من المال كان عنده	٥٢٤
ذكر عتقه عبيده عند الموت	٥٢٥
إعلامه فاطمة ابنته بموته	٥٢٦
ذكر استعماله السواك قبل موته	٥٢٧

الموضوع	الصفحة
ذكر أنه خير بين البقاء والموت	٥٢٨
» جمعه أصحابه وإيصائهم	٥٢٩
» وصيته بالصلاة عند موته	٥٣١
» أنه ما أوصى بشيء من الدنيا	٥٣٢
تحذيره أن يتخذ قبره مسجدا	٥٣٢
تردد جبريل إليه قبل موته بثلاثة أيام برسالة من الله يسأله عن حاله	٥٣٣
ذكر معاتبته نفسه على كراهية الموت	٥٣٦
صفة خروج روحه الطاهرة	٥٣٧
ذكر وقت موته	٥٣٧
صفة الثياب التي توفي فيها	٥٣٨
ذكر أن الناس شكوا في موت رسول الله	٥٣٨
» مبلغ سنه	٥٤٢
» ما خلف وحكمه	٥٤٣
» غسله	٥٤٣
» كفنه	٥٤٨
» الصلاة عليه	٥٤٩
» موضع قبره	٥٥٠
» لحده	٥٥٢
» ما نزل في قبره	٥٥٣
» وقت دفنه	٥٥٣
» الذين نزلوا في قبره	٥٥٤
صفة قبر رسول الله وصاحبيه	٥٥٥
فضل زيارة قبره	٥٥٦
ذكر الاستسقاء بقبره	٥٥٨

الموضوع	الصفحة
ذكر ندب فاطمة عليها السلام	٥٦٠
فضل الصلاة عليه	٥٦١
تبليغ الملائكة إليه الصلاة والسلام	٥٦٥
كيفية الصلاة عليه	٥٦٦
ذم من ذكر عنده فلم يصل عليه	٥٦٧
ذكر ما سمع من التعزية برسول الله من الهواتف	٥٦٨
» أنه لا يبلى	٥٦٨
» عرض أعمال أمته عليه	٥٦٩
» رؤيته في المنام	٥٧٠
(أبواب بعثه وحشره وما يجرى له)	
» أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة	٥٧٣
حشر عيسى بن مريم مع نبينا	٥٧٤
كيفية حشره	٥٧٤
ذكر لوائه	٥٧٦
» أنه أكثر الأنبياء تبعاً	٥٧٦
» حوضه عليه السلام	٥٧٧
» شفاعته	٥٧٩
» المقام المحمود	٥٨٥
تخليصه المؤمنين على الصراط	٥٨٧
ذكر أنه أول من يدخل الجنة	٥٨٨
» فضل أمته	٥٨٩
» علو منزلته على الخلق في الجنة	٥٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الكائنات: سيدنا ومولانا أفضل المخلوقات وإمام المرسلين، وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين . وبعد :

فقد تم — بعون الله وتوفيقه — طبع كتاب [الوفا بأحوال المصطفى] تأليف الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله ، وذلك بمطبعة الكيلانى لصاحبها ومديرها : « الحاج رشاد كامل كيلانى »

وقد نجز طبعه فى ١٠ من ذى الحجة سنة ١٣٩٦ هـ .

وقد يسر الله إخراجه بعرض جميل ، وتنسيق أنيق ، يسر الناظرين ، وتقرُّ به أعين القارئين ، مع تصحيح دقيق ، وطبع متقن .

يرجع الفضل فى هذا ، إلى العمال الْمَهَرَة ، المخلصين فى عملهم .

وعلى رأسهم ، السيد الفاضل « محمد عبد المقصود علام » الذى بذل أقصى ما فى وسعه من إتقان ودقة مراجعة لفرخ المكنة .

كما لا ننسى المساهمة الفعالة التى قدمها الأستاذ الفاضل : السيد / سالم السيد الجلاد .

وقد أعقب هؤلاء جميعاً بالإصلاح الفنىّ والدقة فى التعقيب الحاج «رشاد» نجل الكاتب القدير ، والأديب الشهير ، المرحوم السيد « كامل كيلانى» ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته .

فقد بذل — حفظه الله — أقصى ماوسعه بما عرف به من سداد الرأى وصواب الملاحظة .

ولا غرو فى ذلك ، فإن الشبل من ذاك الأسد !

أدامه الله ذخراً للعلم وأهله ، وأسبغ عليه الصحة والعافية الكاملة .

وآخر دعوانا : أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين .

محمد زهرى النجار

رقم الإيداع ٥٤٨٩ / ١٩٧٦

مطبعة الكيلاني بالقاهرة

٢٢ شارع غيط العدة - باب الخلق